عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت



لماذا يكذب القادة؟

حقيقة الكذب في السياسة الدولية

تأليف: جون جي. ميرشيمر

ترجمة: أ.د. غانم النجار

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

VISIT…

LANZAROTE

Caliente.COM

المجلس الوطني
للثقافة والفنون والآداب

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت
صدرت السلسلة في يناير 1978
أسسها أحمد مشاري العدواني (1923-1990) ود. فؤاد زكريا (1927-2010)

لماذا يكذب القادة؟

حقيقة الكذب في السياسة الدولية

تأليف: جون جي. ميرشيمر
ترجمة: أ.د. غانم النجار



ديسمبر 2016
443

عالم المعرفة

سلسلة شهرية يصدرها
المجلس الوطني للثقافة
والفنون والآداب

ترسل الاقتراحات على العنوان التالي:
السيد الأمين العام
للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص. ب: 28613 - الصفاة
الرمز البريدي 13147
دولة الكويت
تليفون: 22431704 (965)
فاكس: 22431229 (965)
www.kuwaitculture.org.kw

التنضيد والإخراج والتنفيذ
وحدة الإنتاج في المجلس الوطني

ISBN 978 - 99906 - 0 - 531 - 0

العنوان الأصلي للكتاب

Why Leaders Lie

The Truth about Lying and International Politics

By

John J. Mearsheimer

Oxford University Press, 2013

طُبع من هذا الكتاب ثلاثة وأربعون ألف نسخة

ربيع الأول 1438 هـ ـ ديسمبر 2016

المحتوى

مقدمة المترجم

لآل سـيكيل كتـاب جميل ومعـبر بعنوان «أسـاتذة التضليـل»(*)، لا يتحـدث فيـه عن التضليل السياسي، لكنه يسهب فيه عن منشط آخـر من مناشـط الحياة وهو الفـن. يتحدث سـيكيل بالكلمة والصـورة عن فنـاني الخداع البـصري، وعـلى رأسـهم المثـير للجـدل دائما سـيلفادور دالي، وإم. سي. إسشر، فهما يضللان العـين بمتناقضـات بصريـة تـترك تفاعلات في حاشـية ومتن الذات البشرية. يستعرض الكتاب أكثر من 400 سـنة من فـن الخداع البصري بما يتجاوز التوقعات.

حاول ونجح فنانو الخداع البصري في تحقيق التناغـم بين الواقـع وما وراء الواقـع، بتحويل الأشـياء إلى بـشر والعكس، وإدخـال البشر في الأشياء، بطريقة تظهر الصورة على غير حقيقتها، وتدفـع الرائي إلى التخيل. حدث ذلك على أيدي فنانين كبار مثل سـكـوت كيم (Scott Kim) وغويدو موريتـي (Guido Moretti) وريكس

«الكتاب في حالته هذه موجه إلى عموم الناس، وقابل للهضم والفهم والاستيعاب، بعيدا عن التعقيدات الأكاديمية...»

(*) Al Seckel, *Masters of Deception: Escher, Dali, and the Artists of Optical illusion* (Sterling, 2007).

ويسـلر (Rex Whistler) وإسشر (Escher) ومونيز (Vik Muniz) ودالي (Dali) وغونسالفيز (Rob Gonsalves).

وبقدر الجمال والتمايل والتلاعب الذي يخلقه فن الخداع البصري، والذي يسعى فنانوه إلى خلق زوايا مختلفة للنظر إلى الأشياء، فإنه لا يرتكز على الخداع الذي يقوم به البشر تجاه البشر الآخرين، فالإبداع هنا كان في استخدام الثابت وتحويله إلى حركة صاخبة؛ تحويل للصورة واللون وأدوات أخرى إلى حركة ذهنية وربما حتى جسدية.

ويعـد الخداع الحاوية الرئيسـة للكذب. هو سـلوك بشري، يسـتهدف طمس الحقيقـة عن بشر آخرين، وهو سـلوك عادة ما يكون له هـدف، وقد يكون ذلك الهدف أحيانا نبيلا، كما يرى مؤلف كتاب «لماذا يكذب القادة».

على المسـتوى الفردي، وبين البشر، هناك على الأقل 31 نوعا من أنواع الكذب، يمارسـه البشر فيما بينهم. ومع ذلك فإن عموم ثقافـات البشر تتعامل مع الكذب على أسـاس أنه فعل ممجوج، مكروه، ويعكس انخفاضا في القيم، أو هكذا يفترض. والكذب، كما وصفه إيمانويل كانت، أكبر انتهاك يقوم به الفرد ضد نفسه. ومع ذلك لا يتورع الناس عن ممارسته والتفنن فيه في كل وقت، حتى صار يبدو جزءا أساسيا من تعاطي البشر مع ذواتهم ومع محيطهم. ومع أن الناس تمارس الكذب بأشـكال مختلفـة، ومسـتويات متنوعة، فإنهـم في المجمل لا يقرون بكذبهـم، بل يبررونه. وبالطبع، لا أحد يقبل أن يوصف بأنه كاذب.

لزمن طويل كنت منشـغلا في محاولة تفسـير الحدث السياسي، طارحا السؤال التالي: هل الأحداث التاريخية الكبرى ليسـت إلا نتيجة طبيعية لتغير ونضج ظروف مجتمعية واقتصادية وسياسـية؟ أم أن هنـاك دورا فاعلا وحقيقيا ومؤثرا للأفراد في خلق تلك الأحداث؟ بمعنى آخر، حتى لو قبلنا بالظروف الموضوعية العامة كمحرك أساس للأحداث الكبرى، هل كان لتلك الأحداث أن تتحقق لو أن أشخاصا أساسيين لم يكونوا في المشهد السياسي؟ أو على الأقل هل كانت ستحدث بالطريقة نفسها؟ على سـبيل المثال، لو أن الرئيس الأمريكي الأسـبق بيل كلينتون كان هو الرئيس في العام 2013، فهل كان سيغزو العراق حينها؟ من يدري. إنه سؤال افتراضي.

كلـما امتد بي العمـر وزادت حصيلتي من المعرفة، والخبرة العملية، والشـهادة الشـخصية على أحداث كـبرى، ومعرفة تفاصيـل الأحداث، والاطـلاع على ما كتبه

الكاتبون أو الكاذبون أحيانا عن ذلك الحدث، أكتشف أنهم قد أهملوا أو صرفوا النظر عن دور الأفراد في الحدث، ولجأوا إلى العوامل الكبرى الحاكمة للتغيير، وابتعدوا، عن قصد أو عن جهل، أو عن موقف فكري ومنهجي، عن تثبيت دور الأفراد وإعطاء كل ذي حق حقه. بالطبع هذه ليست دعوة لإلغاء دور العوامل العامة في التغيير لكنها تنبيــه إلى ما قد نخسره كثيرا في فهم تفاصيل وتحــولات المجتمعات. هل التحولات السياسية الكبرى هي جزء من عجلة التاريخ؟ هل التغيرات التاريخية تحدث لأسباب ومعطيات اجتماعية؟ فإن كانت كذلك، فما دور الفرد في هذه المتغيرات؟ وهل للفرد وســلوكه أثر ما في تلك المتغيرات، أم أنه مجرد عنصر صغير بســيط الأثر لا يستحق الدراســة إلا بقدر؟ وحتى لا نخوض في جدل نظري، حيث إن موقعه ليس هنا، أرى أن تأثير الأفراد - وعلى الأخص السياســيون، والقادة، والدبلوماسيون، والعسكريون، وربما الشــخصيات العامة – لا يبدو بارزا في ســياق الأحداث. وحتى إن جرى هنا أو هنــاك تركيز على دور هذا الفرد أو ذاك في الحدث، فإنه يجري التقليل منه بشــكل مخــل، وإبعاده عن مسرح الأحــداث، انطلاقا من أن الأحــداث هي صنيعة عوامل أوســع من الأفراد. وتتحول تلك المســألة إلى مأســاة عندما يقوم المرجفون بتضخيم وإعلاء دور فرد ما، أو قائد ما، حتى تلغى الأدوار الأخرى للأفراد أو للجماعات أو أي تكوينات أخرى على المستويين الأعلى أو الأدنى.

وربما كان ذلك هو الدافع لحماسي لترجمة كتاب «لماذا يكذب القادة». عرضت فكرة الكتاب على المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وسلسلته الرائدة «عالم المعرفة»، والذين تلمســوا مشــكورين ندرة الموضوع وأهميتــه، وإضافته المطلوبة للمكتبة العربية. والاهتمام بترجمة الكتاب لم تأت فقط بسبب التشويق الذي يثيره موضوع الكذب، وهو تشويق مطلوب ومحمود، لكنه جاء ضمن محاولات فهم دور الفرد، عبر أدوات سلوكية عادية، كالكذب، في التأثير في الأحداث العامة والدولية.

يحــاول هذا الكتاب رصد ظاهــرة الكذب وتحليلها في إطــار العلاقات الدولية بأســلوب رشيق ورصين في آن. فالكتاب في حالته هذه موجه إلى عموم الناس وقابل للهضم والفهم والاســتيعاب، بعيدا عن التعقيــدات الأكاديمية، على رغم أن مؤلفه، البروفيســور ميرشــيمر، أكاديمي متميز. وهــذا الكتاب محاولة جريئة ومســتحقة تحسب للمؤلف الذي اعتاد طرق المواضيع غير التقليدية.

بطبيعــة الحــال كان التركيــز على الولايــات المتحدة، دون إغفــال العديد من التجــارب الأخــرى، ومــن الواضح أن المؤلف قــد بذل جهدا كبــيرا في رصد ظاهرة الكــذب عبر التاريخ في العديد من الدول الغربيــة، ولم ينس في ذلك كذب إسرائيل على العالم لتبرير احتلالها واغتصابها لفلســطين، خصوصا أنه كان قد وضع للمكتبة الدوليــة كتابه المهم والمؤثر «اللوبي الإسرائيلي وسياســة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجيــة»(*)، الذي خلق جدلا واســعا ومازال داخل أمريــكا وخارجها. ويبدو أن توافر المعلومات والدراســات والوثائق في المحيط الغــربي كان مبررا منطقيا للتركيز على ظاهرة الكذب الدولي في الغرب. وفي ظني أنها لو كانت قد تضمنت دولا عربية أو مــن العــالم الثالث، مثلا، لربمــا نجدها قد تحولت إلى رجــم بالغيب، وظنون لا أدلة عليها ولا مســتندات، وتخرصات قد لا توصلنا إلى نتائج قريبة من الواقع حول الكذب ودوره في العلاقات الدولية.

ومع أن البروفيســور ميرشــيمر كان قد انطلق من فرضية، أن هناك وظيفة، قد تكون مفيدة للكذب في السياســة الدولية، وعالجها بعمق مبينا أين من الممكن أن تحدث الاختلالات والانتكاســات للكاذبين من السياســيين، فإنــه أكد في المقابل أن حالات الكــذب التي تعامل معها هي تلك التي يطلق عليها الكذب الإســتراتيجي، الذي يتوخى في مساعيه تحقيق مصلحة عامة وطنية. بمعنى آخر، هو لا يتعامل في الكتاب مع الكذب الأناني أو الشــنيع الذي يسعى السياسي الكاذب فيه إلى تحقيق أهداف شخصية أنانية، أو يهدف إلى حماية أفراد بعينهم.

بالطبع نقف هنا أمام إشكالية تحديد ماهية المطامح الشخصية والأنانية. وهل ممكــن أن يكون البقاء في الســلطة وتحطيم الخصوم، داخليــين كانوا أو خارجيين، جزءا من أهداف ومساع شــخصية؟ السؤال يظل مفتوحا، وتحدده طريقة تعريفنا للكذبة الإســتراتيجية، وهي مســألة متصلة وخاضعة لمزيد مــن المراجعة، فالمؤلف أوضح أنه على عتبات مجال جديد سيحتاج إلى مزيد من البحث والتمحيص.

وقد يشــجع طرح الموضوع أكاديميا باحثين عربا لتوســعة دائــرة التحليل لكي تشــمل مناطق جغرافية أوســع، وبالذات منطقتنا العربية والشرق الأوســط، لكي يقوموا بدراســة مقارنة للكذب في السياسة الإقليمية. أظن أننا لو فتحنا هذا الباب

(*) John J. Mearsheimer, *The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy* (Farrar, Straus and Giroux, 2008).

عــلى مصراعيه، وأخضعنا الكذب للدراســة المنهجية، فإننــا موعودون بمفاجآت قد تســهم في إضافة نوعية للســياق العلمي الــذي تناوله الكتاب. بالطبع ســتواجهنا مشــكلة حقيقية في حالة دراســة هذه المنطقة، وهي ضعف التوثيق، وعدم وجود المصادر الموثوقة والمعتمدة.

«لماذا يكذب القادة» رحلة في ما هو مســكوت عنه في العلاقات الدولية، وهي رحلة كاشــفة لكثير من الأدوات التي أســهمت في تحريك حــوادث تاريخية. ومن المؤكــد أن الكتاب الذي بــين أيدينا ليس إلا باكورة بحــوث مماثلة في ذات المجال ستؤدي إلى منهجية أفضل وقدرة أكبر على توقع مجريات الأمور.

غانم النجار

الكويت - مايو 2016

توطئة

«إن أكثر آرائي إثارة للجدل والنقاش هو قولي إن رجال الدولة والديبلوماسيين لا يكذب بعضهم على بعض كثيرا»

في ربيع العام 2003، اتصل بي سيرج شميمان من جريدة نيويورك تايمز، من دون سابق إنذار، وأبلغني بأنه يعمل على موضوع حول الكذب في السياسة الدولية للنشر في عدد الأحد من الجريدة. وقال إنني خطرت في ذهنه لسبب أو لآخر، لذلك قرر الاتصال بي. ولم يحدث أن التقينا أو تحدثنا من قبل. بينت له أنني لم أفكر في الموضوع مطلقا، ولا أظن أن هناك أصلا كتابات علمية حول الكذب الدولي. فاقترحت عليه أن يسترسل في شرح فكرته، ومن ثم أعقّب عليه. وقد قمنا بذلك فعلا، ونتجت عن ذلك مناقشة مثمرة ومفيدة، استمرت ساعة كاملة. بعد ذلك، دونت بعض الأفكار حول المحادثة الهاتفية، ووضعتها في أحد الملفات.

وبعد بضعة شهور، وتحديدا في سبتمبر من العام 2003، وُجهت لي دعوة من جامعة MIT للتحدث في موضوع وفق اختياري. فكرت حينها، في أنه قد يكون مفيدا أن أتحدث عن الكذب في السياسة الدولية، وهكذا استخرجت

الملاحظات التي كنت قد دونتها سابقا بعد محادثتي مع شميمان، ورتبتها بطريقة لتقديمها. وخلال السنوات الست التي تلت ذلك، كتبت بحثا، وقدمت ثماني محاضرات أخرى، وتسنى لي النقاش والحديث مع عدد كبير من الأصدقاء والزملاء بشأن الموضوع.

وفي إطار ذلك السياق، أذهلتني درجة تفاعل الناس مع موضوع الكذب الدولي. فكل جمهور، وتقريبا كل فرد تحدثت معه، كان يتفاعل سريعا وبحماس ملحوظ، وكثيرون يريدون الحديث بإسهاب عنه. عدد منهم أرسل لي رسائل إلكترونية لمتابعة المناقشة، بمن في ذلك أشخاص لم ألتق بهم في حياتي وكانوا حاضرين خلال إحدى محاضراتي.

أستطيع استخلاص أسباب عديدة وراء اهتمام الناس بالموضوع. ابتداء، أغلب الناس يعدون الكذب سلوكا مستنكرا، على الأقل للوهلة الأولى. وهم لا يتقبلون أن يطلق عليهم أحد أنهم كاذبون، حتى إن كانوا يمارسون الكذب بين الفينة والأخرى. بالطبع، فالكذب تهمة خطيرة، وعادة ما يتردد الناس في إطلاقها على أحد، حتى لو كانوا يعتقدون أن التهمة مستحقة؛ نجدهم يستخدمون لغة أقل وطأة. وهكذا وجدنا عضو مجلس الشيوخ جون كيري[*]، غير قادر على وصف الرئيس بوش بالكاذب خلال الحملة الانتخابية الرئاسية في العام 2004، مستخدما عبارة أقل حدة حين قال: «إنه قد فشل في قول الحقيقة» عن العراق وإنه «قاد الشعب الأمريكي إلى الطريق الخطأ»[1] ولكن يبدو أن اعتبار الكذب فعلا شريرا هو أحد الأسباب التي تجعل الناس يحبون التحدث عنه.

ويبدو أن ما يجعل الموضوع أكثر إثارة لاهتمام الكثيرين هو أنني أجادل بأن هناك مبررات إستراتيجية للقادة لكي يكذبوا، في بعض الأحيان، على دول أخرى، وعلى شعوبهم أيضا. بعبارة أخرى، فإن الكذب الدولي، ليس بالضرورة فعلا خاطئا؛ في الحقيقة، فهو كثيرا ما ينم عن فراسة، وقد يكون ضروريا، بل فاضلا في بعض الظروف.

بيد أن أكثر آرائي إثارة للجدل والنقاش هو قولي إن رجال الدولة والديبلوماسيين لا يكذب بعضهم على بعض كثيرا. ولم يتفق مع مقولتي تلك إلا قلة قليلة، خصوصا عند سماعهم لها للمرة الأولى. فأغلبية الناس يستهزئون بهذه الفكرة. فهم يتصورون

(*) جون كيري هو وزير الخارجية الأمريكي الحالي منذ 2013، وقد كان منافسا على الرئاسة ممثلا عن الحزب الديموقراطي في العام 2004 ضد الرئيس جورج دبليو بوش [المترجم].

أن هنــاك أمثلة لا حصر لها كــذب فيها القادة بعضهم على البعــض، وبالتالي فإنه من السهولة بمكان اســتعراض حالات كثيرة من هذه الأكاذيب. وفي الأساس، فإنهم يعتقدون أن الكذب بين الدول، هو أمر اعتيادي في السياسة الدولية. كنت أقول لمن أحاورهم إن واقعيتي تجعلني ميالا إلى الاتفاق معهم، ولكني اقتنعت بعد دراســة الموضوع بأنهم مخطئون، فــلا يوجد فعليا كثير من الكذب بين الدول. بالطبع هذا لا يعني أنه لا يوجد كذب إطلاقا. لقد لاقى الموضوع اهتماما بسبب حرب العراق. فكثير من المطلعين على بواطن الأمور، مقتنعون الآن بأن حكومة الرئيس بوش كذبت على الشعب الأمريكي في مرحلة تحضيرها للحرب، التي انتهت إلى كارثة إستراتيجية للولايات المتحدة. عندما تسوء الأمور في الحرب، ويرى الناس أن الخداع كان السبب الرئيس لشــن الحرب، فإنهم يتحمســون جدا للحديث عن الأسباب والدوافع التي جعلت القادة يكذبون، وعن العواقب الناتجة عن ذلك الكذب. يضاف إلى ذلك أن الغياب الملحوظ للكتابات العلمية عن الكذب في السياســة الدولية، يســمح للناس بمناقشة هذه المواضيع بصورة خلاقة، بل يدفعهم إلى ذلك.

وأخذا في الاعتبار قلة الكتابات العلمية عن الكذب الدولي، وفي المقابل الاهتمام الكبــير بالموضوع، فقد قررت أن أطور بحثي عن الكذب إلى كتاب. هدفي الأســاس هو توفير أطر تحليلية قد تساعد في تنظيم تفكيرنا عن الكذب في السياسة الدولية، وكذلــك الدفع ببعض التصورات النظرية حول جوانب أساســية في الموضوع. أتمنى أن يكون هذا الكتاب نقطة انطلاق لمناقشة موضوع على درجة عالية من الأهمية، وإن لم يجد الاهتمام الكافي بعد. فإن كنت قد نجحت في مسعاي، فسيتابع خطواتي آخرون ليحسّنوا أو يتحدوا أفكاري ومزاعمي وافتراضاتي.

ولقد تأثرت أفكاري ورؤاي بشأن الكذب كثيرا بردود أفعال الجمهور في الأماكن المختلفــة التي تحدثت بهــا مثل: مجلس العلاقــات الدولية في نيويــورك، ومعهد سالتزمان لدراســات الحرب والسلام بجامعة كولومبيا، ومؤتمر سنة 2004 للجمعية الأمريكية للعلوم السياســية، وندوة بجامعة مونتانا، ومركز براون للسياسة الدولية بجامعة بنســلفانيا، وقسم العلوم السياسية بجامعة MIT، وبرنامج سياسات الأمن الدولية بجامعة شيكاغو، وملتقى لون ستار للأمن القومي، وورشة عمل «الشمال - الجنوب» بإدارة أساتذة العلاقات الدولية بجامعة نورث ويسترن وجامعة شيكاغو.

عندمــا بدأت في ترتيب أفكاري حول الموضوع، اســتفدت كثــيرا من ندوة غير رسمية مع خمسة من زملائي في جامعة شيكاغو: دونغ سن لي، وتاكا نيشي، وروبرت بيب، وسيباستيان روساتا، وجون شوسلر. وأجدني ممتنا جدا للتعليقات المهمة التي قدمها كل من أليكســاندر داونز، وشون لين جونز، ومارك تراكتنبرغ، وستيفين ولت، والذين تجدون بصماتهم منتشرة في كل الكتاب.

هناك شــخصان آخران يســتحقان كلمات شــكر خاصة. ديفيد ماكبرايد، محرر الكتاب في دار جامعة أوكسفورد للنشر، إذ أدخل عددا من التعديلات المهمة ليظهر الكتاب بشــكل أفضل. كذلك أقدر عالي التقدير حماسته العالية لفكرة الكتاب، مما ســهل من عملية الانتهاء منه بالصورة المطلوبة. ولكن لا أحد كان في حماس ودعم وكيلي بيــل كليغ، حيث لم يقتصر دوره على تشــجيعي للانتهاء من الكتاب، ولكنه قدم استشارات حكيمة لا يمكن الاستغناء عنها خلال عملنا.

كما أنني أقدر عاليا الخبرة التحريرية لجيســيكا رايان وبن ســادوك في دار نشر جامعة أكســفورد، واللذين ســاعداني كثيرا في وضع المشروع على الجادة الصحيحة. كذلك فقد وصلتني تعليقات ممتازة ومقترحات من شخصين مجهولين قاما بالمراجعة للصحافــة، وقائمة طويلة من الأفــراد وبعضهم لم ألتقِ أيا منهــم. ويتضمن هؤلاء، إيريك ألترمان، وستيفان أنسولابيهير، وروبرت آرت، وريتشارد بتس، وديفيد بلاغدن، وريسا بروكس، ومايكل إي براون، وجوناثان كافيرلي، وجوزيف سيرينسيوني، ومايكل ديش، ولويس ديســيولي، ودانييل دريزنر، وديفيد إيديلســتاين، وفرانسيس غافن، وهاين غومانس، وتشــارلز غليسر، وإيميلي غولدمان، وجينيفر هوكتشــيلد، وإيان هيرد، وروبرت جيرفس، وكايم كوفمان، وكريســتوفر لــين، وكير ليبر، وإيريك لوربر، وكارلو مســالا، ونونو مونتيرو، ومايكل أوكونر، وجوزف بارنت، وســوزان بيتيرسون، وآرند بلاغ، وإيريك بوزنر، وريتشــارد بوزنر، وســينثيا روبرتس، ولورنس سامويلس، وديفيد شــوارتز، وجاك ســنايدر، وإيفان أريغوين - توفــت، ومونيكا توفت، وبيتر توفــت، وماثيو توبين، وســتيفين فان إيفــيرا، وإبراهام واغنر، وأليكســاندر وندت، وجويل ويسترا. وأعتذر إن كنت قد نسيت أحدا.

أتوجه بخالص الشــكر إلى كل من قدم يد المســاعدة، حيــث لم يكن في إمكاني كتابة هذا الكتاب من دون تلك المساعدة. وكلمات شكر خاصة إلى سيرج شميمان،

الذي عرفني على موضوع الكذب الدولي وساعدني على التمعن فيه. وبالطبع، فإنني مسـؤول عن كل خطـأ أو تصورات غـير صحيحة، ولكني مديـن للآخرين بكل ما يتضمنه الكتاب من بصيرة.

وختاما، أتوجه بالشكر لعائلتي، وعلى الأخص زوجتي، باميلا، والتي كانت عامل تشـجيع لي في قضاء السـاعات الطوال التي يسـتغرقها إنتاج كتاب عادة. وعلى أي حال، فقد اسـتمتعت بالبحـث والكتابة، ولكنها تصبح عملية أكثر سـهولة، عندما يكون أكثر الناس المتضررين من انشـغالك هم من يمنحك الدعم لتحقيق ما تصبو إليه. وعند الحديث عن الأسرة، أود أن أهدي هذا الكتاب لأولادي الخمسة الرائعين، آن وماكـس ونيكولاس وجوليا وديفيد، والذين ظلوا مصدرا للسـعادة والافتخار لما يزيد على ثلاثة عقود.

المقدمة

«إن القائد قد يطلق أحيانا ما سماه أفلاطون: الأكاذيب النبيلة»

أصر كبار المسؤولين في حكومة الرئيس بوش، والذين دفعوا الولايات المتحدة دفعا إلى غزو العراق قبل 19 مارس 2003، على أنهم متأكدون من امتلاك صدام حسين أسلحة دمار شامل. وادعوا أن مزاعمهم تلك تستند إلى أدلة قاطعة دامغة. كما ظل مؤيدو الحرب من خارج الحكومة يرددون تلك المزاعم مرارا وتكرارا، حتى تمكنوا من تشكيل جوقة من الأصوات المتشددة، التي أقنعت الشعب الأمريكي بضرورة نزع سلاح صدام والإطاحة به. فبموجب هذه الرؤية، تغدو الحرب على العراق حربا ضرورية، وليست حربا اختيارية. وكل من شكك في تلك المزاعم، كان يُوصَم بالتأكيد بأنه أبله أو ساذج، أو حتى بأنه غير وطني(*). وعندما انجلى الأمر،

(*) بلغت الاتهامات بعدم الوطنية في الولايات المتحدة أوجَها خلال ما عرف في فترة الخمسينيات بحقبة «المكارثية»، نسبة إلى عضو الكونغرس جوزيف مكارثي، الذي قاد حملة اتهامات شنيعة ضد من سماهم «الحمر»، وصارت المكارثية مصطلحا يُقصَد به توجيه اتهامات بالخيانة من دون دليل. وشملت تلك الحملة، التي سادت بين العامين 1950 و1956، آلاف الأمريكيين من العاملين في المجال العام والكتابة والفن وغير ذلك. [المترجم].

واتضح أنه لا أسلحة دمار شامل في العراق، صار على أركان «حزب الحرب» أن يفسروا لماذا كانوا مخطئين في مزاعمهم بهذه الصورة، وكيف كان ممكنا أن يخطئ هذا العدد الكبير من الأشخاص الموقنين بقدرات صدام، وإلى هذا الحد؟

إحدى محاولات التبرير لهذا التخبط ألقت باللوم كليا على صدام، استنادا إلى أنه كذب على الأمريكيين وأوهمهم بأنه يملك أسلحة الدمار الشامل، وقالوا إنه فعل ذلك تحديدا بسبب خشيته من هجوم إيراني - أو حتى أمريكي - على العراق، لأنه أصبح في غاية الضعف، بعد هزيمته المدمرة في حرب الخليج في العام 1991، وبسبب الحصار المفروض عليه، ونظام التفتيش الذي فُرض بعد هزيمته. وللحيلولة دون تلك الهجمات المحتملة، كما تقول الرواية التبريرية، اختلق صدام رواية كاذبة ليوهم إيران وواشنطن بامتلاكه أسلحة الدمار الشامل، وأنه على استعداد لاستخدام تلك الأسلحة دفاعا عن بلده. وقد ساعده على ذلك موقف الأمم المتحدة التي لم تتمكن من تأكيد عدم امتلاكه الأسلحة، على الرغم من أنه لم تكن لديها أدلة قاطعة على وجودها.

ظهرت تلك الرواية بوضوح على صفحات ما عرف بـ «تقرير دولفر» الذي صدر في العام 2004 عن «مجموعة مسح العراق»، الفريق الدولي الذي تشكل من أكثر من ألف عضو من المفتشين عن أسلحة الدمار الشامل في العراق وبنيته التحتية، وقد ترأس تلك اللجنة تشارلز دولفر، المفتش السابق في العراق. ويقول التقرير، بعد وصف أنواع التهديدات التي تواجه العراق: «للتصدي لتلك التهديدات، استمر صدام في التظاهر بامتلاكه أسلحة دمار شامل»[1]. ويمضي التقرير: «بينما يتضح أن العراق بحلول منتصف التسعينيات، كان في الواقع خاليا من مخزون لأسلحة الدمار الشامل، فإن دوافع صدام للتحايل حول امتلاكه تلك الأسلحة جعلت الإفصاح للمجتمع الدولي بأنه لا يملكها، وعلى الأخص لإيران، أكثر خطورة»، وقد كرر المقولة نفسها جورج تينيت[*]، في مذكراته الصادرة بعنوان

(*) شغل جورج تينيت منصب المدير العام للمخابرات المركزية الأمريكية من العام 1997 وحتى العام 2004، وتعتبر هذه الفترة ثانية أطول مدة يبقى خلالها المدير العام للمخابرات المركزية في منصبه، وهو يشغل الآن منصب المدير التنفيذي للبنك الاستثماري «ألن آند كومباني». [المترجم].

«في قلب العاصفة»(*)، حيث قال: «لم تكن لدينا خبرة سابقة مع بلد آخر ليست لديه أسلحة دمار شامل، ولكنه يتظاهر بأنه يمتلكها... وقبل الحرب، لم نكن قد استوعبنا أنه كان يخدعنا»[2].

ومع أخذ هذه المزاعم في الاعتبار، لا يوجد دليل في السجلات العامة على أن صدام حاول خداع العالم بشأن امتلاك العراق أسلحة دمار شامل. فتقرير دولفر، على سبيل المثال، لم يقدم أي دليل لدعم تلك المزاعم، ولم يقدم كتاب التقرير أي حقائق لدعمها، بل إن التقرير ذاته ألقى قدرا من الشكوك على هذه المقولة. فقد ورد فيه «أن صدام لم يطرح استخدام الخديعة كسياسة»، وأن أحد المقربين له ذكر أنه لم «يفصح بأنه كان يخدع العالم بخصوص وجود أسلحة دمار شامل»[3]، ولم يكن ذلك مفاجئا، نظرا إلى غياب الأدلة على أنه كان يخدع العالم، بل إنه ذكر في مناسبات عدة أنه لا يملك أسلحة دمار شامل، وكان يقول الحقيقة[4].

من ناحية أخرى كانت حكومة الرئيس بوش قد أطلقت أربع أكاذيب رئيسة خلال تجهيزها للحرب على العراق سأناقشها بالتفصيل لاحقا، لكن دعوني أوجزها باختصار: لقد زعمت شخصيات بارزة في حكومة الرئيس بوش، كذبا، أنها متيقنة تمام اليقين، وبما لا يدع مجالا للشك، من أن صدام يمتلك أسلحة دمار شامل. وكذلك كذبوا في القول بأن صدام كان حليفا وشريكا لأسامة بن لادن، كما صرحوا عدة مرات بما يوحي بأن صدام متورط في تفجيرات 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة، وأنه يتحمل قدرا من المسؤولية. وأخيرا زعم عدة أشخاص من الحكومة الأمريكية، ومن ضمنهم الرئيس بوش نفسه، أن خيار الحل السلمي لايزال مفتوحا مع صدام، في حين أن قرار الحرب كان قد اتُّخذ مسبقا.

خلاصة القول أنه في حين أن صدام كان يقول الحقيقة حول عدم امتلاكه أسلحة الدمار الشامل، قبل حرب العراق في العام 2003، كذبت القيادات العليا بحكومة الرئيس بوش حول ما كانت تعرفه عن أسلحة الدمار الشامل، كما أنها كذبت في أمور أخرى لا تقل أهمية. وقد يبدو هذا السلوك غريبا من الجانبين

(*) George Tenet, *At the center of the Storm: My years at the CIA* (Harper Collins, 2007).

بعــض الــشيء، أو ربما صادما لبعض القــراء. وقد يظن البعــض أن هذه حالة غير عادية، ولكن هذا غير صحيح. فكلا الطرفين قد سلك طريقا متوافقا مع النتائج التي توصلنا إليها في هذا الكتاب. وبالتحديد، فقد توصلت إلى أن القادة لا يكذبون كثيرا على دول أخرى، ولكنهم بدلا من ذلك، يميلون إلى الكذب على شــعوبهم. وسأشرح المقصود من ذلك.

على الرغم من أن الكذب يعد عملا مشــينا في الحياة العادية، يبقى ســلوكا مقبولا في السياســة الدولية، حيث تظهر في بعض الحالات مبررات إســتراتيجية لكي يكذب القادة على دول أخرى، أو على شعوبهم. ومع ذلك لا يمارَس الكذبُ بكثرة بين الدول. عندما بدأت بحثي هذا، كنت أتوقع أن أجد أدلة كثيرة ودامغة على كذب القادة والديبلوماســيين بعضهــم على بعض، لكن سرعان ما اتضح لي أن تلــك الفرضية غير صحيحة. فقد بذلت جهدا كبيرا كي أضع يدي على حالات الكذب في السياســة الدولية التي أناقشــها في هذا الكتاب. القادة يكذبون على الــدول الأخرى في حــالات معينة، ولكن أقل بكثير مما كنــت أتصور. وعليه، لم يكن مستغرَبا عدم كذب صدام حسين بشأن حيازته أسلحةَ الدمار الشامل قبل الحرب، من دون أن يعني ذلك بالطبع أنه لا يكذب في مواقف أخرى.

إضافة إلى ذلك، يبدو أن القادة أكثر ميلا إلى الكذب على شعوبهم في شؤون السياســة الخارجية من كذبهــم على الدول الأخرى، ويبــدو أن هذا صحيح في الدول الديموقراطية والتي لديها سياسات خارجية طموحة، وتميل إلى شن حروب باختيارهــا، أي عندمــا لا يكون هناك خطر واضح يهــدد مصالح البلد الحيوية ولا يمكــن التعامل معه إلا بالقوة، وينطبق هــذا الوصف بالطبع على الولايات المتحدة في الســبعين سنة الأخيرة. لذا لم يكن مســتغربا أن تكذب الشخصيات الرئيســية في الإدارة الأمريكيــة - ومن ضمنها الرئيس بــوش - على الأمريكيين في الفــترة التي ســبقت حرب العراق. وبهذا يكون بوش قــد اقتفى أثر الرئيس فرانكلين روزفلت، الذي كذب بخصوص الحادثة البحرية في العام 1941، ســعيا وراء إدخال أمريكا في الحرب العالمية الثانية، والرئيس ليندون جونســون الذي كــذب بخصوص أحداث خليج تونكين في صيف العام 1964، من أجل الحصول على دعم الكونغرس لشن حرب على فيتنام الشمالية.

من الضروري تأكيد أنه لا توجد حالة واحدة مما استعرضناه كذب فيها رئيس أو رجاله لتحقيق مكســب شخصي(*). كانوا يعتقدون أن دافعهم هو المصلحة الوطنية لأمريــكا، غير أن ذلك لا يعني أنهم تصرفوا بحكمة. ولكن تظل الحقيقة الماثلة هي أن هناك أســبابا إســتراتيجية تحمل القادة على الكذب على شعوبهم، وعلى الدول الأخــرى. وهذا المنطق العملي يتجاوز دائمـا القيود الأخلاقية المعروفة ضد الكذب. وبالفعل، يعتقد القادة أحيانا أن عليهم مســؤولية أخلاقية للكذب لحماية بلادهم. وهم لا يكذبون دائما في قضايا السياســة الخارجية، ولكن أحيانا، عن قصد وتعمد، يقولون أو يوحون بأمور يعلمون أنها غير صحيحة. كما أن شعوبهم عادة لا تعاقبهم بســبب خداعهم، إلا إذا أدى ذلك الفعل إلى نتائــج وخيمة. وعليه يبدو أن القادة والشعوب قد توصلوا إلى أن الكذب هو جزء لا يتجزأ من العلاقات الدولية.

أما بالنســبة إلى الشؤون الداخلية، فإن الكذب لا يعد أمرا مقبولا، إلا في حالات وظــروف خاصة، مثل المســاومة حول الســعر عند شراء منزل أو بيعــه، أو عندما يكون ضروريا لحماية شــخص بريء من أذى دون وجه حق. كما يجيز أغلب الناس «الكذبــة البيضاء» التي عادة ما تكون بين الأصدقاء، مثل المجاملات البســيطة عند قيــام ضيــوف بامتداح طعــام رديء، أو عندما يكذب الآباء عــلى أبنائهم من أجل حمايتهم. على أي حال، فإن هذه الأكاذيب البسيطة لا تسبب ضررا يُذكر، بل عادة ما تُلفَّق لمصلحة شخص ما[5]، إنها أكاذيب إيثارية ولكن في العموم يعد تأثير الكذب مفســدا على الأفراد، ومن ثم على المجتمع الذي يعيشــون فيه. لذا ليس بمستغرب أن يقــول البعض الصدق حتى لو لم يكن لمصلحتهم[6]. وهنا نحن لا ننفي أن هناك عددا كبيرا من الأكاذيب غير المقبولة في كل مجتمع. ولكن كلما قلت الأكاذيب، كان الوضع أفضل[7]. لذا من المفيد ألا يشجع المجتمع على الكذب، بل يحاربه.

ويبدو لنا أن هناك تفســيرا بســيطا للتباين في وجهات النظــر المتعددة تجاه الكذب المحلي والكذب الدولي. إن المســؤولية الأولى والعليا على عاتق الرئيس هي الحفــاظ على بلاده وبقاؤها. ولكن الــدول تعمل في نظام فوضوي، حيث لا وجود

(*) بالطبع مســألة المكسب الشــخصي خاضعة للنقاش، فأحيانا يكون خوض المعارك أو التلويح بها ليس سوى أداة للبقاء في الســلطة، أو زيادة الهيمنة من قبل هذا القائد أو ذاك، وهي ليســت بالوضوح والحتمية التي توصل إليها المؤلف. [المترجم].

لسـلطة يمكن اللجوء إليها في حال تعرضها لتهديـد حقيقي من دولة أخرى. ففي السياسـة الدولية القاسية، ليس هناك خط هاتف سـاخن للاتصال لإنقاذ الدولة، وحتـى إن وجد هاتف للاسـتغاثة، فلن يكون أحد على الطـرف الثاني للرد. لذلك يدرك القادة وشـعوبهم جيدا أن الدول تعيش في عالم يعتمد منطق «ساعد نفسك بنفسـك»، مما يضطرهم إلى فعل كل ما هو ممكن لتحقيق أمنهم واسـتقرارهم. فـإن كان هذا يعني الكذب والغش، فلا بأس من ذلك. فالسياسـة الدولية، بمعنى آخر، هي عبارة عـن مضمار عادةً ما تُكسَر فيه القواعد، وتخالَف النظم واللوائح، من دون عقاب. ولا يعني هذا أن قادة الدول متحمسـون لقول الكذب، أو إنكار أن الكثير مـن القادة يفضلون أن تصبح الحلبة الدوليـة محكومة بمبادئ أخلاقية محددة وواضحة المعالم. ولكن ذلك غير واقعي في غياب بنية سـيادية متفق عليها تتولى فرض تلك المبادئ.

في مقابـل النظـام العالمي، فإن البناء الهيكلي للدولـة هرمي وليس فوضويا[8]. ففي الدولة المنضبطة، هناك سـلطة عليا - الدولة ذاتهـا - والتي يلجأ إليها الأفراد لتوفير الحماية لهم. وعليه، فإن الدوافع التي تجعل الدول تغش وتكذب، في تعاملها مـع دول أخرى لا تنطبق على الأفراد داخل الدولة. بل إن انتشـار الأكاذيب داخل دولة ما، قد يدمر كيانها ويضعف من استقرارها وأمنها الداخلي. فلا يمكن للدولة أن تستمر بكفاءة وفعالية، إذا ظل أفرادها يكذب بعضهم على بعض طوال الوقت، كما يمكننـا محاربة الكذب من منطلق أخلاقي داخل الدولة، حيث يعيش غالبا مجتمعٌ واضـح المعـالم، وهو ما لا ينطبق على السياسـة الدولية، وقـد أوضح ذلك توماس هوبز(*) في كتابه الشهير «اللڤياثان» (Leviathan) حيث قال: «قبل أن يوجد مكان لكلمات العدل والظلم، قبل أن يسبقها وجود قوة قاهرة تجبر الرجال سواسية على إنجاز عهودهم... حيث لا توجد ثروة عامة، لا شيء يكون ظالما» [9].

إذن، الكـذب هو نوع من أنواع الخداع، ولكـن ليس كل الخداع هو بالضرورة كـذب. فللخديعة نوعان آخران وهـما الإخفاء (الكتـمان) والتلفيق. وعلى عكس

(*) توماس هوبز، من أبرز فلاسـفة ومنظري علم السياسـة الإنجليز لحقبة القرن السـابع عشر، ويعرف بإسهاماته الكبيرة في تطوير علم السياسة، كما أنه من منظري نظرية العقد الاجتماعي التي تعد الأساس لأغلب الإنتاج العلمي والفكري الغربي في الفلسفة السياسية. [المترجم].

الكذب، ليس مطلوبا من أي منهما قول عبارة كاذبة، أو رواية قصة ليست حقيقية. ولكن الإخفاء والتلفيق لا يعنيان كذلك قول الحقيقة.

هـذان نوعان من الخداع نجدهـما في كل مناحي الحياة اليومية تقريبا، ونادرا مـا يثيران اعتراضا عليهما[10]. فعلى سـبيل المثال، عندما يتقدم شـخص إلى المقابلة للحصـول على وظيفة، فمن المقبول أن يلفق سـيرته الذاتيـة لتوائم تلك الوظيفة، فيحـذف أحيانا ويضيـف وفق ما يراه مناسـبا[11]. وفي عالم السياسـة نجد الأرض خصبة لاسـتعمال الإخفاء والتلفيق. فيسـتطيع الرئيس أن يصور الاقتصاد الأمريكي بروايـة وردية تبرز الجوانب الإيجابية، ويقلل، بل ربما يتجاهل الجوانب السـلبية، وفي المقابل فإنه يحق لشخص من الحزب المعارض أن يفعل العكس تماما. ولكن من غير المسموح لكليهما أن يكذبا لإثبات القضية. فضبط أي منهما متلبسا بالكذب في الأغلب سيسبب ضررا سياسيا كبيرا.

بيـد أن ذلـك لا ينطبق على حالة السياسـة الخارجية. فنادرا مـا يتعرض القادة والديبلوماسـيون للعقاب حين يكذبون، وخصوصا عندما يفعلون ذلك تجاه شـعوب أخـرى. وربما يكون الاسـتثناء الوحيد لهذه القاعدة حين يصبـح معلوما أن القائد قد كذب على شعبه بخصوص سياسة فاشلة أضرَّت بالمصلحة الوطنية. ولكن حتى في هذه الحالة، الغضب الشـعبي على القائد، كان بسـبب فشـل السياسة المتبعة، وليس لأنه كذب عليهم. لذلك فمن غير المحتمل أن يدفع القائد الذي يكذب على شعبه بخصوص سياسـة معينة ثمنا سياسيا إن نجحت تلك السياسة في تحقيق أهدافها. فعندما يتعلق الأمر بالسياسة الخارجية، فإن النجاح يغفر الكذب، أو على الأقل يجعله متقبلا.

خلاصة القول، إن الإخفاء والتلفيق هما سـلوكان مقبولان ومشروعان بشـكل عام، سـواء على المسـتوى المحلي أو على مستوى السياسـة الدولية. ولكن الكذب مسـألة أخرى[12]. الكذب غير مقبول في كل مناحي الحياة، إلا في السياسة الدولية، حيث يتم التعامل معه على أنه أمر مؤسف، ولكنه ضروري أحيانا.

المهمة المطلوب إنجازها

تتوافـر عن الكـذب كتابات كثيرة وغزيرة، بيد أننا بالـكاد نجد منها ما يعالج بوضـوح مسـألة الكذب في السياسـة الدولية. أحـد الاسـتثناءات المميزة في هذا

الصدد هو كتاب «عندما يكذب الرؤسـاء: تاريخ الخداع الرسمي وعواقبه» لإيريك ألترمان(*)، والذي يزودنا بسـياق ممتاز عن الكذب الرئاسي خلال السـبعين سـنة الماضيـة(13). غير أن ألترمان ليس متخصصا في العلـوم الاجتماعية، ولم يكن يحاول أن يخلـق نظرية في الكذب الدولي. كـما لم يفعل أحد آخر ذلك. ولربما يقول قائل إن هنالك دراسـات عديدة عن الخداع بين الـدول. وفي حين أن هذا الأمر صحيح، فإن تلك الدراسـات لا تميز بين الإخفاء والكذب والتلفيق، والأهم من ذلك لا نجد من تلك الكتابات ما يركز على الكذب، ويحاول أن يطور مقاربات عامة حول ذلك السـلوك تحديدا. لذا فإن الهدف الأسـاس لهذا الكتاب هـو ملء ذلك الفراغ، من خلال التأسيس لنظريات في الكذب السياسي الدولي، وليس معالجة مفهوم الخداع بمعناه العام.

وعلى المسـتوى العام، فمن الممكن التفكير في الكـذب إما من منظور مطلق وإما من منظور نفعي. فأصحاب المذهب المطلق، أمثال إيمانويل كانت(**) وأوغسـتين(***) يعتـبرون أن الكذب دائما خطأ، ومن النادر أن تكون له جوانب إيجابية. فالكذب وفق كانت، يمثل «أكبر انتهاك يرتكبه الإنسـان في حق نفسه»(14) . أما المنفعيون في الجانب الآخر، فإنهم يرون أن الكذب يكون منطقيا في بعض الأحيان، لأنه يحقق غرضا اجتماعيا مفيدا، ولكنه لا يحقق تلك الفائدة في أحيان أخرى. ولعل النقطة الأساسية هنا تحديد متى وكيف تتحقق تلك المنفعة.

وقد نظرت إلى الكذب الدولي من وجهة نظر نفعية بحتة، وذلك لوجود أسباب قوية لتبرير ذلك، ولم يكن مسـتغربا أن نجد أكثرها في السجلات التاريخية. ويعتقد الكثيرون أن هناك ظروفا في السياسة الدولية يكون فيها الكذب مفيدا. بيد أن هذا لا يعنـي بالطبع أن ننكر البُعـد الأخلاقي لهذه الظاهرة. عـلى أي حال، فإن هذه المهمة تتطلب منا الأخذ في الاعتبار جملة من الحسابات المختلفة والاعتبارات التي تقع خارج نطاق هذا الكتاب.

(*) Eric Aherman, *When Presidents Lie: A History of Official Deception and Its Consequences (Viking Adulh, 2004).*

(**) إيمانويل كانت، من أبرز فلاسـفة ألمانيا للقرن الثامن عشر، ويعتبر من آخر فلاسـفة عصر التنوير، ركز كانت على نظرية المعرفة، وأكثر أعماله شهرة كتاب «نقد العقل المجرد» الصادر في العام 1781. [المترجم].

(***) أوغستين، لاهوتي وفيلسوف من القرن الخامس، وقد طورت كتاباته الفلسفة الغربية إلى حد كبير. [المترجم].

وعــلى وجــه العموم، فإن القــادة يكذبون دوليا لســببين مختلفــين. فهم قد يكذبون خدمة للمصلحة الوطنية. وهذا ما يعرف بـ «الكذبة الإســتراتيجية» والتي عادة ما يســتخدمها القادة ذريعة للحفاظ على مصلحة بلدانهم في وجه التقلبات السياسية مع الغير. كذلك، فإن القادة يكذبون «أكاذيب شخصية أنانية»، لا علاقة لها بمصلحة الدولة، ولكنها موجهة للحفاظ ولحماية مصالحهم الشخصية أو مصالح أصدقائهم. غير أن اهتمامي في هذا الكتاب ينصب على الكذب الذي يطلقه القادة لأجــل المصلحة العامــة، وليس لأجل مصالحهم الشــخصية. وعليــه فإنني عندما أســتخدم عبارة الكذب الدولي، فإنني أعني بها الكذب الإستراتيجي وليس الكذب للمصلحة الشخصية(*).

ويرتكز التحليل التالي على أربعة أســئلة. أولا، مــا أنواع الأكاذيب الدولية التي يطلقها القادة؟ ثانيا، لماذا يكذبون؟ وما المبررات المنطقية الإستراتيجية وراء كل نوع مــن أنواع الكذب؟ وبالتحديد، ما المنافع المحتملــة للكذب التي دفعت القادة إلى الدخول في مثل هذا الســلوك المشــين؟ ثالثا، ما الظروف التي تجعل من حدوث أي نــوع من الكذب أكثر أو أقل احتمالا؟ رابعا، ما التكاليف الكامنة للكذب، وما مدى تأثيرها في السياســة المحلية للدولة وكذلك سياســتها الخارجيــة؟ وبعبارة أخرى، ما الجانب الســلبي للكذب الدولي؟ وبالتالي ســأتطرق إلى المنافع والأضرار الناتجة عن الأكاذيــب المختلفة التي يطلقها رجال الدولة والديبلوماســيون بعضهم على بعض وعلى شــعوبهم أيضا. غــير أنني في المقابل لن أتطرق إلى الســؤال المهم، وهو متى يمكــن للكذبة أن تحقق الهــدف المطلوب من إطلاقها؟ وذلــك لأنني لم أتمكن من الحصول على إجابة شافية وكافية.

أحــاول الإجابة عن تلك الأســئلة من خلال أطر تحليلية بســيطة، تســتند إلى المؤلفات النظرية في العلاقات الدولية، وكذلك إلى الأدبيات الكثيرة عن الكذب. كما حاولــت أيضا أن يكون نقاشي للموضوع منطقيــا ومقبولا، وقد اعتمدت على إبراز البراهــين التاريخية لإثبات ذلك. بيد أنني لم أختبر فرضياتي المختلفة لترتيب الدلائل بشــكل منظم. فهذه المهمة، هي أوسع من نطاق هذا الكتاب، الذي يتركز همه في

(*) أخذا في الاعتبار أن المؤلف يركز منهجيا على الكذب الإستراتيجي، غير أنه من الصعوبة بمكان الجزم بأن كذبة ما قد أُطلِقت لأسباب إستراتيجية، حيث من الممكن أن يكون شكلها الظاهري إستراتيجيا بينما حقيقتها شخصية. [المترجم].

توفـير أطروحة نظرية عن الكذب في الإطار الدولي. وأتمنى أن يقوم باحثون آخرون بفحص واختبار ما عرضته في الصفحات التالية بصورة منهجية.

المقاربات الرئيسة وخريطة الطريق

ســوف أطرح كثيرا من المزاعم في تحليلي التالي، غير أن خمسة منها تتقدم على غيرها. أولها، أن الكذب الدولي يأتي بأشــكال كثــيرة، لكن أهمها التمييز بين الكذب بين الدول، والكذب الذي يطلقه القادة على شعوبهم.

ثانيها، أن القادة عادة ما يطلقون أكاذيب دولية لأسـباب إسـتراتيجية منطقية، لا لأنهم ضعفاء أو فاســدون. وحتى لا يُســاء الفهم، فإنني هنا لا أقول إن الكذب فضيلة عظيمة، أو أن الإكثار من الكذب على الساحة الدولية يعد أفضل من التقليل منه. ولكن مــا عنيته هو أن الكذب أحيانا يكون وســيلة مفيدة للدولة في عــالم تتجاذبه المخاطر. حقيقة الأمر هي أن القائد قد يطلق أحيانا ما سماه أفلاطون: «الأكاذيب النبيلة».

فمثلا، كذب الرئيس فرانكلين روزفلت على الشعب الأمريكي فيما يخص الهجوم الألماني على الســفينة البحرية الأمريكية (Greer) في أغســطس مــن العام 1941. كان حينهــا يحــاول إدخال الولايات المتحــدة في الحرب العالميــة الثانية ضد ألمانيا النازية، والتي بدا أنها كانت في طريقها لغزو أوروبا بأجمعها. كانت مقاصد روزفلت صحيحة، وكان مناسبا بالنسبة إليه أن يكذب في تلك الحالة.

أما ثالث المزاعم، ففي حين يبدو أن الكذب يشكل مظهرا ثابتا بين الدول، فإنه لا يمارس بشــكل اعتيادي. ففي نقاشي للكذب بين الدول، في الفصل الثالث، أعرض لحــالات كثيرة نجــد فيها الحكام يكذبون على دول أخرى غــير دولهم. وقراءة هذا الفصــل قد توحي للقارئ بأن الكذب بين الدول هو ســلوك روتيني يمارس بشــكل اعتيادي لدى رجال الدولة والديبلوماسيين. غير أنني وجدت صعوبة في العثور على حالات تؤكد ذلك. علاوة على ذلك، فإن الفصل الثالث قد شــمل كل الحالات التي استطعت الحصول عليها. وقد أثار استغرابي مدى الصعوبة التي واجهتني في العثور على الدليل لإثبــات محاولات خداع الدول بعضها لبعض في حالات التفاوض[15]. في الحقيقة، يبدو أن الحكام أكثر ميلا إلى الكذب على شعوبهم مما يكذبون على الدول المنافسة. ويظهر هذا بالأخص في الدول الديموقراطية مثل الولايات المتحدة.

رابعــا، من أخطر أنواع الكذب الدولي ذلك الذي يطلقه الحكام على شــعوبهم. وفي الأغلب يعود ذلك الكذب بالضرر على موقف الدولة الإستراتيجي أكثر مما يسببه كــذب الحكام عــلى دول أخرى. كذلك فإنه على الأرجح يفســد ويعكر صفو الحياة الاجتماعية - السياسية داخل الدولة، مما يكون له أثر سلبي في الحياة اليومية.

خامســا، وبسبب أن أمريكا دولة بالغة القوة، ومنغمسة بثقلها في أنحاء العالم، يواجــه قادتها أحيانا كثيرة مواقــف صعبة يكون فيها الحافز على الكذب قويا جدا، ســواء على الدول الأخرى أو على الشــعب. وهذا ما يدعو إلى القلق الشديد، إذ إن الكذب الدولي قد تكون له عواقبه الســلبية والوخيمة، وخصوصا على ديموقراطيات مثل الولايات المتحدة.

يتكون الكتاب من تســعة فصول، أبدأها بتعريف الكذب والنوعين الآخرين من الخداع وهما: الإخفاء والتلفيق. ويتناول الفصل الثاني: قائمة بالأكاذيب الدولية. وقد فرقت بين الكذب الإســتراتيجي والكذب الشــخصي، وأوضحت لماذا ســيكون التركيز على النوع الأول. وفي الفصول الخمسة التالية، أمعنت النظر في تفاصيل كل نوع من أنــواع الأكاذيب الإســتراتيجية، والمنطق وراء كل واحد منهــا، والاحتمال في وقوع أو عدم وقوع الكذبة. وفي الفصل قبل الأخير، تناولت الســلبيات والأضرار التي قد تنتج مــن الكذب الدولي. كما عمدتُ إلى تقويم أي من تلــك الأكاذيب قد يحدث أفعالا ارتدادية عكسية قد تضر بالسياسة الخارجية للدولة، وأي من تلك الأكاذيب قد يؤثر ســلبا في الجبهة الداخلية. وينتهي الكتاب بنقاش قصير بشأن معنى كل هذا الجدل بالنسبة إلى السياسة الخارجية الأمريكية، والولايات المتحدة ذاتها بصورة عامة.

1

ما الكذب؟

قبــل تعريف الكــذب والتلفيــق والتكتم (الإخفاء)، حريٌّ بنــا أن نعرّف الخداع، العنوان الشــامل الــذي يتضمــن الســلوكيات الثلاثــة المذكــورة. كما يجــدر بنا أيضــا أن نعرّف قول الصدق، وهو السلوك المضاد لمفهوم الخديعة.

فقول الصدق هو أن يعرض الفرد الحقائق عــلى أتمّ وجــه وبطريقة مبــاشرة وأمينة. كل منــا لديه قدرات متباينــة ومحدودة في معرفة تفاصيــل مجريــات حادثة مــا وتحيزاتها أيضا. كذلك فإن الذاكرة قد لا تســعف الإنسان، مما يجعل من المستحيل استعادة كل واقعة يعرفها الإنســان حين روايته الحادثة. بيــد أن النقطة الأساســية هنا هــي أن الراوي الصــادق يبذل جهدا حقيقيا للتغلب على أي تحيزات أو نوازع شــخصية ربما تكون كامنــة لديه ليروي الوقائع ذات الصلة بصورة منطقية وعادلة قدر الإمكان.

«إن الكــذب والتلفيــق وإخفــاء المعلومــات هــي كلها مــن أنواع الخديعة، والثلاثة جميعها مناقضة لقول الصدق».

على العكس من ذلك، نجد الخديعة هي أن يتخذ الفرد، بطريقة مقصودة، خطوات متعمــدة لمنع الآخرين من معرفة الحقيقة كاملة - كما يفهمها هو - بخصوص أمر محــدد. بمعنى آخر، أن يكــون الهدف المخطط له، هو عدم إيصال رواية مباشرة أو وصف شامل للأحداث.

أما الكذب، فهو عندما يتحدث الإنســان بمقولة يعرف أو يشك في عدم صحتها، ولكنه يأمل أن يظن الآخرون أنها حقيقة. فالكذب هو فعل مخطط لخداع جمهور معــين. وقد يتضمن الكذب تأليف حقائق يــدرك مؤلفها أنها غير حقيقية، أو إنكار حقائــق يعــرف أنها صحيحة. غــير أن الكذب لا يتعلق فقط بمــدى صدق حقائق معينــة، بل يمكن أن يكون عن طريق ترتيب الأحداث بطريقة خادعة ماكرة لتحكي قصة خيالية[1]. وفي هذه الحالة، يقود الكاذبُ المستمعَ إلى خلاصة خاطئة، من دون التصريح بوضوحٍ بتلك الخلاصة.

وبالطبــع، هناك احتمال دائم ألا يكون الشــخص الذي يظن أنه يطلق الكذبة عــلى علم بالحقائــق، فينتهي به الأمر إلى قــول الحقيقة بطريقــة غير مقصودة. كــما يمكن أن يكون العكس أيضا صحيحا: شــخص يعتقد أنه يقول الصدق، ولكن الحقائق التي بين يديه تكون خاطئة. وعلى أي حال نحن غير معنيين بهذه النقطة، وهي خارجة عن الهدف الأساس للكتاب، فاهتمامي ينصب تحديدا على ما إذا كان شــخص ما صادقــا - يقول الحقيقة، أو يروي حكاية يعتقــد أنها صحيحة – وليس عــلى صحة أقواله من عدمها. بعبــارة أخرى، فإن اهتمامي منصبّ على الصدق، لا على الحقيقة[2].

أمــا التلفيق، فيختلف عن الكــذب، وإن كان التمييز بينهــما ضبابيا في بعض الحالات. التلفيق هو حين يروي شــخص ما حكاية يركــز فيها على أحداث معينة، ويربــط بعضهــا ببعض بطريقة تصب في مصلحته، بينــما يقلل من أهمية حقائق أخــرى أو يتجاهلها. فالتلفيــق هو عرض الأحداث المعروفة بصــورة معينة تخدم مصلحــة الفرد المعني. في حالــة التلفيق، لا تبذل أي محاولــة لتقديم عرض وافٍ للأحداث، فالقصة المروية هنا مشــوهة، لكنها ليســت كذبة. إنه نوع من المبالغة أو التشــويه. وقد استطاع تايغر وودز[*]، القبض على جوهر هذا المعنى في مقابلة

(*) تايغر وودز، لاعب الغولف الأمريكي. [المترجم].

أجرتها معه مجلة «سبورتس إلستريتد» في العام 2000، حين قال «تعلمت أنه بإمكانك دائما أن تقول الحقيقة، ولكنك لست ملزما بقول الحقيقة كلها»[3].

ما يحصل عادة في أروقة المحاكم الأمريكية يعطينا توضيحا كاملا للفرق بين الكذب والتلفيق. فعندما ينادى على أحد الشهود، عليه أن يؤدي القسم بأن يقول «الحقيقة، كل الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة»، وبعدها يُسأل عدة أسئلة من المفترض أن يجيب عنها بكل صدق. والشخص على منصة الشهود قد يكذب، ولكن النقطة الأساسية هي أن عليه، بموجب القانون، أن يدلي بما يعتقد أنه حقيقة. وفي المقابل يكون الهم الأكبر بالنسبة إلى محامي الدفاع أو الادعاء هو كسب القضية، وليس التأكد من الحقيقة الكاملة في النزاع. وعليه فإن كلا منهما يبدأ مرافعته وينهيها بتلفيق الأحداث والحقائق بعضها مع بعض بطريقة براقة تعطيه الأفضلية. وبالتالي يروي المحاميان المتنافسان قصتين مختلفتين، ولكن من غير المسموح لأي منهما أن يكذب. فنقابة المحامين الأمريكية، على سبيل المثال، تشترط في لائحتها السلوكية أنه «من غير المسموح للمحامي أن يدلي عن علم ببيان كاذب أمام المحكمة»[4]. أما التلفيق، فليس مسموحا به فقط، بل إن المحامين يعتمدونه بشكل روتيني لمصلحة موكليهم.

النوع الثالث من الخديعة هو الكتمان أو الإخفاء أو التستر، وهو يتعلق بحبس الحقائق وإخفائها حتى لا تؤثر في موقف الفرد. وفي هذه الحالة يلتزم الفرد الصمت ببساطة لأنه يريد إخفاء الحقيقة عن الغير. أما إذا سئل سؤالا عن القضية وكذب لإخفاء الحقيقة فإن هذا يطابق تعريفنا للكذب. وأحد الأمثلة الجيدة على الإخفاء تمثل في قرار حكومة الرئيس بوش عدم إبلاغ الشعب الأمريكي قبل بدء حرب العراق في مارس 2003 أن شخصيتين مهمتين في تنظيم القاعدة - هما خالد شيخ محمد وأبو زبيدة[*] - قد أفادا المحققين الأمريكيين، كل منهما على انفراد، بأن أسامة بن لادن قد فكر في عقد تحالف مع صدام حسين ضد أمريكا، ولكنه في آخر الأمر عدل عن ذلك[5]. فلو كشفت هذه الحقائق للشعب الأمريكي، لكانت قوضت مزاعم

(*) خالد شيخ محمد هو أحد الشخصيات البارزة في تنظيم القاعدة، ويتهم بأنه كان العقل المدبر وراء اعتداءات 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة. وقد ألقي القبض عليه في باكستان في مدينة روالبندي في مارس 2003، وسُلّم إلى أمريكا، وهو موجود الآن في معتقل غوانتنامو. أما أبو زبيدة، وهو زين العابدين محمد حسين، فيشار إلى أنه سعودي من أصل فلسطيني. اعتقل في مارس 2002 في باكستان، وسُلّم إلى أمريكا، وهو معتقل حاليا في غوانتنامو. [المترجم].

حكومة بوش عن تعاون أســامة بن لادن وصدام، وهي معلومة كان لها أثر كبير في الحصول على دعم شــعبي ونيابي للحرب. هذا بالطبع ســلوك مخادع، ولكنه ليس كذبا، على الأقل بالنســبة إلى تعريفنا للكذب، لأنــه لم يتخذ خطوات فعلية لخداع أحد[6]. باختصار، عندما يلفق الفرد قصة أو يخفي حقائق ويكتمها، فإنه لا يكذب، ولكنه في الوقت نفسه لا يكون صادقا تماما[*].

ويعتبر الكذب، كما أكدت ســابقا، تصرفا مشينا ومســتنكرا، في حين أن البعض يعتقــد أن الكتــمان والتلفيق شيء مقبول، على الرغم من أن الســلوكين قُصد بهما الخديعة. وهناك ســبب محتمل للتمييز بين الســلوكين، وهو أنه من الصعب جدا رصــد الكــذب والحماية منه، كــما هي الحال مــع الكتمان والتلفيــق. فالكاذبون يطلقــون مزاعم باطلة بطريقــة منظمة ومحكمة بهدف ألا يُشــك في مصداقيتها. والكاذبــون المحترفون يعرضون مزاعمهم بقوة وبثقة عالية، مما يجعل من الصعب على الجمهور أن يكتشف الخديعة.

أما في حالة التلفيق، فيســتطيع الجمهور أن يعــرف أن الصورة التي أمامه غير مكتملــة وغير واضحة، فيعالج الخلل بملء الفراغات في الرواية. تحديدا، يســتطيع الجمهور أن يقارن بين قصة الملفق والدوافع الخفية التي جعلته يتجاهل ذكر بعض الأحداث بينما يتحفظ عن البعض الآخر. فإن كان هناك شــك ما في القصة، فيمكن للجمهور أن يطالب بمعلومات إضافية، أو يجري بحثا يتحقق من خلاله من الصورة الكاملة، أو يســتمع إلى طروحات ملفقين معارضين آخريــن، وغالبا ما توجد منهم أعداد ليست بالقليلة، وبالذات حين يتعلق الأمر بالسياسة الخارجية.

يســتطيع الجمهور أن يحمي نفسه بطريقة معقولة ضد الكتمان. وعلى الأخص يمكن دائما الســؤال عما إذا كانت هناك معلومــات إضافية عن أمر محدد، وبالتالي توقــع الحصول على إجابة حقيقية. غير أننا لا نســتطيع تجاوز حقيقة أن الجمهور المعني هنا قد لا يكون ملما بكل القضايا المرتبطة بالموضوع. فأحيانا لا يعلم الإنسان أنه لا يعلم فلا يستطيع أن يحدد أي سؤال يسأل.

(*) هناك أيضا مقولة مشهورة في أروقة السياسة البريطانية، حيث يقول السياسي عند اتهامه بالكذب «إننا لا نكذب ولكننا نقتصد في قول الحقيقة». ويرجع القول إلى الســياسي البريطاني إدموند بورك (1796). كما توجد مقولة أخرى أيضا في الوسط السياسي: «أفضل طريقة للكذب المشروع هي أن تقول نصف الحقيقة». [المترجم].

وتأكيد على أن الكذب يعتبر سـلوكا مشينا، لأنه يصعب رصده واكتشافه، دعونا نأخـذ أمثلة من حياتنا اليومية، حيـث يعتبر فيها الكذب تصرفا مقبولا: ففي المجال التجاري مثلا، عادة ما يتفاوض البائع والمشتري للوصول إلى سعر متفق عليه لسلعة ما كعربة أو منزل مثلا. من المسموح لكل منهما أن يكذب على الآخر بشأن «السعر التحفظي»، وهو أدنى أو أعلى سـعر يقبل به البائع أو المشـتري. ويعرف كلاهما أن الكذب - والتعبير الملطف هنا هو «التحايل» - هو جزء من اللعبة، لذلك، لا أحد من الطرفين امتاز على الآخر فيما يخص سـعر الشراء أو البيع. في الحقيقة نحن نتحدث هنا عن معركة عادلة متكافئة، حيث لا يدعي أحد أنه قد خُدع من الطرف الآخر.

ليس بالأمر المسـتغرب ألا يعتبر الكذب حول «السعر التحفظي» سلوكا معيبا أو مشـينا. ويمكن للفرد أن يقول إن هذا النوع من التحايل لا يعد كذبا، وكما يرى السياسي البريطاني هنري تايلور: «لا يصبح الكذب كذبا عندما يكون معلوما لجميع الأطـراف أن قـول الصدق غير متوقـع»(7). وبالطبع أنا لا أتفق مـع هذا المنطق، فالبائع والمشـتري لا يقولان الحقيقة بقصد متعمد لخداع الطرف الآخر، وهذا هو جوهر الكذب.

خلاصـة القول أن الكـذب والتلفيق وإخفـاء المعلومات هي كلهـا من أنواع الخديعـة، والثلاثة جميعها مناقضة لقول الصدق. وسـيتمحور النقاش التالي حول كيفية استخدام الكذب لخداع الآخرين في مجال السياسة الخارجية. ولكن على أرض الواقع، تشـمل حملات الخديعة بطريقـة متباينة كلا من التلفيق والكتمان وكذلك الكذب. وفي الحقيقة، فـإن العار الذي يلحق بالكذب بجميع أنواعه، يجعل القادة الذين يظنون أن لديهم الأسـباب المنطقية التـي تدفعهم إلى خداع الدول الأخرى، أو خداع شـعوبهم، يفضلون التلفيق والكتمان على الكذب الصريح. فلا أحد يفضل وصفـه بالكاذب، حتى لو كان القصد من الكذب أهدافا نبيلة. وربما يعود ذلك إلى أنه من الصعب أن يكذب الإنسـان من دون اكتشاف كذبته وإدانته بها. وبالطبع، فـإن القادة أحيانـا يبررون ذلك بأنهم مضطرون ولا خيـار لهم إلا الكذب لمصلحة بلدانهـم. وبصورة عامة، فإن الكذب يكون الخيار الأخير للقادة الذين يسـعون إلى خداع دولة أخرى.

دعونا الآن ننظر في أنواع الكذب في السياسة الدولية.

2

قائمة بالأكاذيب الدولية

في مضمار السياسة الدولية، بإمكان القادة أن يختلقوا سبعة أنواع من الأكاذيب. ولكل نوع من تلك الأكاذيب غرض محدد، وإن كان من الممكن أن تؤدي كذبة واحدة أغراضا متعددة. فعلى سبيل المثال، الكذبة التي يطلقها قائد لشعبه بخصوص تهديد خارجي محتمل، للحصول على دعم شعبي للتصدي للتهديد (إثارة الذعر)، من الممكن أن تحيي الروح الوطنية في البلاد، من خلال تصوير العدو بطريقة سلبية جدا (خلق الأساطير القومية). وهذا النوع من الأكاذيب، تحديدا، يوجهه صانعو القرار السياسي لشعوبهم، ولكن الأكاذيب يمكن أن توجه أيضا إلى الدول المعادية، كما يمكن أن توجه إلى الدول الصديقة. ولكن الكذبة التي توجه إلى أي من هذه الجماهير، ستصل بالضرورة إلى الأطراف الأخرى، مما قد يجعل لها آثارا إيجابية أو سلبية.

«عادة ما ينتهي الأمر بالقادة المنشغلين بالكذب على الدول بأن يخدعوا شعوبهم، على الرغم من أنهم ليسوا المقصودين بالخداع»

توجـه الأكاذيـب بين الـدول مبـاشرة إلى الدول الأخـرى إمـا لتحقيق تفوق إسـتراتيجي، وإما للحيلولة دون تحســن وضعها على حساب وضع الدولة الكاذبة. وعـادة ما يوجه هـذا النوع من الكذب إلى الدول المنافسـة، بيد أن الدول تكذب أحيانا على حلفائها. وعادة ما ينتهي الأمر بالقادة المنشغلين بالكذب على الدول بأن يخدعوا شعوبهم، على الرغم من أنهم ليسوا المقصودين بالخداع.

يظهر أسـلوب «إثارة الذعر» عندما يكذب قائد ما على شـعبه بشأن قضية سياسـة خارجية بخصوص تهديد يواجه البلد، معتقدا أن شـعبه لا يعطي ذلك التهديـد حقه. والقصد من ذلك هو دفع الشـعب لكي يأخـذ التهديد بصورة جدية، وتقديم التضحيات للتصدي له. لا يلجأ القادة هنا إلى إثارة الذعر، لأنهم أشرار، أو لتحقيق مكاسـب شـخصية، لكنهم يضخمون تهديدا معينا في سبيل المصلحة الوطنية.

أما «التغطيات الإستراتيجية» فهي أكاذيب تهدف إلى إخفاء سياسات فاشلة، أو سياسات مثيرة للجدل، عن الشعب، وأحيانا عن دول أخرى كذلك. ولا يطلق القادة هـذه الأكاذيـب لحماية غير الأكفاء الذين فشـلوا في عملهم، أو لإخفاء سياسـات غبيـة – وإن كان من الممكـن أن يتحقق ذلك كنتائج غير مقصودة. بل الهدف هنا هو حماية الدولة من الأذى. على سـبيل المثـال، يعتبر الكذب حول ضعف قدرات الجيش في حالة الحرب مهما للحفاظ على تماسـك وتضامن الجبهة الداخلية، والذي ربما يشكل الفرق بين النصر والهزيمة.

أمـا «صناعـة الأسـاطير القومية»، فهي حـين يطلق القادة الأكاذيب، بشـكل أسـاسي لشـعبهم، حول ماضي دولتهم[1]. فنجدهم يروون قصة يكون فيها «نحن» دائمـا على حق، و«هم» دائما عـلى خطأ. وتفعل النخبة ذلك عـن طريق إنكار أن دولتهـم، أو مجموعتهم العرقية، قد اقترفت مـا اقترفته في الواقع، أو ادعاء قيامهم بأشـياء لم يقوموا بها أصلا. وبالطبع، تطلق تلك النخبة ذاتها أكاذيب مشابهة بحق المجموعـات المعادية أو المنافسـة لهـا. الهدف هنا هو إيجاد حـس قوي بالهوية الجماعيـة بين المواطنين في العموم، لأن ذلك مهم في بناء الدولة القومية والمحافظة عليها، ولتشـجيع الناس على القتال في الحروب لأجل وطنهم. وأحيانا تسـاعد هذه الأساطير الدول على تحقيق شرعيتها بين الدول الأخرى.

وتصمم «الأكاذيب الليبرالية»، للتغطية على سلوك يتناقض مع منظومة المبادئ المتعارف عليها بشــكل واســع في أنحاء العالم، والتي تمثل العمــود الفقري للقانون الدولي. فالدول بجميع أشــكالها ونظمها السياســية، بما في ذلــك الأنظمة الليبرالية الديموقراطية، تتصرف أحيانا بشكل وحشي تجاه دول أخرى، أو تشكل تحالفات مع دول ممارساتها سيئة. وعندما يحدث ذلك، يختلق القادة قصة يروونها لشعوبهم، أو للعالم على اتســاعه، بهدف محاولة التمويه على تصرفاتهم غير المتسقة مع الأعراف الليبرالية، بأسلوب بلاغي مثالي.

وتأتي ممارســة «الإمبريالية الاجتماعية» حين يطلــق القادة الأكاذيب عن دولة أخرى بهدف تنمية مصالحهم الاقتصادية أو السياســية، أو لمصلحة طبقة اجتماعية أو مجموعة بعينها. ويســتهدف هذا النوع من الأكاذيب صرف نظر الشــعب عن مشاكل أو قضايا مثيرة للجدل في الساحة المحلية لخدمة شريحة صغيرة في المجتمع، وليس المصلحة العامة. فعلى سبيل المثال، قد يحاول القادة أن يزيدوا من هيمنتهم عــلى مفاصل القوة في الدولة، عن طريــق المبالغة في تصوير تهديد محتمل، وخلق حالة من الخوف في المجتمع، مما يؤدي إلى التفاف الشعب حول النظام.

وتظهر «التغطيات الشــنيعة» عندمــا يكذب القادة بخصــوص تخبطاتهم، أو سياســاتهم الفاشلة لمصالح شــخصية. ويكون هدفهم الأســاسي في هذه الحالة هو حماية أنفســهم، أو أصدقائهم، من عقاب مســتحق[2]. ولا يســعى هذا النوع من الأكاذيب إلى تحقيق مصلحة عامة، كما هي الحال مع التغطيات الإستراتيجية. ولكن لأن التغطيات الإستراتيجية تنتهي بحماية الفاشلين والإبقاء عليهم في مراكزهم، فمن الصعب أحيانا، التمييز بين هذين النوعين من أكاذيب التغطية.

هذه هي الأنواع الســبعة التــي يتكون منها عالم الأكاذيــب الدولية[3]. بيد أن النقاش التالي سيتمحور حول الأكاذيب التي تطلق بهدف تحقيق المصلحة الوطنية. تخــدم تلك الأكاذيب الإســتراتيجية العامــة، بعكس الأكاذيب الأنانيــة، التي تفيد شــخصا معينا أو مجموعة أفــراد. وبالتالي فإننا لن نطــرح للنقاش مجددا أكاذيب التغطيات الشنيعة أو الإمبريالية الاجتماعية.

لقد تجاهلنا هذين النوعين من الأكاذيب، لأنه لا توجد قيمة إســتراتيجية لهما. وبالطبــع ، نحــن ندرك جيدا لمــاذا يطلق الأفراد أكاذيب من هــذا النوع، ولكن لا

أحد يرى أنهما سـلوكان مشروعـان أو مقبولان. بل إن أغلبية المراقبين سـيندِّدون بهذه الأكاذيب الأنانية ليس لأنهما يحملان أثرا مفسـدا في الحياة السياسـية فقط، ولكـن لأنهما يضعفان المصلحة الوطنية عموما. باختصـار، فإن أكاذيب الإمبريالية الاجتماعية والتغطيات الشنيعة ليست لديهما قيمة اجتماعية.

أما الأكاذيب الإسـتراتيجية، فهي موضوع مختلف. حيث إنها تستهدف تحقيق المصلحـة العامـة، وعادة ما يتوافـر لها قدر مـن المشروعية. وفي الأسـاس، يمكن للأكاذيب الإستراتيجية أن تؤدي دورا مفيدا للدولة، مع العلم أن هناك دائما احتمال أن ينتج عنها ضرر أكثر مما يتحقق من منفعة. وبالتالي سـيكون تركيزنا على الأنواع الخمسـة من الأكاذيب الإسـتراتيجية: الكذب بين الدول، وإثارة الذعر، والتغطيات الإسـتراتيجية، وصناعة الأسـاطير القومية، والأكاذيب الليبرالية. وبالإضافة إلى شرح كل نوع من الأكاذيب بالتفصيل، سـأشرح أطرها المنطقية، وأوضِّح متى من الممكن ظهور هذا النوع أو ذاك. بعبارة أخرى، سأحاول شرح لماذا ومتى تظهر هذه الأنواع المختلفة من الأكاذيب الدولية.

3

الكذب بين الدول

أطلق السـير هـنري ووتـون، الدبلوماسي البريطاني في القرن السابع عشر، تعليقا مشهورا بأن السـفير هو «رجل أمين، أرسل إلى الخارج، ليكذب من أجل مصلحة دولته»[1]. وتوضح لنا هـذه العبارة حقيقة أن الـدول يكذب بعضها على بعض، لاعتقادها أن الكذب يفيد مصلحتها الوطنية. بيـد أن تعليق ووتون غير دقيق، لأنه يوحي بأن الدبلوماسيين ورجال الدولة يمارسون الكذب بعضهـم على بعض طوال الوقت، بينما واقـع الحال أن القـادة السياسـيين وممثليهم الدبلوماسـيين يتعاملـون بالصـدق أكثر من الكذب. وحتـى عندما يضطـر أحدهم إلى أن يخدع الآخر، فإنه يلجـأ في الأغلب إلى الكتمان والإخفـاء لا إلى الكـذب الصريح. فالسرية، كما يعرف طلاب السياسة الدولية، هي تقليد عريق تسـتغله الدولة لتطوير إستراتيجيتها وأسلحتها للتفوق على منافسيها.

«حتـى يكون الكذب بـين الدول مجديـا، فـلا بـد أن يتـم بحذر وانتقائية»

ما الأســس التي ترتكز إليها هذه المزاعــم؟ كما أشرنا، فأنا لا أختبر مقولاتي على ضوء السجلات التاريخية. فمن غير الممكن قياس عدد المرات التي كذب فيها رجال الدولة والديبلوماسيون بعضهم على بعض في الماضي، مقارنة بكم مرة كانوا صادقين بعضهم مع بعض. ولعل أحد أســباب ذلك هو التداخل الكبير في القرون الســابقة بــين قادة الوحدات السياســية المختلفــة التي كونت النظــام العالمي، مما يصعب عملية اختيار عينة من تلك القاعدة الضخمة للبيانات. ولكن، حتى لو كانت عملية الاختيار ممكنة، فإنه يصعب أن نتحرى عما تسرب من كثير من تلك الحالات. ونحن لا نملك إلا القليل من السجلات التي توضح لنا ما حصل في الماضي البعيد، وحتى في الحالات الأكثر قربا، نجد أن السجلات غير مكتملة أحيانا. وللأسباب نفسها، سيكون من الصعب - إن لم يكن مستحيلا - أن نحدد حجم الكذب بين الدول بدقة، مقارنة بالكتمان والتلفيق.

وادعائي عدم وجود كذب كثير بين الدول على مر الســنين مبني على اعتبارين: الأول، الصعوبــات التي واجهتني في الحصول عــلى أمثلة عن حكام يكذب بعضهم على بعض، على الرغم من أني حصلت على بعض الحالات، أغلبها نوقشــت ســابقا. كذلك فقد طلبت من باحثين آخرين لديهم معرفة عميقة بتاريخ العلاقات الدولية أن يمدوني بأنواع من الأمثلة التي يكذب فيها القادة والديبلوماســيون بعضهم على بعــض. كان رد فعلهــم التلقائي – كما كان رد فعلي - أنه لا بد أن هناك أمثلة كثيرة في هذا الشــأن؛ ولكن انتهى الأمر على غير ذلك حيث لم يجد أي من الذين سألتهم إلا حالات قليلة يظهر فيها كذب بين الدول.

وبالطبع فإن تعريف الشــخص لمفهــوم الكذب يؤثر في أي تقييم لمدى وجود كذب بين الدول، أو أي شــكل آخر من أشــكال الكذب. فمثلا، لاحظت سيســيلا بوك في دراســتها المهمة عن الكذب أن بعض الناس يعرفون مفهوم الكذب بصورة واســعة إلى درجة أنهم يعتبرون «كل أشــكال الخديعة أكاذيب، بغض النظر عما إذا تضمــن ذلك أو لم يتضمن عبارات أو بيانات مــن أي نوع». وحين يطبق هذا التعريف الواســع، فعندئذ يمكــن للناس أن يقولوا إن الكذب ظاهرة شــائعة في الحياة اليومية، «وإن متوســط الكذب للفرد يتعدى العشرات بل مئات الأكاذيب في اليوم الواحد»[2].

وإذا طبقنا هذا التعريف الواسع على واقع السياسة الدولية، فإنه سوف يشمل التلفيق والكتمان. كما أنه يشـمل الإصرار على عدم قول الحقيقة عن قصد، وحينها فقـط يمكن القول إن الكذب بين الدول هو ممارسـة معتادة. أما إذا جرى تعريف الكذب بصورة أدق وأضيق، كما هي الحال مع سيسيلا بوك، ومعي أيضا، فلن يكون شـائعا ومنتشرا كما يظن، على الرغم مـن أنه معروف. وأعتقد أن التعريف الضيق هو أكثر منطقية، لأنه يعطينا الفرصة، كي نميز بين أنواع الخديعة، وكي نبحث في أين، ولماذا، يطبق كل نوع منها.

قد يجادل البعض بأن السياسـيين والديبلوماسـيين الذيـن يكذب بعضهم على بعـض لن يعترفوا بأنهم كذبوا، بل سـنجدهم دائما يبذلون جهـودا مضنية لإخفاء ذلك. ومن المحتمل أن تكون هناك حالات كذب كثيرة بين الدول، ولكني فشلت في كشـف أغلبها، لأنها عادة ما تكون محكمـة الإخفاء عمن هم خارج عملية صناعة القرار. ولهذا النوع من الجدل فوائده الجمة بالطبع، عند تحليل الأحداث المعاصرة، مادامت المعلومات المهمة عادة ما تُحجب عن العامة، وعليه فإنه من الصعب على من هم خارج الدائرة أن يعرفوا ما يدور وراء الأبواب المغلقة. وكذلك، فكلما حاولنا أن نعالج قضايا أقدم تاريخيا، وجدنا أن سـجلات صنع القرار غير مكتملة، وناقصة، تقريبـا في معظم البلـدان، مما يعني أنه ربما كان الكذب بـين الدول أمرا عاديا في زمن مضى، ولكننا نقف عاجزين عن اكتشـافه. وحتـى في الوقت الحاضر، نجد أن السـجلات التاريخية لبعض الأحداث القريبة غـير مكتملة، مما يثير احتمال وجود أكاذيب مطمورة في العمق.

وعـلى الرغم من كل هـذا، مازلت أعتقد أنه لا توجد أكاذيب كثيرة مخفية بين الدول في الماضي البعيد. وقد أسسـت تصوري هـذا على حقيقة أن لدينا معلومات كثـيرة عن قرارات سياسـة خارجية مهمـة في القرنين الماضيين ومـن دول مختلفة، مـما يجعل من الصعب على القادة أن يخفوا أكاذيبهم ويحصنوها من الاكتشـاف. ويكـون ذلك أكثر وضوحا بالنسـبة إلى الأكاذيب التي كان لها أثر كبير في سياسـة الدولة الخارجية. وعلى أي حال، فإن حملات الخداع المخطط لها يشـارك فيها عادة عـدد كبير مـن الناس، ويقوم البعـض منهم على الأقل في نهايـة المطاف بالإفصاح وكشـف الأمر. بالإضافة إلى ذلك، فإن الوثائق المكتوبة، التي عادة ما تكون متوافرة

بكثرة في مثل هذه الحالات، قد ظهرت للعيان. وبالتالي فإن معظم التفاصيل الرئيسة للأحداث التاريخية القريبة قد أصبحت في متناول الجمهور - بما فيها الأكاذيب. ولا يمكن أن ننكر أن بعض الأكاذيب المحكمة قد نجت من الرصد والاكتشـاف، ولكن من الصعب تخيل وجود حالات كثيرة من هذا النوع.

وهناك سـبب آخر يجعلنـي أظن أن الكذب بين الدول هـو أمر غير اعتيادي، وذلـك لأن خداع قـادة دول أخرى أمر بالـغ الصعوبة. وحتى عندمـا يكون الأمر ممكنا، فإن تكلفة الكذب غالبا ما تتجاوز فوائده. بعبارة أخرى، هناك مبررات قوية ترغمنا على ألا نتوقع أن يكون الكذب بين الدول ممارسة عادية .

وبـادئ ذي بدء، فإن المنطـق الواقعي يبين لنا مدى صعوبة تخلص الحكام من جريـرة الكذب عندما تواجه مصالحهم الإسـتراتيجية في الداخـل خطرا ما. فالدول التـي تعيش في حالـة فوضوية تتولد لديهـا في أحيان كثيرة نزعة قوية لاسـتعمال العنـف والطرق الملتوية من أجل البقـاء، وهذه المنظومة بالتأكيد تتضمن الكذب. ولقد أدرك ذلك رئيس الوزراء الإسرائيلي السـابق إسحاق شامير حين قال «من أجل أرض إسرائيل يجوز الكذب»[3]. وعليه، فإنه ليس بمستغرب، أن نجد معظم الرؤساء، وعددا كبـيرا من مواطنيهم، يعترفون بأن العلاقـات الدولية تحكمها، إلى حد كبير، مجموعـة قواعد تختلـف عن تلك المعمول بهـا في الحياة اليوميـة داخل الدولة. ولذلـك عندما يتعلق الأمر بالمواضيع الحيوية المهمة في الدولة، فليس من السـهل أن تؤخـذ تصريحات دولة أخرى عـلى محمل الثقة من دون التمحيص والتأكد من مصداقيتها[4]. وفي السياق نفسه جاء تصريح مشهور للرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان محذرا: «ثق، ولكن تحقق». وعلى سبيل المثال، لن يقبل أي زعيم غربي ادعاء إيران أنها لا تطور سـلاحا نوويا ويترك الأمر عند ذلك الحد. بل سـيصر على تمكين المنظمة الدولية للطاقة الذرية من تفتيش وفحص المنشآت النووية الإيرانية، للتأكد من أنها لا تسعى إلى الحصول على أسلحة نووية.

وتصبح المسـألة في غاية الحدة عند محاولتنا تقييـم نوايا دول أخرى، لأنه من الصعب معرفة تلك النوايا بدرجة عالية من اليقين. من الأسـهل، وإن لم يكن سـهلا بالضرورة، تقييم نشـاط الدولة العسـكري، وقدراتها الحربيـة التي يمكن أن نراها بالعـين المجردة. أمـا النوايا فهي في عقـول صناع القرار، ومـن الصعب ملاحظتها

وقياسها، مما يؤدي في نهاية الأمر إلى تقليل الثقة بين الدول. بالنظر إلى تدني مستوى الثقة هذا، فإنه يستحيل على الرؤساء أن يفلتوا بكذبهم بعضهم على بعض، خصوصا عندمـا تكون المخاطرة عالية. ولـذا، فإنه ليس من المسـتغرب ألا تتضمن الوثائق التاريخية إلا النزر اليسير من الأمثلة المؤثرة والفعالة لأنواع الكذب بين الدول.

إن رجـال الدولة والديبلوماسـيين أكثر ميـلا إلى الثقة بعضهـم ببعض عندما يتعاملـون مع قضايـا لا تترتب عليها عواقب إسـتراتيجية خطـيرة في حال انطلت كذبـة على أحد الطرفين. وبعبارة أخرى، القادة هم عادة أقل انزعاجا عند تعرضهم لخديعـة تتعلق بالاقتصاد أو البيئة - «السياسـات الدنيـا» - مقارنة بقضايا الأمن القومي - «السياسات العليا» - حيث تكون الثقة عملة نادرة[5]. وربما يظن البعض أن هنـاك عددا كبـيرا من الأكاذيب يجـري إطلاقها عند التعامل مع «السياسـات الدنيـا»، وذلك لتوافر الثقة بين الزعماء، مما يزيد من احتمالات تعرضهم للخديعة. بيد أن ذلك ليس هو واقع الحال؛ فلا توجد أكاذيب كثيرة، حتى عندما يتعلق الأمر بالسياسات الدنيا.

أحد الأسباب في قلة الكذب في السياسات الدنيا، يرجع إلى أن الفائدة التي تجنى من الكذب ليسـت كبيرة. ولأن الفائدة المتوخاة من الكـذب قليلة، فإن التكاليف الناتجة من الخديعة على الضحية ليسـت كبيرة، وبالتالي نجدها تتخلى عن الحذر. وهناك سـبب آخر، وهو أنه إذا شـعر الكل بأن الرؤسـاء يكذبـون، فلن يصدقهم أحـد بعد ذلك، وهذا ثمن غـال لا يمكنهم تحمله. فالكذب يكون فعالا فقط عندما يعتقد الضحية المخدوع أن ما يقوله الكاذب هو الحقيقة. وبناء على ذلك، لا بد أن تتوافر أسباب مقنعة للقادة ليقتنعوا بأنهم ليسوا مضللين، مما يعني أنهم لا يكذب بعضهم على بعض بشكل مستمر، وإلا أصبح سلاح الكذب غير مجدٍ. باختصار، حتى يكون الكذب بين الدول مجديا فلا بد أن يتم بحذر وانتقائية.

أما السـبب الأخير، فهو أنه إذا ظل الرؤسـاء يكذب بعضهم على بعض، فإن ذلك سيجعل التعامل البناء فيما بينهم مستحيلا في المستقبل، فلن يعرفوا الصدق من الكذب. أما إن اعتاد أحد القادة الكذب بشـكل متواصل، فستسـوء سمعته بـين أقرانه، ويصعب التعامل معه في عقد الاتفاقات مما يعود سـلبا على دولته. وينعكـس هذا الضرر بالأخص على الأمور الاقتصادية والبيئية التي تتطلب ميثاقا

وتعاونا مستمرا على مدى سنوات مقبلة. بعبارة أخرى، الكذب الكثير غير مفيد.

ونخلص إلى القول إن الكذب له حدوده في العملية السياسية.

لماذا تكذب الدول بعضها على بعض؟

يعــود الســبب الرئيس في كذب القــادة على جمهور أجنبي إلى كســب تفوق إســتراتيجي عليــه. ولأن الدول تعيــش في عالم فوضوي، حيث لا أحد يحرســها من الأخطار، فليس أمامها سوى خيار توفير الحماية الذاتية. وتتمثل أفضل الطرق التي تعزز بها الدول فرصها في البقاء في اكتســاب القوة للتفوق على قريناتها من الدول. بإمكانها أيضا أن تلجأ إلى أســلوب الخديعة، الذي من ضمنه الكذب، لكي تكون لها الأفضلية على عدو محتمل. وفي عالم محفوف بالمخاطر كهذا، على القادة أن يعملوا كل مــا في وســعهم لحماية وبقاء دولهم. وقد أوضح آرثر سلفســتر، مســاعد وزير الدفاع للشــؤون العامة في حكومة الرئيس جون كنيدي، هذه النقطة بشــكل جيد عندما نشبت أزمة الصواريخ الكوبية، حين قال «إن حق الدولة الأصيل في أن تكذب عندما تواجه كارثة نووية هو أمر أســاس»[6]. وبعد عشرين ســنة تالية، وفي حقبة الرئيس جيمي كارتر، علق جودى باول، الســكرتير الإعلامي بأن «سلفستر كان محقا في رأيــه. فتحت بعــض الظروف، ليس للدولة الحــق في أن تكذب فقط، بل يصبح الكذب واجبا إيجابيا»[7].

من واقع الممارســة، يتخــذ الكذب بين الدول أشــكالا مختلفــة، ويتبع منطقا مختلفا. فلنســتطلع بعضا من تلك الأســاليب التي تكذب فيهــا الدول بعضها على بعض. وهذه القائمة ليســت حصريــة، على الرغم من أن أغلــب أنواع الكذب بين الدول سوف تدخل ضمن هذه الفئات:

النــوع الأول من هــذه الأكاذيب يحدث عندما يبالغ القــادة أحيانا في تصوير قــدرات دولهــم بقصــد ردع العــدو، أو حتى إخضاعه. على ســبيل المثــال، كذب هتلر بشــأن قدرات جيشــه في الثلاثينيات. فقد حاول تضخيم قوة الدفاع الألمانية (فيرماخت) (Wehrmacht) لتثبيط همم بريطانيا وفرنسا في التدخل لإعاقة إعادة تســليح ألمانيا، بالإضافة إلى تحركات سياسته الخارجية العدوانية، مثل إعادة تسليح راينلاند في 1936[8]. وفي الفترة نفســها تقريبا، قام جوزيف ســتالين بعملية التطهير

الشـنيعة للجيش الأحمر، مما أثر سـلبا في قدراته القتالية. وخشـية منه أن هذه العملية قد تجعل الجيش الروسي يبدو ضعيفا، مما يحفز الألمان على الهجوم عليه، أطلق سـتالين وضباطه الدعاية الكاذبة بأن الجيش السـوفييتي قوة هائلة خارقة، وهم يعلمون أن الحقيقة غير ذلك[9].

حادثة أخرى من النوع نفسـه، عن الكذب بين الـدول، ظهرت في أثناء الحرب الباردة، عندما أطلق الاتحاد السـوفييتي أول صاروخ باليسـتي في العالم (ICBM) في أكتوبـر من العـام 1957 [10]. كان الميزان الإسـتراتيجي النـووي في ذلك الوقت يرجح بوضوح كفة الولايات المتحدة الأمريكية. وقد انتهز الرئيس السوفييتي نيكيتا خروتشـوف أسبقية بلاده في إطلاق أول صاروخ باليستي للزعم بامتلاك قوة هائلة في هذا المجال أكثر مما كان عليه الأمر في الواقع. لقد أسـهمت كذبة خروتشوف في السـنين الثلاث التالية في خلق أسطورة «الفجوة الصاروخية»، والتي أبقت الولايات المتحـدة الأمريكية، ظاهريا، في مرتبة أدنى إسـتراتيجيا. وفي واقع الأمر كان العكس هو الصحيح: الاتحاد السوفييتي حينها كان يمتلك صواريخ أقل بكثير من التي تملكها الولايات المتحدة. كانت مبررات خروتشـوف لتلك المبالغة هي الردع والضغط على أمريـكا. وبصورة خاصة، أراد ضمان عدم قيام أمريـكا بإطلاق صواريخ نووية على الاتحاد السـوفييتي في وقت الأزمة. كما كان مصرا على أن يضع ضغوطا كبيرة على حكومة آيزنهاور لكي تتخلى عن خططها بتزويد ألمانيا بالسلاح النووي.

النـوع الثاني من أنواع الكذب بين الدول هـو عندما يكذب القائد للتقليل من قدرات جيشـه الحربية، أو التقليل من سلاح حربي معين، أو حتى إخفائه تماما عن الـدول المنافسـة. وقد يهدف من ذلـك الخداع إلى تحاشي اسـتفزاز أي هجوم قد يهدف إلى تدمير تلك القدرات. أو أن يمنع دولة أخرى من أن تجبره على أن يتوقف عن تسـليح وتطوير قوته. فعلى سبيل المثال، عندما صار الأميرال الفريد فون تربتز رئيسـا للبحريـة الألمانية في يونيو 1897، شرع في بناء أسـطول حـربي ليناهض به تفوق الأسطول البريطاني، ويسمح بذلك لألمانيا بأن تحقق طموحاتها[11]. لكنه أدرك مبكرا أن البحرية الألمانية سـوف تكون مكشوفة لهجوم بريطاني في مراحلها الأولى؛ وقد أشـار إلى ذلك بـ «المنطقة الخطرة». ولكي يمنع حدوث ذلك، أطلق مع بعض السياسـيين الألمان حملة دعائيـة مكثفة تدعي كذبا أن برلين تبني أسـطولا حربيا

لأسـباب دفاعية بحتة - لحماية تجارتها الخارجية المتوسـعة - وعليه فإنها ليسـت لديها النية في أن تنازع الأسطول البريطاني.

وقد كذبت إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات عن مشروعها النووي الناشئ خوفا من أن تجبر واشنطن الدولة اليهودية على إيقاف ذلك المشروع إذا عرفت ما كان يجري في مفاعل ديمونا النووي. وقد كتب هنري كيسنجر في العام 1969 «إن هذا هو أحد البرامج التي ظلت إسرائيل تخدعنا به بإصرار مستمر»[12]. ومثال آخر في السياق نفسـه، عندما وضع الاتحاد السوفييتي صواريخ هجومية في كوبـا في العام 1963، بعد أن أكدوا مرارا وتكـرارا لحكومة الرئيس كنيدي أنهم لن يقومـوا بتلك الخطوة الخطرة. وكان الهدف من ذلك أن يضعوا الرئيس كنيدي أمام الأمر الواقع في لحظة من اختيار خروتشـوف، من دون أن يمنحوه سـببا للتحرك إلا بعد أن تُنصب الصواريخ[13].

ونجـد أيضـا أن بعض الـدول تقلل من شـأن قوتها العسـكرية، أو تحاول أن تخفيها حتى تسـتطيع أن تسـد فرص الدول المنافسـة في التصدي لهـا، إما بتغيير إسـتراتيجيتها، وإما ببناء دفاعات، أو بتسابقها في بناء أسلحة أكثر من النوع نفسه. ففـي الحرب العالميـة الأولى مثلا، اخترعت بريطانيا الدبابة بشـكل سري تماما لكي تكسر حالة الجمود العسـكري على الجبهة الغربية. ولكي تخفي ذلك السـلاح عن الألمان قبل استخدامه ضدهم في ساحة المعركة، أطلقت القيادات البريطانية سلسلة لا حـصر لها من الأكاذيب. فمثلا، أطلقوا شـائعة بأن هذا هـو صهريج لنقل المياه للخطوط الأمامية وليسـت مدمرة حربية أو «سـفينة برية»، وكان هذا هو الاسـم الذي اسـتخدموه كلمة سر بينهم، ومن هنا أخذت الدبابة اسـمها (Tank). وبالغ البريطانيـون في نـشر الدعاية بقولهم إن المصنع الذي يصنـع هذه الصهاريج ليس من اختصاصه صناعة الأسـلحة الحربية. كما حـاول البريطانيون أن يجعلوها تبدو كصهاريـج متوجهة إلى روسـيا، وليس إلى الجبهة الغربية. بـل كتب على كل دبابة عبارة «بعناية إلى بيتروغراد» بحروف روسية وبارتفاع 12 إنش[14].

واعتمدت موسـكو الأسلوب نفسـه في تعاملها مع أسـلحتها البيولوجية خلال الخمس عشرة سـنة الأخيرة مـن الحرب الباردة[15]. فعلى الرغـم من توقيعها على معاهدة حظر الأسـلحة البيولوجية والسـامة، التي دخلت حيـز التنفيذ في مارس

1975، فإن السوفييت نقضوا تلك الاتفاقية حين بدأوا في تطوير برنامجهم المكثف للأسلحة البيولوجية والنووية. ولم يحاول السوفييت أن يخفوا ذلك البرنامج عن العالم الخارجي فقط، بل كذبوا بخصوصه. وقد أصبح ذلك الكذب جليا للعيان في العام 1979، عندما مات نحو مائة شخص بالقرب من مدينة سفردلوفسك، بعدما أصيبوا بالأنثراكس الذي تسرب مصادفة من منشأة للأسلحة البيولوجية. وخوفا من أن يتهموا بنقض الاتفاقية، زعموا أن موتهم كان ناتجا من تناولهم لحما مسموما. وهكذا فإن الهدف من هذا السلوك، كما هي الحال مع الحالات الأخرى التي جرى عرضها، هو التفوق على الدول المنافسة.

نوع ثالث هو عندما يخفي زعماء بلد ما نواياهم العدوانية تجاه دولة ما، للتمويه على نواياها في الهجوم. وربما يكون أفضل مثال على ذلك محاولات هتلر بين العامين 1933 و1938 إقناع الدول الأوروبية بأنه ملتزم بالسلام، في الوقت الذي كان مصمما فيه على الحرب. وقد صرح في العام 1934: «إن كان الأمر يتعلق بألمانيا، فلن تكون هناك حرب أخرى. فألمانيا تدرك جيدا، أكثر من أي دولة أخرى، الأضرار والمآسي التي تسببها الحرب. وفي اعتقادنا أن مشاكل ألمانيا الحالية لا تحل ولا تحسم بواسطة الحرب»[16]. وفي خطاب آخر مشهور، في قصر الرياضة (سبورتبالاست) ببرلين، في أثناء الاحتقان الحاد في تلك الأيام، وقبل التوقيع على اتفاقية ميونخ المشينة، صرح بجرأة شديدة بأن نواياه في ضم إقليم السوديت إلى ألمانيا هي «آخر مطلب لي في أوروبا»[17]. وكشف التاريخ أن كلا التصريحين كان كذبا واضحا وصريحا.

وهناك مثال آخر على هذا النوع، يخص اليابان والاتحاد السوفييتي في آخر سنة من الحرب العالمية الثانية. كانت بين البلدين اتفاقية حياد أغلب سنوات الحرب، ولكن في يالطا في فبراير 1945، عاهد ستالين تشرشل وروزفلت على أن الجيش الأحمر سوف يهاجم اليابان في غضون ثلاثة شهور بعد هزيمة ألمانيا النازية. وقد خالج اليابانيين الشك بأن ثمة ما يجرى في يالطا، فسألوا نظراءهم في موسكو عن ذلك، فأكدوا لهم أن «علاقتهم عادية وثابتة ومستندة» إلى اتفاقية الحياد[18]. بيد أنه في الثامن من أغسطس من العام 1945 شن السوفييت هجوما على اليابان.

وأحيانا يُجبر القادة الميالون إلى كتمان تحركاتهم الهجومية ضد دولة ما على

الكذب، عندما تنهال أسـئلة الصحافيين المحليين الملحة بشأن العملية المقبلة. بيد أن المقصـود بهذا النوع من الأكاذيب هو الدولة المسـتهدفة وليس مواطني ذلك الرئيس. على سبيل المثال، خلال حملته الانتخابية الرئاسية سنة 1960 طالب المرشح الديموقراطي جون كنيدي بأن تدعم الولايات المتحدة معارضي الرئيس كاسترو على قلب النظام في كوبا[19]، وكان منافسه، نائب الرئيس ريتشارد نيكسون، يعلم علم اليقين أن أمريكا منغمسة حتى النخاع في هذا المشروع. ولكنه كان يعلم في الوقت نفسه أن الأمر سوف يكون عرضة للكشف إذا أيد رأي جون كنيدي. ولذا وجدناه يهاجـم اقتراح كنيـدي واصفا إياه بأنه «من أخطر التوصيات غير المسـؤولة التي اقترحهـا خلال حملته الانتخابية»، على الرغم من أنه يؤمن في قرارة نفسـه بأنها فكرة جيدة، قد دافع عنها داخل الحكومة. ولقد كان نيكسـون يكذب لكي يخدع كاسترو، وليس الشعب الأمريكي. ولكم كان حينها يود أن يقول الحقيقة .

وقد وجد جودي باول، سـكرتير الرئيس جيمي كارتر للإعلام، نفسـه في موقف مشابه في أبريل 1980، عندما سأله أحد الصحافيين عن مدى صحة نية أمريكا شن عملية عسـكرية على إيران لتحرير الرهائن الأمريكان(*). ومع أن ذلك كان حقيقيا، فإن باول شـعر بأنه لم يكن أمامه خيار سـوى الكذب والإنكار، ويقول إن ذلك غير صحيـح، لأنه لو كان قد فعل العكـس، لعرفت الحكومة الإيرانيـة عملية محاولة الإفراج عن الرهائن[20]، وبالتالي اضطر أن يخدع الصحافي.

النوع الرابع، يمكن للدولة فيه أن تكذب لتتستر على نواياها العدائية تجاه دولة أخرى منافسة، ليس بغرض تسهيل عملية الهجوم، بل لتتحاشى استفزاز تلك الدولة.

(*) في 25 أبريـل 1980، أطلقـت الولايات المتحدة الأمريكية عملية كوماندوز سريـة في إيران من أجل تحرير 52 رهينة أمريكية كانوا محتجزين في السفارة الأمريكية بطهران. وقد أطلق على العملية اسم إيغل كلو (Eagle Claw) أو إيفننـغ لايـت (Evening light) وكذلك رايس بول (Rice Bowl)، بيد أن العملية فشـلت فشـلا ذريعا. ويرى الرئيس جيمي كارتر أن خسـارته في الانتخابات للمرة الثانية كانت بسـبب فشـل تلك العمليـة. وقد واجهت تلك العملية مشكلات عديدة منذ بدايتها، مما أدى إلى إلغائها نهائيا. حيث جرى إرسال 8 طائرات هليكوبتر لمكان التجمع في صحراء طبس، ولكن 5 منها فقط وصلت بحالة جيدة، حيث تعرضت الأولى لمشكلات ميكانيكية، وتعرضت الثانية لعاصفة غبارية عطلتها عن العمل، وتفككت مروحة الثالثة. وقد كان من المتفق عليه أنه إن وصل إلى مكان التجمع أقل من 6 طائرات فإن هذا يعني إلغاء العملية، وعندما اتخذ قرار إلغاء العملية، وفي أثناء المغادرة، تحطمت إحدى الطائرات واصطدمت بآلية أخرى كانت مجهزة بمعدات ووقود وجنود، ما أدى إلى حريق مات بسـببه 8 عسـكريين أمريكيين. فاز بتلك الانتخابات رونالد ريغان الذي دخل في مفاوضات للإفراج عن الرهائن بوساطة الجزائر، بعد قضاء 444 يوما في الحجز داخل السفارة. [المترجم].

وقــد برز هذا المنطق بوضــوح في الأيام الأولى للحرب البــاردة، عندما عقدت دول أوروبا الغربية معاهدتين للدفاع المشــترك، وهما معاهــدة دنكرك في العام 1947، ومعاهدة بروكســل في العام 1948. ويقال إن كلتــا المعاهدتين كانت بمنزلة كوابح لطموح ألمانيا المتعافية. ولكن في حقيقة الأمر، فإن الاتفاقيتين كانتا قد أبرمتا، أساسا، لاحتواء التوســع الســوفييتي في أوروبا. وقد كذب القادة البريطانيون والفرنسيون بخصوص هذه التحالفات لأنهم لا يريدون استفزاز الاتحاد السوفييتي - الذي كانوا يرون فيه تهديدا خطيرا لهم - إن كان بالإمكان تجنبه[21].

النــوع الخامس مــن الكذب بين الدول هــو عندما تحاول الدولــة أن تؤثر في تصرفات ونشــاط دولة أخرى منافســة، وذلك عن طريق التهديــد بالهجوم عليها، حتى إن لم تكن هناك نية حقيقية بشن الحرب. والغرض من هذا التهديد الوهمي هو إخضاع وإجبار العدو على القيام بشيء لم يكن في الأســاس يريد أن يقدم عليه. كان سلوك ألمانيا خلال العامين 1905 و1906، بشأن الأزمة المغربية، مثالا على هذا النوع. كان صُنّاع السياســة الألمانية مُصرين على خلق أزمة مع فرنسا بشأن المغرب تؤدي إلى حل مذكرة التفاهم الموقعة أخيرا بين بريطانيا وفرنسا. فقد هددت ألمانيا بشــن الحرب ســعيا إلى تحقيق هذا الغرض، على الرغم من أنــه، كما كتب المؤرخ نورمان ريتش، «لم يكن التفكير في حل عسكري واردا ولا حظي بأي تأييد جدي من قبل القادة الألمان في أي مرحلة من مراحل الصراع بشأن المغرب»[22].

ومن الممكن أيضا اســتخدام إســتراتيجية التهديد الفارغ تلــك لردع العدو عن الاســتمرار في تحقيق سياســات معينة. فعلى سبيل المثال، شــعرت حكومة الرئيس ريغان في أغسطس من العام 1986 بالقلق من نوايا إرهابية محتملة للزعيم الليبي معمر القذافي. ولمنع تحققها نشر البيت الأبيض تقارير كاذبة بشــأن «ضربة أخرى سوف توجه إلى الرئيس القذافي بقصف أمريكي، وربما بانقلاب عسكري، لإقصائه عن الحكــم»[23]، على الرغم من أن الولايات المتحــدة لم تكن تنوي توجيه ضربة أخرى إلى ليبيا، ولكنها قصــدت أن يأخذ الرئيس القذافي هذا التهديد مأخذ الجد ويتخلى عن نشاطه لدعم الإرهاب.

كما تعتبر سياسة حلف الناتو النووية في أثناء الحرب الباردة مثالا آخر للتهديد الأجوف لوقف سياسات بعينها. فقد كان موقف الحلف الرسمي هو أنه إذا هاجمت

دول حلــف وارســو(*) أوروبا الغربية، وبدأت في التقدم عبر ألمانيا، فســوف يضطر حلف الناتو(**) إلى اســتعمال الســلاح النووي لإجبار الاتحاد الســوفييتي وحلفائه على وقف نشــاطهم العدواني، وإخضاعهم للتراجع إلى مواقعهم الأولى على الحدود الألمانيــة. غير أن هناك شــخصيات مهمة من صُنّاع القــرار في الحكومة الأمريكية، ومنهم هنري كيســنجر، وزير الخارجية الأمريكية الأســبق، وروبرت ماكنمارا، وزير الدفاع الأســبق، كانــا قد وافقا علنا وأيدا هذه السياســة عندما كانــا في الحكومة، ولكنهــما تراجعا عنها لاحقا عندما أصبحا خارج الحكومــة، وصرحا بوضوح بأنه لم يكن من الممكن اســتعمال الســلاح النووي لحماية غرب أوروبا في حالة أي هجوم واسع من قبل الاتحاد السوفييتي(24). ويعود سبب عدم رغبتهما في استعمال السلاح النووي إلى أنه من المؤكد أن ترد روسيا الضربة باستعمال سلاحها النووي أيضا، مما يعرض الطرفين لانتحار جماعي متبادل. ومع ذلك، فقد بدا منطقيا بالنسبة إلى صُنّاع قرار الناتو أن يحذروا السوفييت بأن الحلف سيستخدم ترسانته النووية للدفاع عن أوروبــا الغربية، حتى وإن كانوا يعلمون في قرارة أنفســهم أنها فكرة مجنونة، لأن موسكو لا تعلم يقينا أن تلك الأسلحة لن تُستخدم، مما عزز بقوة من عنصر الردع.

النوع الســادس، من المحتمل أن يســعى القادة إلى الكذب لكي يستفزوا دولة أخرى حتى تهاجمهم، أو تهاجم غيرهم. وقد مثل سلوك بسمارك(***) قبيل الحرب

(*) حلف وارسو هو حلف عسكري كان يقوده الاتحاد السوفييتي السابق، ويضم سبع دول في أوروبا الشرقية هي بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية وهنغاريا وبولندا ورومانيا وألبانيا [انسحبت في العام 1968]. واسمه الرسمي هو «اتفاقية الصداقة والتعاون والمســاعدة المتبادلة»، نشــأ خلال فترة الحرب الباردة كرد فعل على ضم ألمانيا الغربية إلى حلف الناتو في العام 1955. وفي يوليو 1991، أُعلن انتهاء حلف وارسو، كما حُل الاتحاد السوفييتي أيضا في ديسمبر 1991. [المترجم].

(**) حلف الناتو، واسمه الرسمي «منظمة اتفاقية شمال الأطلسي»، وهو حلف عسكري وُقِّعت اتفاقيته في أبريل 1949 ومقره بروكســل (بلجيكا)، ويشــمل في عضويته 28 دولة. يتعهد فيه الأعضاء بالدفاع عن أي دولة عضو تتعرض للتهديد. وكاد الناتو يتفكك بعد سقوط جدار برلين وتوحيد ألمانيا وتفكك الاتحاد السوفييتي. ولكن يبدو أن القائمين عليه يحاولون إبقاءه، حيث شارك في عمليات حفظ السلام في البوسنة وأفغانستان. ومن اللافت أن بعض الدول الأعضاء السابقين في حلف وارسو قد انضموا أو أبدوا رغبة في الانضمام إلى حلف الناتو. [المترجم].

(***) أوتوفان بســمارك، ســياسي ومستشار بروســيا وموحد ألمانيا. هيمن على الساحة السياســية الأوروبية من العام 1860 إلى العام 1890. في حقبة ســتينيات القرن التاســع عشر افتعل عددا من الحروب أدت إلى توحيد الإمارات الألمانية. في العام 1862 عينه الملك فيلهلم الأول وزيرا رئاسيا ثم أصبح المستشار ولقب بالمستشار الحديدي، وفي العام 1871 أوجد الإمبراطورية الألمانية وأصبح المستشــار الأقوى، وصار في عهده الملك ويلهلم الأول قيصرا. ولكن القيصر ويلهلم الثاني أزاحه في العام 1890. [المترجم].

البروســية(*) الإسبانية في العام 1870 واحدا من أشــهر أنواع الاستفزاز الذي يعطي فيــه الحاكم المبرر لدولة أخرى حتى تهاجم دولتــه[25]. وقد فعلها بإطلاق أكاذيب مصوغة بشــكل محكم. كان المستشار البروسي ملتزما بتوحيد ألمانيا، وكان يعلم أن اســتفزاز فرنســا حتى تعلن الحرب على بروســيا، أو حتى اختلاق أزمة كبيرة لدفع فرنســا إلى حالة فوضى، سيساعد في تحقيق هدفه. ولتحقيق ذلك سعى سعيا حثيثا في ربيع العام 1870 إلى تنصيب أمير من بروسيا على عرش الحكم في إسبانيا، مدركا أن ذلك ســيثير غضبا عارما في فرنســا. ومع ذلك، وجدناه ينكــر أي دور له في تلك المؤامرة، وكان إنكاره ذاك كذبا.

وقد أطلق بسمارك كذبة أخرى أكبر، وأكثر أهمية، عندما «تلاعب» في رسالة إيمس (Ems Dispatch) الشهيرة من القيصر فيلهلم الأول(**) إلى نابليون الثالث(***). فبعد فشل محاولته تنصيب الأمير البروسي على عرش إسبانيا، طالب الفرنسيون القيصر بأن يتعهــد بعدم تكرار ذلك مرة أخرى. بيد أن القيصر رفض ذلك في رده المكتوب، ولكنه ترك الباب مفتوحا لمفاوضات لاحقة. وخشية من أن يؤدي ذلك الوضع إلى حل سلمي للأزمة، تلاعب بســمارك بصياغة مســودة رســالة القيصر، ليبدو الأمر كأن القيصر لم يقل «لا» فقط، بل حتى ليبدو كأنه أغلق الباب نهائيا أمام أي نقاش بشــأن الموضوع مســتقبلا. وعندما نُشر التلغراف «المعدل»، نتج عنه غضب عارم في كل أرجاء فرنسا. وبعدها بفترة وجيزة أعلن نابليون الثالث، في حماقة ظاهرة، الحرب على بروسيا.

النوع الســابع من الأكاذيب هــو عندما يؤدي قلق دولة ما مــن أن حلفاءها لن يأخذوا خطر الدولة المنافســة لها مأخذ الجد، إلى الكذب عبر المبالغة في إمكانيات تلك الدولة الحربية، أو ســلوكها العدواني، حتى تثــير انتباه حلفائها إلى الخطر. ولقد لجأت حكومة الرئيس بوش إلى هذا النوع من الكذب في العام 2005، عندما شعرت بأن الصين

(*) مملكة بروسيا وُجدت منذ العام 1525 حتى العام 1918، ثم تقاسمتها ست دول من فرنسا إلى روسيا. [المترجم].

(**) فيلهلم الأول تُوج في العام 1861 ملكا على بروســيا، ثم أصبح في العام 1871 أول قيصر ألماني في الرايخ الثاني بعد توحيد ألمانيا على يد بسمارك [المترجم].

(***) نابليون الثالث، هو لويس نابليون بونابارت وريث نابليون الأول. ولد في العام 1808 وتوفي في العام 1873. صار رئيسا للجمهورية الفرنسية الثانية من العام 1848 وحتى العام 1852، وكان أول رئيس لفرنسا يُنتخب بالتصويت المباشر، عندما منعه الدستور والبرلمان من الترشح لفترة ثانية، نظم انقلابا في العام 1851 وأعلن نفسه إمبراطورا بلقب نابليون الثالث في العام 1852. [المترجم].

واليابان وكوريا الجنوبية لم يقدروا جدية الخطورة التي تشكلها كوريا الشمالية[26]. ولكي تستثير انتباههم، بعثت الحكومة الأمريكية بموظفين من مجلس الأمن الوطني إلى آسيا ليدعوا بأن كوريا الشـمالية قد باعت لليبيا مادة اليورانيوم (يورانيوم هيكسافلورايد)، وهو مكوِّن أسـاس لصناعة أسـلحة نووية. بيـد أن ذلك لم يكن صحيحـا. فقد كانت باكسـتان، وليست كوريا الشمالية، هي التي باعت المادة إلى ليبيا. وعلى الرغم من أنه من الممكن أن تكون باكسـتان قد أخذته في الأصل من كوريا الشمالية، فلا يوجد دليل موثق بأن بيونغيانغ أعطته لإسلام آباد، مع علمهم بأنه سيؤول في نهاية الأمر إلى ليبيا. والحقيقة أن الدليل المتوافر يشير إلى أن الصفقتين منفصلتان.

وهناك **نوع ثامن** من أنواع الكذب بين الدول، وهو عندما يحاول الزعماء التضليل لتسهيل عمليات التجسـس أو التخريب في وقت السلم، وكذلك للتخفيف من مغبة السـقوط دوليا في حالة اكتشـاف فعلتهم في التجسس والتخريب. مثلا، كذب عندما كذبت الولايات المتحدة بخصوص طائرتها التجسسـية «يـو – 2»، التي كان يقودها غاري باورز وأُسقطت في الأراضي السوفييتية في ربيع العام 1960. كان الرئيس الأمريكي آيزنهاور حينها على وشـك التوجه إلى فرنسـا لمقابلة الزعيم السـوفييتي خروتشوف لعقد اتفاقية منع اختبار السلاح النووي، وقد أكد بوضوح أنه لا يريد أن يدخل في أي نقاشات أو تعقيدات بخصوص طائرات «يو – 2» المثيرة للجدل. وبعد إسقاط الطائرة أُعلـم الرئيس بأنهـا مزودة بآلية تحطيم ذاتية، ما يؤكد عـدم نجاة الطائرة وقائدها باورز. لذا، وبعد أن أعلن خروتشـوف إسـقاط الطائرة، صرحت الحكومة الأمريكية بأن الطائرة ليسـت تجسسـية، بل طائرة أرصاد جوية تابعة لـ «ناسا» ضلت طريقها في الأجـواء السـوفييتية. وعندما عثر الروس على قائد الطائـرة غاري باورز وأظهروه للعلـن، صرحـت الحكومة الأمريكية، مرة ثانية، بأنه مـن المحتمل أن يكون قد فقد وعيه نتيجة لقلة الأوكسـجين وتاه في الأجواء السوفييتية. وأخيرا أجبرت واشنطن على الاعتراف بأن باورز كان في مهمة تجسسية في الأراضي السوفييتية.

ولكـن لم تكـن هذه هي نهاية الكذبـة، فقد اختلقت حكومـة آيزنهاور قصة فحواها أن الرئيس قد وافق على برنامج التجسـس، بيد أنه لم يشـترك شـخصيا في التخطيط لإطلاق الطائرات. غير أن آيزنهاور اعترف لاحقا بالقول «إن كل التعليمات الخاصة بالدخول والتوغل جرى تنفيذها بعلمي وبموافقتي»[27].

وتمثـل فضيحة لافون[*] المشـينة، المتورطة فيها إسرائيـل، مثالا آخر على هذا النـوع من أنواع الكـذب بين الدول. ففي العام 1954 سـعت إسرائيل إلى تخريب علاقة مصر مع بريطانيا والولايات المتحدة، وذلك بزرع شـبكة جاسوسية إسرائيلية داخـل مصر لهدم وتخريب المنشـآت البريطانيـة والأمريكية وجعلهـا تبدو وكأن المصريين هم المسـؤولون عن ذلك التخريب. وبعد تفجير مكتبتي مركز المعلومات الأمريكي في الإسـكندرية والقاهرة وضرب بعض الأهداف الأخرى في أماكن متعددة، انفـرط عقد الخطة التآمرية، وجرى القبض على المخربين. ولم يكن بالمسـتغرب أن يصرح رئيس الوزراء الإسرائيلي موشى شـاريت كذبا بأن «المسألة برمتها هي مكيدة دنيئـة دُبرت في الإسـكندرية، وأن محكمة صورية عُقـدت لمحاكمة مجموعة من اليهود الذين سقطوا ضحية لاتهامات كاذبة»[28].

في **النوع التاسـع**، تكذب الدول لتحسـين وضعها العسـكري في أثناء تجهيزها للعمليات العسـكرية في زمـن الحرب. ففي الحـرب العالمية الثانيـة، مثلا، أطلق البريطانيـون حملة تضليل واسـعة ضد ألمانيا النازية كان الكـذب فيها أمرا عاديا. في هذا السـياق، قال تشرشل كلمته الشـهيرة: «في زمن الحرب يصبح الصدق شيئا ثمينا، لا بد أن يحاط بسياج من الأكاذيب»[29]. ولم يكن البريطانيون استثناء في هذا الشـأن، فقد أكد الرئيـس الأمريكي روزفلت في العام 1942 أنه «على اسـتعداد أن يضلل ولا يقول الصدق إذا كان ذلك يسـاعده في كسـب الحرب»[30]. وفي الحقيقة، فقد انتهج كل المشـاركين في الحرب العالمية الثانية حملات الكذب الإستراتيجية ضد منافسيهم. وتُعتمد هذه الإستراتيجية بالفعل في كل حرب[31].

أمـا **النـوع العاشر** مـن الكذب بـين الدول، فيحـدث حين يلجـأ القادة إلى الكذب للخروج بأفضل النتائج لمصلحة دولهم في أثناء التفاوض بشـأن الاتفاقيات والمعاهدات الرسـمية الأخرى. ولربما يكذبون على نظرائهم في التفاوض بخصوص أملاكهم أو قدراتهم، وأكثر من ذلك، ربما يخادعون بشأن السعر التحفظي – الذي فوقه أو تحته لا يمكن أن يتم أي اتفاق. ومن المتوقع أن نجد نماذج كثيرة من هذا النـوع من الكذب في مواقع عديدة، منها حظر السـلاح ومفاوضات وقف الحرب

(*) نسبة إلى وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك، بنحاس لافون (1904 - 1976)، وعرفت أيضا باسم «عملية سوزانا». [المحررة].

على الصعيد الأمني، والديون العالمية، والتعاملات التجارية في الجانب الاقتصادي. وعلى كل، فإن هذا هو ما يحصل بالضبط عندما يريد الأفراد أن يتفاوضوا على شراء عربة أو منزل. كذلك فإن «النظرية التفاوضية»، التي جذبت انتباه الباحثين في العلاقات الدولية في السنين الأخيرة، تتوقع الكثير من الكذب والخداع في مثل هذه الظروف. «إن قوة التفاوض»، بكلمات توماس شيلينغ الحائز جائزة نوبل في الاقتصاد، «هي القوة في الخداع والتمويه»، والتمويه، بالطبع، هو «تقديم معلومات غير صحيحة»[32].

غير أنني، ولدهشتي الكبيرة، لم أستطع أن أجد إلا عددا قليلا من الرؤساء والديبلوماسيين، يخدعون أو يكذبون بعضهم على بعض في مفاوضات إبرام العهود والاتفاقيات الأخرى[33]. من المحتمل أن تكون هناك حالات كثيرة، لكن إن كانت الحال كذلك، فمن المؤكد أنها قد أُخفيت تماما ولم تعد موجودة في سجلات التاريخ. إذ عندما ينجح الفرد في خداع شخص آخر، يكون من غير المعقول أن يتفاخر بذلك بعد واقعة الخديعة مباشرة[34]، وإلا فقد يؤدي ذلك إلى مطالبة الطرف المخدوع بإعادة التفاوض بشأن الاتفاق أو امتناعه عن أي اتفاقيات مستقبلية مع الطرف المخادع. ولكن هذا النوع من النقاش ليس منطقيا - كما ذكرت سابقا - لأنه ليس من السهل أن تُخفى الكذبة زمنا طويلا. فمن الصعب أن نصدق أن الخديعة في المفاوضات الدولية أمر وارد ومتكرر عبر الزمن، من دون أن تكشف من هذه الأكاذيب سوى حالات بسيطة[35].

إحدى الحالات التي كُشفت هي ذات علاقة باليونان، عندما حاولت أن تغطي على عجز ميزانيتها حتى يتسنى لها الدخول في منطقة اليورو[36]. فوفق قواعد الاتحاد الأوروبي، يسمح للدولة العضو بأن تستخدم اليورو كعملتها، إذا استطاعت أن تحافظ على ميزان العجز عند أقل من 3 في المائة من الناتج المحلي الإجمالي. وعندما كان يجري تقييم اليونان في أواخر التسعينيات لاحتمال دخولها إلى منطقة اليورو، كان عجزها قد تجاوز بكثير السقف المطلوب. وللتعامل مع هذه المشكلة كذبت أثينا بشأن أرقامها للسنوات المطلوبة، مدعية أن عجزها أقل من 3 في المائة، في حين أنه لم يكن كذلك. وقد نجحت مغامرتها، واستطاعت أن تستخدم اليورو كعملة لها في العام 2001.

كـما كذبت الولايات المتحدة الأمريكية على حلفائها في أوروبا الغربية (فرنسـا وألمانيا وإيطاليا ودول البنلوكس(*) في بداية الخمسينيات، لكي يصادقوا على اتفاقية الدفاع المشـترك الأوروبية، والتـي وقعوا عليها في مايـو 1952. وقد أيدت حكومة الرئيس آيزنهاور المصادقة بشـدة على أمل أن تساعد هذه الخطوة على التوازن مع الاتحاد السوفييتي، وتمكن أمريكا من سحب معظم قواتها من أوروبا الغربية. وكما وصفها المؤرخ مـارك تراكتنبرغ فإن «النقطة الأساسـية في هذه الاتفاقية هي دمج فرنسـا وألمانيا لتصبحا النواة القوية في هذا الاتحاد لمواجهة روسـيا، وبالتالي يسهل على أمريكا سحب قواتها في القريب العاجل»[37].

لكن الشـك قـد انتاب الـدول الأوروبية الحليفـة بأن دعم أمريكا لمسـألة التصديق على اتفاقية الدفاع المشترك نابع في الأساس من رغبة واشنطن القوية في سحب قواتها من أوروبا، وهو ما لم تكن تريده معظم الدول الأوروبية، وخصوصا فرنسـا. وللتعامل مع تلـك المعضلة، ظلت حكومة الرئيـس آيزنهاور تؤكد مرارا وتكـرارا لحلفائها أن التصديق على الاتفاقية لا يعني سـحب القوات الأمريكية، بينـما لم تكن تلـك التصريحات صادقـة. ولما تسربت الأخبـار إلى الصحافة عن نوايا الأمريكيين، كان وزير الخارجية جون فوسـتر دالاس، كما قال أحد الباحثين، «مسـتعدا لأن يكذب علنا مدعيـا عدم وجود أي خطة معدة لسـحب القوات الأمريكية من أوروبا»[38].

متى تكذب الدول بعضها على بعض؟

هناك أربعة ظروف يكون فيها الكذب محتملا بين الدول، بيد أن ذلك لا يعني أن القادة يكذبون بشـكل متكـرر في مثل هذه الأوضاع. تميـل الدول التي تعيش في مناطـق الصراع الخطـرة، والتي يكون فيهـا التنافس الأمني حـادا، إلى الكذب أكـثر من الدول التي تعيش في مناطق آمنة نسـبيا. وتعود هذه النزعة أساسـا إلى القيمة العاليـة التي تضعها الدولة لبقائها. وبالطبع، فالدول التي تعيش في مناطق النـزاع يتولد لديها شـعور بعدم الأمان والاطمئنان، وأنها دائما معرضة ومكشـوفة

(*) دول البنلوكس هو اتحاد اقتصادي أُبرم في العام 1944 يضم 3 ممالك هي بلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ. والاسم مشتق من الحروف الأولى لكل دولة. [المترجم].

أمام العدو، ولذلك تلجأ إلى كل الطرق والإســتراتيجيات المتاحة لتقوية سبل الأمن. باختصار، يكون الكذب سهلا لزعماء يظنون أنهم يعيشون في عالم «هوبزي»(*).

كذلك يكون القادة أكثر قابلية للكذب في الأزمات مقارنة بأوقات الهدوء النسبي. فالدولة التي تســعى دائما إلى تجنب الحرب، تكــون دوافعها قوية لنشر الأكاذيب والدعايات إن كان من شــأن ذلك أن ينهي الأزمة من دون الدخول في الحرب. من جانب آخر، سيكذب الزعيم الذي يصر على تحويل أزمة إلى حرب بالتأكيد، إن كان يعتقد أن تلك الأكاذيب ســتهيئ الظروف لشــن الحرب والانتصار فيها. ولا ننكر في هذا المجال أن كلا من الطرفين المتنازعين، يكون في حالة شك وتوجس من تصريحات الطرف الآخر، مما يجعل إطلاق الأكاذيب المقنعة أمرا صعبا، وإن لم يكن مستحيلا.

عــلاوة على ذلك، نجد أن الكــذب يتفشى بين الدول في زمن الحرب أكثر منه في زمن السلم. ففي كتابه الصادر في العام 1928 عن الكذب في الحرب العالمية الأولى، يذكر السياسي البريطاني آرثر بونسونبي أنه «لا بد أن يكون هناك كذب كثير متعمد قد وقع من العام 1914 إلى العام 1918 أكثر من أي وقت آخر في تاريخ العالم»[39]. وعــلى الرغم من أنه مــن الصعب عمليا إثبات هذا الادعــاء، لأنه من غير الواقعي حساب وجمع كل الأكاذيب الدولية التي قيلت عبر الزمن، فإنه من المؤكد أن هناك كــما كبيرا مــن الكذب في الحرب العالمية، كما أكد بونســونبي وآخرون. وفي الوقت نفسه فإنه من الصعب التفكير في حقبة امتدت خمس سنوات في القرن الماضي قبل العام 1914 شــهدت اقتتالا في أوروبا استخدم فيها الكذب بالمستوى الذي شاهدناه في الحرب العالمية الأولى.

وليس من المستغرب أن يلجأ الحكام إلى الكذب عندما يبدأ إطلاق النار فعليا. فالحرب خطيرة، حيث تجد نخب السياســة الخارجية أن وجود بلادهم صار على المحــك. لكن، حتى في النزاعــات الأقل خطورة - مثل وضــع الولايات المتحدة في فيتنام، أو وضع الاتحاد الســوفييتي في أفغانستان - فإن القادة عادة ما يعتقدون أن الهزيمة، أيا كانت، تسبب أضرارا بالغة للمصلحة الوطنية. هذا النوع من التفكير يجعل تبرير الكذب مهمة ســهلة للقــادة. كذلك فإن هناك فرصــا كثيرة للكذب

(*) نسبة إلى الفيلسوف توماس هوبز، ويعني السيادة المطلقة للسلطة. [المترجم].

في أثنــاء الحرب، مادامــت الحروب تحتوي على عدة اشــتباكات، على الصعيدين الســياسي والحربي، يكون فيها الحافز على خداع الغير قويا جدا. لذا يصبح الخداع جزءا لا يتجزأ من الحرب.

وأخــيرا، من الأرجح أن يكذب القادة على الدول المنافســة أكثر مما يكذبون على الدول الصديقة. «الصدق للأصدقاء، والكذب للأعداء» كما قال أحد الباحثين منذ ســنوات طويلة[40]. وبالتعريف، فإن المنافــس أكثر خطورة من الصديق، ولا بد من وجــود طرق تجعلك متفوقا على الخصم أكثر مــن تفوقك على الصديق. والكذب أحيانا يؤدي هذا الغرض. ولأن الدول الحليفة عادة تســاعد حليفاتها في التعامــل مع منافس عنيد، يكون هناك حافز قوي للدول للمحافظة على علاقات جيــدة مع الحلفاء، ولبناء بعض الثقة معهم، فيصبح الكذب ســلعة كاســدة ولا ضرورة لها. بالطبع قد يؤدي توافر الثقة بين الحلفاء أكثر منها بين الدول المتنافسة إلى تمريــر نوع من الكذب اليســير البســيط بينهم مــن دون أن يؤثر في العلاقة القائمة. وتبقى الحقيقة الماثلة أنه حتى في حالة الكذب اليســير بين الحلفاء فإنه قد يضعف الثقة ويفسد الشراكة إن تم اكتشافه، مما سيؤدي إلى الإضرار بالدولة التي أطلقت الكذبة.

ولا ننكــر أن الــدول تتوصل إلى اقتنــاع أحيانا بضرورة خــداع حلفائها خدمة لمصالحها الإستراتيجية، لأننا لا نجد دولتين متطابقتين في المصالح - بما في ذلك الحلفاء - وفي زمــن الأزمات نجد أن بعض الدول تتخلى عن حليفتها، أو حتى أحيانا تنقلب عليها. فصديق اليوم قد يصبح عدو الغد. ولنتذكر أن الاتحاد الســوفييتي قد هاجم اليابــان في نهاية الحــرب العالمية الثانية، بعد أن أعطى طوكيــو ضمانا كاذبا بعدم نيته الهجوم. إن غياب التحالفات الدائمة يوضح لنا أسباب قيام النظام العالمي على الفردية المطلقة. وهذا المنطــق المصلحي الذاتي يوضح لنا لماذا كذبت إسرائيل على أمريكا في الســتينيات بخصوص تطوير أســلحتها النووية. فزعماء إسرائيل قد آمنوا منذ زمن إيمانا قاطعا بأنه من الضروري المحافظة على علاقتهم الجيدة مع الولايات المتحدة. ولكن من الواضح أنهم شــعروا بشكل أقوى بأهمية امتلاك إسرائيل الرادع النووي لتأمين بقائها، حتى لو اضطرها ذلك إلى الكذب على الولايات المتحدة.

4

إثارة الذعر

يُستخدم أسلوب «إثارة الذعر»، عندما يرى قادة الدولــة خطرا محدقا بهــم، ولا يتمكنون مــن إقناع الشــعب برؤية الذئــب الماثل أمام أبوابهــم، من دون اللجوء إلى حملات الخديعة. كان وزير الخارجية دين آتشيســون يعاني قلقا شديدا لإحساســه بأن الشعب الأمريكي لا يعير الخطر الآتي من الاتحاد الســوفييتي (في أواخر الأربعينيات) اهتمامــا كافيا، ولذا كان يرى أنه من الضروري أن يحرص القادة الأمريكيون على أن يكونوا «أوضح من الحقيقة»، وإلا فإنهم لن ينجحــوا في الحصول على دعم الشــعب لتنفيذ الإجراءات التي كان يراها ضرورية للتعامل مع هــذا التهديد[1]. ولم يكــن الهدف من ذلك هو خداع رجل الشــارع البســيط فقــط، بل رجال الطبقة المتعلمة المســتنيرة، بمن فيهم الخبراء في الشــؤون الخارجية الذين ربما يميلون إلى تقليل أهمية التهديد بأســاليب خطيرة. ومن الممكن

يتضح لنا جوهر إســتراتيجية إثارة الذعــر في تصريــح شــهير لكمال أتاتورك: «من أجل الشــعب، رغما عن الشعب»

أيضــا توجيه حملات إثارة الذعــر إلى موظفي الدولة الذين - ربما - يميلون أيضا إلى تلطيف الأمر وتهوين الخطر، على عكس ما يرى قادة الدولة. وعلى الرغم من كون هذا الســلوك منبوذا، فإن القــادة يلجأون إليه لظنهم أنه يخــدم المصلحة العامة، وليس لمكاســب شخصية. ويتضح لنا جوهر إستراتيجية إثارة الذعر في تصريح شهير لكمال أتاتورك «من أجل الشعب، رغما عن الشعب»[2].

إن القادة الذين يســتخدمون أســلوب إثارة الذعر قد يســتهدفون إثارة حالة خــوف غير موجودة في مخيلة الشــعب، أو - في أغلب الأحــوال - نجدهم يبالغون في تضخيــم أثر تهديد موجود فعلا، ولكنه يخرج عــن الدوائر الحكومية. ويتلخص الهدف النهائي من وراء ذلك في الحصول على دعم شعبي لزيادة الإنفاق العسكري، أو زيــادة التوظيــف في الجيش، أو دعم التجنيد الإجباري. كما يمكن أن يســتخدم تضخيــم التهديــد للحصول على دعم لشــن حرب على عدو متربــص. وعلى الرغم من أن إثارة الذعر تظهر عادة في زمن الســلم، فإنها يمكن أن تســتخدم في أثناء سير الحرب، إذا شــعر القادة الرؤســاء بأن الشــعب قد تراخى في دعمه المعنوي، أو إذا تنصل الجيش من التزامه القتالي.

وقــد أدت إســتراتيجية إثارة الذعر دورا مهما في السياســة الخارجية الأمريكية في الســبعين ســنة الماضية؛ فقد لجأت ثلاث حكومات أمريكية إلى اســتخدام تلك الإستراتيجية لجر الشــعب الأمريكي المتردد إلى الحرب. وكما أشرنا سابقا، فقد كذب الرئيس روزفلت في حادثة الســفينة الحربية الأمريكيــة (Greer)، في أواخر صيف العام 1941، لاســتثارة الرأي العام الأمريكي ضد الألمان، على أمل أن تدخل الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية[3]. كانت الســفينة الحربية تعمل في منطقة شــمال الأطلــسي، وحدث أن التحقت بهــا طائرة حربية بريطانيــة لتتابعا وترصدا غواصة ألمانيــة. فــكان أن ألقت الطائرة قذائــف عميقة، ولكنها اضطــرت إلى الرجوع إلى قواعدها لنضوب الوقود. بيد أن الســفينة «غرير» اســتمرت في تتبع الغواصة التي لم تتعطــل من ضربات الطائرة البريطانية، فــكان أن ردت الغواصة بدورها بإطلاق توربيــدو على المدمرة الأمريكية التي ردت بدورهــا على الغواصة بقذائف عميقة، ولم تصب أي منهما الأخرى. ثم عادتا إلى الاشــتباك بعد ســاعات قلائل، وأيضا من دون خسائر للطرفين.

وبعد أسـبوع من تلك الحادثة خاطب الرئيس روزفلت الشـعب الأمريكي من خلال الراديو، فأطلق ثلاث كذبات، فذكر بوضوح أن الهجوم على المدمرة الأمريكية حدث من دون اسـتفزاز من جانبها، ولم يتطرق إلى الطائرة البريطانية التي أطلقت النـار أولا، فضلا عن تتبع المدمرة الأمريكيـة قبل رد الغواصة على المدمرة[4]، وذكر أيضـا أن الغواصـة الألمانية هي التي أطلقت النار أولا ومن دون سـابق إنذار، مع سـبق الإصرار على إغراق المدمرة «في المياه الأمريكية الدفاعية»، وانتهى بالقول بأن هذا الفعل هو «قرصنة، أخلاقيا وقانونيا»[5].

كـما أصر روزفلت على أن هويـة المدمرة كانت واضحة بالنسـبة إلى الغواصة الألمانية. بيد أن الحقيقة كانت خلاف ذلك، حيث أبلغ مسـؤولو البحرية الأمريكية روزفلـت - قبـل يومين من الحـادث - بأنه «لا يوجد أي دليل عـلى علم الغواصة بجنسـية المدمرة التي كانوا يطلقـون النار عليها». وأخـيرا صرح روزفلت بأنه «لا ننوي البدء بأي حرب مع هتلر ولا نسـعى إليها الآن». ولكن الحقيقة أنه قد قابل تشرشـل في الشهر السـابق على وقوع هذا الحادث (أغسـطس)، ونقلا عن رئيس الوزراء البريطاني، فقد «أخبره بأنه سوف يشن الحرب على ألمانيا من دون أن يعلنها، وبأنه سـوف يزيد تدريجيا من الأعمال الاستفزازية... وسيعمل كل ما في وسعه لكي يصنع حدثا. كان الرئيـس واضحا بأنه يبحث عن ذريعة تعطيه المبرر لبدء الأعمال العدائيـة». وهكذا، جاءت حادثة المدمرة «غرير» لتعطيه المسـوغ الكافي لتحقيق هدفـه، ولكنها لم تحقـق له رغبته في الدخول في الحرب العالمية الثانية. كان هجوم اليابـان على «بيرل هاربر»، في 7 ديسـمبر من العام 1941، مشـفوعا بإعلان هتلر الحرب على أمريكا، بعد أربع سـنوات من الهجـوم الياباني، هو الذي حقق دخول أمريكا الحرب.

جاء تصرف الرئيس ليندون جونسون ومستشاريه في السياسة الخارجية في أثناء حادثة خليج تونكين، في أوائل أغسطس 1964، مشابها تماما لسلوك الرئيس روزفلت خلال حادثة المدمرة غرير[6]. كانت تداعيات الأحداث في فيتنام الجنوبية تسير من سـيئ إلى أسوأ بالنسـبة إلى الولايات المتحدة. وقد حاول جونسون أن ينقذ الوضع بتصعيـده الحـرب ضد فيتنام الشـمالية، لكنه أدرك - في المقابـل - أن الرأي العام الأمريـكي غير متحمس لخوض حـرب كبيرة في جنوب شرق آسـيا، وأدرك في نهاية

الأمر أنه في حاجة إلى تفويض من الكونغرس ليمنحه الصلاحية لخوض حرب شاملة على فيتنام الشمالية. وبالفعل جاءت الفرصة المواتية للحصول على دعم الكونغرس لخطوات جونسون التصعيدية في 4 أغسطس 1964، عندما وصلت معلومات إلى واشنطن، بأن سفن مراقبة تابعة لفيتنام الشمالية قد هاجمت المدمرة الأمريكية مادوكس (Maddox) في خليج تونكين ولم يضع الرئيس وقته، حيث استطاع في 7 أغسطس تمرير قرار خليج تونكين من خلال الكونغرس. وقد منح ذلك القرار الرئيس جونسون تفويضا مطلقا لشن الحرب على فيتنام الشمالية.

وفي حقيقة الأمر فإن حكومة الرئيس جونسون اختلقت كذبتين عما حدث في مياه شواطئ فيتنام الشمالية، كانت الكذبة الأولى هي إصرار الرئيس ومساعديه وتعمدهم إعطاء انطباع بأن هجوما فعليا قد حدث في 4 أغسطس، ولا مجال للشك فيه، فعلى سبيل المثال، رد الرئيس جونسون على احتجاج الزعيم السوفييتي خروتشوف بأن لديه «دليلا كاملا وغير قابل للنقض» بأن الفيتناميين الشماليين كانوا قد هاجموا «مادوكس»[7]، وفي السياق ذاته، أكد روبرت ماكنمارا، وزير الدفاع، للسيناتور بورك هيكنلوبر في 4 أغسطس أن «الدليل على الهجوم دليل قاطع تماما»[8]. وقد أقر مقترح مشروع القرار الذي أرسلته الحكومة الأمريكية إلى الكونغرس في الخامس من أغسطس في سرية، بأن الفيتناميين الشماليين «هاجموا القطع البحرية للولايات المتحدة بشكل متعمد ومتكرر»[9].

بيد أن الحقيقة هي أنه وبعد ساعات من الإعلان عن الهجوم المزعوم، تساءل قائد المدمرة مادوكس في تقريره عما إذا كان هناك هجوم قد وقع بالفعل[10]؛ ففي 4 أغسطس، وفقا للمؤرخ فريدريك لوغفول، ضغط الرئيس جونسون بشدة على ماكنمارا «ليتحرى بدقة عن الحادثة»، وقد فعل ذلك لأنه يعلم أن هناك شكوكا فيما إذا كان ذلك الهجوم قد حدث فعلا[11]. وفي صبيحة اليوم التالي أبلغ ماكجورج بندي، مستشار الأمن القومي، موظفيه بأن «الدليل الذي بين يديه اليوم أضعف مما كان عليه في الأمس»[12]. وفي اليوم التالي أيضا (6 أغسطس) أبلغ والت روستاو، نائب بندي، المجتمعين في وزارة الخارجية «بأنه من غير المحتمل أن يكون هناك هجوم قد حدث في الرابع من أغسطس»[13]. وعندما علم بندي بما قاله نائبه روستاو، قال إنه عليه أن «يغلق فمه»[14]. وباختصار، فقد كان كذبا القول بأن الولايات المتحدة

لم يكــن لها أي شــكوك عما إذا كان هنالك هجوم قــد وقع بالفعل على مادوكس في الرابع من أغسطس.

أما الكذبة الثانية، فتتعلق بادعاء حكومة الرئيس جونســون بأن مادوكس كانت مجرد «دورية استكشــافية» روتينية في خليج تونكن، وأن الهجوم المزعوم عليها كان «متعمدا ومن دون اســتثارة»[15]. في حقيقة الأمر فــإن مادوكس كانت موجودة في تلك المياه في مهمة تجسســية، لجمع معلومات لمصلحة قوات فيتنام الجنوبية التي كانت تهاجم ســاحل فيتنام الشــمالية في تلك الأيام، وليس من المستغرب أن يدرك معظم صانعي القرار في السياسة الأمريكية أن هانوي ستتعامل مع المدمرة الأمريكية عــلى أنها جزء من تلك الهجــمات[16]. على الرغم من أن الدليــل لم يكن قويا، فإنه يمكن القول باحتمال أن أمريكا كانت تسعى إلى استفزاز فيتنام الشمالية لكي تهاجم مادوكس[17]، وعلى الرغم من ذلك، فقد كان روبرت ماكنمارا يكذب حتما عندما أبلغ الكونغرس في 4 أغســطس أن «أسطولنا البحري لم يكن جزءا من الهجمات، ولم تكن له علاقة بفيتنام الجنوبية، ولم يكن على علم بأي تحركات فيتنامية جنوبية، إن كانت هناك أي تحركات أصلا... أقولها بكل وضوح، هذه هي الحقيقة»[18].

وقبل هجومها على العراق في 19 مارس 2003، انغمســت حكومة الرئيس بوش في إثارة الذعر. ليس هناك أدنى شــك في أن الرئيس بوش ومستشاريه الرئيسين كانوا مقتنعين تماما بأن صدام حسين يشكل خطرا، وأنه لا بد من إزاحته عن الحكم عاجلا قبل آجل. وفي الوقت نفســه، كانوا يدركون أن عامة الشعب الأمريكي غير متحمس لغزو العراق. وعلاوة على ذلك لم يكن الجيش الأمريكي نفســه، والمخابرات، ووزارة الخارجيــة والكونغرس ميالين إلى الحرب. وللتغلب على حالة الممانعة لغزو العراق، لجأت حكومة الرئيس بوش إلى حملات الكذب والتضخيم والمبالغة في الخطر الذي يشكله صدام، واشتملت تلك الحملات على التلفيق والكتمان والكذب الصريح على الشعب الأمريكي. وسوف أتناول أربع أكاذيب أساسية:

الكذبة الأولى أطلت برأســها في 27 سبتمبر 2002، حين قال وزير الدفاع دونالد رمســفيلد، إنــه يملك دليلا «لا يخرقه الرصاص» بأن صــدام قد عقد حلفا وثيقا مع أسامة بن لادن[19]، ولكنه في حقيقة الأمر، لم يكن يملك أي دليل، وقد اعترف بذلك في 4 أكتوبــر 2004، في أثناء حديثه لمجلس العلاقات الخارجية بقوله: «وفق معلوماتي،

فإنني لم أطلع على أي دليل فعلي وقوي يربط بين الاثنين»[20]. وفي السياق ذاته، أقرَّ وزير الخارجية كولن باول الذي كان قد زعم قبل الحرب بأن أسامة بن لادن في «تحالف مع العراق»، وأن هناك «علاقة مشبوهة بين العراق والشبكة الإرهابية لتنظيم القاعدة»، واعترف في يناير 2004 بأنه: «لم أجد دليلا قاطعا على العلاقة بينهما، ولكن يظل وجود العلاقة احتمالا قائما، ولذا كان من الحكمة والحيطة أن نأخذ الأمر مأخذ الجد كما فعلنا في ذلك الوقت»[21].

كان لدى حكومة الرئيس بوش دليل قاطع قبل الحرب بأن أسامة بن لادن وصدام لم يعملا معا. فكما ذكرنا آنفا، هناك شخصيتان مهمتان في تنظيم القاعدة أُلقي القبض عليهما بعد الحادي عشر من سبتمبر، واستُجوبا على انفراد، ذكرا أنه لا علاقة بين الاثنين. وعلاوة على ذلك، لم تستطع المخابرات المركزية ولا مخابرات الدفاع أن تجدا دليلا قاطعا ومنطقيا على تلك العلاقة قبل غزو الولايات المتحدة العراق[22]. كما لم تستطع اللجنة الخاصة بالتحقيق في أحداث الحادي عشر من سبتمبر أن تكشف النقاب عن التآمر والتحالف بين القيادتين[23].

الكذبة الثانية ظهرت حين زعم مهندسو الحرب على العراق بأن الولايات المتحدة تملك الدليل القاطع، وعن يقين، على أن صدام يمتلك أسلحة دمار شامل، في حين أن ذلك لم يكن صحيحا. وبالطبع كانت هناك مبررات منطقية للشك في احتمالية امتلاك صدام أسلحة كيماوية وبيولوجية، ولكنه لم يكن هناك دليل مباشر على ذلك. في الواقع، عندما التقى رمسفيلد والجنرال تومي فرانكس بالرئيس بوش ليعطياه تقريرا عن الوضع في 6 سبتمبر 2002، قال فرانكس: «السيد الرئيس، لقد بحثنا عن صواريخ سكود، وأسلحة أخرى من أسلحة الدمار الشامل لعشر سنوات ولكننا لم نجد شيئا حتى الآن. لذا فلا أستطيع إبلاغك بأنني أعلم عن وجود أي أسلحة بالتحديد في أي مكان. فلم أرَ أي سكود»[24]. كما لم تستطع هيئات المخابرات أيضا، أن تجد الدليل على أن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل[25]. وأكثر من ذلك، لم يعثر مفتشو منظمة الأمم المتحدة على أي دليل بين نوفمبر 2002 ومارس 2003، على الرغم من الحرية المطلقة الممنوحة لهم لتفتيش أي بقعة داخل العراق. وطبعا، لو كانت الحكومة الأمريكية تعلم مكان تلك الأسلحة، لكانت قد أبلغت المفتشين الدوليين بذلك.

وعلى الرغم من غياب الدليل الدامغ، فإن نائب الرئيس ديك تشــيني قد أكد في اجتماع للمحاربين القدامى، في أواخر أغسطس 2002، أنه «لا شك في أن صدام يمتلك الآن أسلحة الدمار الشامل. ليس هناك شك في أنه يجهزها ليستخدمها ضد أصدقائنا، وضد حلفائنا، وضدنا»[26]. وبعد شــهر من هــذا التصريح أدلى وزير الخارجية كولن باول بالتصريح نفســه: «لا شــك في أن صدام يملك مخزونا من أسلحة كيماوية»[27]. وفي الخامــس مــن فبراير 2003 صرح باول للأمم المتحــدة: «من الواضح أنه لم يعد هناك شــك في أن صدام يمتلك أســلحة بيولوجية، كما يمتلك القدرة على إنتاج مزيد ومزيد منها»[28]. وفي الاتجاه نفسه، فقد صرح الرئيس بوش، في 17 مارس 2003، بأن «المعلومات التي جُمعت من حكومتنا وحكومات أخرى، لا تدع مجالا للشــك في أن النظام العراقي مســتمر في تملك وإخفاء أخطر ما عرف العالم من أســلحة»[29]. وفي الشهر نفسه، ذهب رمسفيلد إلى ما هو أبعد من ذلك، حين أعلن أن الولايات المتحدة تعلم أن صدام حسين يملك أسلحة الدمار الشامل «وتعلم مكان هذه الأسلحة»[30].

إن مثالا آخر لهذا النوع من الخداع هو ادعاء نائب الرئيس تشيني، في 8 سبتمبر 2002: «نحن نعلم، بأعلى درجات اليقين المطلق، بأنه [أي صدام] يســتخدم قدرات الشراء المتاحة لديه للحصول على الأجهزة التي يريدها لتخصيب اليورانيوم لبناء سلاح نووي»[31]، وقد كانت الأجهزة التي أشــار إليها ديك تشــيني هي أنابيب الألمونيوم التي اســتوردها من الخارج. ولكن، اتضح لاحقا أن هناك خلافا حادا داخل منظومة المخابرات بشــأن الغرض النهائي من تلك الأنابيب؛ فقد أشــار بعض المحللين إلى أن هذه الأنابيب صممت لتكون قوة نافذة تســاعد على صناعة الســلاح النووي، وقال البعض الآخر، ومنهم خبراء في وزارة الطاقة - وهي الهيئة التي تمتلك أفضل الخبرات الفنية حــول الموضوع - عن حق، إن هذه الأنابيب قــد صُممت لصناعة الصواريخ الحربية[32]، وبصورة عامة، فقد كانت هناك شكوك جدية داخل أجهزة الاستخبارات عــما إذا كان صدام قد أعاد تأهيل برنامجه للأســلحة النووية[33]، وباختصار، فإنه لا يمكن لنا أن نزعم أن العراق كان يحاول شراء هذه الأنابيب لتخصيب اليورانيوم.

الكذبــة الثالثــة: أطلقت حكومة الرئيــس بوش عدة تصريحــات قبل الحرب لترسيخ الإيحاء بأن صدام كان مسؤولا جزئيا عن هجمات الحادي عشر من سبتمبر، من دون التصريح الواضح بارتباطه بتلك الأحداث. كان الهدف من ذلك أن يحملوا

الشـعب الأمريكي على اسـتنتاج صورة غـير صحيحة من دون الإفصـاح عن ذلك الاسـتنتاج. وبالتالي فليس من قبيل المصادفة أن نجد نحو نصف الشـعب الأمريكي يؤمن بأن الديكتاتور صدام حسـين قد ساعد في تدمير سوق التجارة العالمي عندما بدأت الحرب في نصف مارس 2003[34]. غير أنه لم يكن هناك أي دليل على تورطه في هجمات الحادي عشر من سـبتمبر، كما ذكر الرئيس بوش ونائبه تشيني ومستشارة الأمـن الوطني كونداليزا رايس والوزير رمسـفيلد، ونائب وزير الدفاع بول ولفوتز، وقد اعترفوا جميعهم بعدم وجود ذلك الدليل عندما سئلوا مباشرة عن الموضوع[35].

ومـع العلم بعـدم وجود دليل، فـإن الحكومة الأمريكية ذهبـت إلى آخر حد في سـبيل تثبيت ذلك الارتباط في عقول الشعب الأمريكي. فعلى سبيل المثال، عندما طلب السيناتور مارك ديتون (ديموقراطي – مينيسوتا) من رمسفيلد، في 19 سبتمبر 2002، أن يوضح «الأسباب القاهرة التي جعلت أمريكا تشن حربها السريعة» على العراق في حين أنها لم تكن مجبرة على ذلك في البداية. أجاب الوزير: «ما الذي اختلف؟ الذي تغير هو أن هناك ثلاثة آلاف شخص قد قُتلوا... أما الجديد فهو العلاقة بين شبكات الإرهاب مثل تنظيم القاعدة ودولة إرهابية مثل العراق»[36]، وفي رسـالته للكونغرس في 18 سـبتمبر 2003، التـي حدد فيها الأبعاد والمبررات لغـزو العراق، كتب الرئيس بوش أن الولايات المتحدة كانت تعمل ضمن أطرها القانونية «لاتخاذ الإجراءات الضرورية ضد الإرهابيين العالميـين، والمنظمات الإرهابيـة، بما فيها تلك الدول، والمنظمات، أو الأشـخاص الذين خططوا، ودبروا، ونفذوا، وأمروا وساعدوا، الهجمات الإرهابية في 11 سبتمبر 2001»[37].

وحتى بعد سقوط بغداد، في أبريل 2003، ظل بوش وقادته يشيرون إلى الارتباط المباشر بين العراق وما حدث في 11 سـبتمبر. فمثلا، عندما تحدث الرئيس بوش من على متن حاملة الطائرات يو أس أس إبراهام لينكون، في الأول من مايو 2003، قال: «إن معركة العـراق هي أحد الانتصارات ضمن الحرب على الإرهاب التي بدأت في 11 سبتمبر 2001 ومازالت مستمرة حتى الآن»[*]. واستمر ليقول «إن تحرير العراق

(*) هنـاك إضافة لحديث بوش من على المدمرة لنكـون، حيث تحدث خلف قطعة كبيرة مكتوب عليها «تم إنجاز المهمة»، وبالطبع لم تكن المهمة قد أنجزت بعد، بل زادت تكاليف وخسـائر الجيش الأمريكي بعد ذلك. وحين طُلِب من بوش تفسـير لذلك قال إن قبطان المدمرة هو من وضع ذلك الإعلان. فما كان من القبطان إلا أن أرسـل تصريحا بأن ذلك غير صحيح، وأن إعلان «تم إنجاز المهنة» جاء به الرئيس بوش وطاقمه، وأنه لم يكن لديه علم به. وأن «كل الترتيبات الإعلامية قام بها بوش وطاقمه»، فاضطر بوش إلى الاعتراف بذلك لاحقا. [المترجم].

هــو خطوة متقدمــة في حملتنا ضد الإرهاب. وها نحن قــد أزلنا واحدا من حلفاء القاعدة... وقطعنا أحد مصادر تمويل الإرهاب... نحن لم ننس ضحايا 11 سبتمبر، ولا المكالمات الهاتفية الأخيرة، ولا قتل الأطفال بدم بارد، ولا البحث في الأنقاض. فبتلك الهجــمات، أعلن الإرهابيون ومؤيدوهم الحرب على الولايات المتحدة، والحرب هي ما سيحصلون عليه»[38].

كما قال نائب الرئيس ديك تشيني، الذي مارس دورا بارزا في نشر هذه الأكاذيب، في 14 ســبتمبر 2003، إنه إذا انتصرت الولايات المتحدة في العراق «نكون قد وجهنا ضربــة قاصمة في قلب الإرهاب في قاعدة الإرهابيين الجغرافية التي كانوا ينطلقون منها ويهددوننا لعدة ســنوات، وعلى الأخص الهجوم علينا أخيرا في 11 سبتمبر»[39]. وللمــرة الثانية، ليس هناك أي دليل على تعاون صدام مع بن لادن، دع عنك الزعم بمســاعدة الديكتاتور العراقي لتنظيم القاعدة بأي شكل في هجوم 11 سبتمبر. ومع ذلك ظلت حكومة الرئيس بوش تنشر القصة المزيفة لكسب الدعم والسند للحرب ضد العراق، الذي بدا في وضع متدهور في أواخر صيف 2003[40].

الكذبة الرابعة: في الســنة الســابقة على الحرب، ظل الرئيس بوش ومستشاروه يــرددون أنهم يأملون أن يجدوا حلا ســلميا لأزمة العراق، وأن الحرب في ذاتها هي الخيار الأخير، فعلى سبيل المثال، أبلغ بوش رئيس الوزراء الإيطالي سيلفيو بيرلسكوني، في 30 ينايــر 2003، أنــه لم يقرر بعد اســتعمال القوة ضد العــراق. ثم تحدث إلى الشــعب الأمريكي، وبيرلسكوني إلى جانبه، بأنه مازالت هناك فرصة مفتوحة لتفادى الحرب، بيد أن المهلة أصبحت قصيرة جدا[41]. وفي الأســبوع التالي، في ميونخ، صرح رمسفيلد علنا بأننا «مازلنا نأمل ألا تكون هناك حاجة إلى استخدام القوة لنزع سلاح صدام حسين. ولكي أكون واضحا: لا أحد يريد الحرب»[42].

وفي حقيقــة الأمــر، فقد كانت حكومة الرئيس بــوش مصممة على الحرب منذ صيــف 2002، إن لم يكــن قبل ذلك، لم يكن الذهاب إلى الأمم المتحدة في ســبتمبر 2002 سوى تغطية ديبلوماسية، وليس لتجنب الحرب، فمثلا نرى أن ريتشارد هاس، رئيس تخطيط السياســات في وزارة الخارجية، يقول إنه كان يعلم أن الحرب واقعة لا محالة بعد لقائه مع كونداليزا رايس في أول يوليو 2002. فحين ســأل مستشــارة الأمــن الوطني عن «جدوى التركيز على العراق في هذه المرحلة، بالنظر إلى الإرهاب

وقضايــا أخرى، أخبرته بألا يقحم نفســه في هذه الأمور لأن قــرار الحرب قد صدر وانتهى الأمر»[43].

وتقريبا في الوقت نفسه، استنتج صانعو القرار السياسي في بريطانيا أن واشنطن قد حسمت أمرها وعزمت على الحرب ضد العراق. وقد وردت خلاصة أفكارهم في ملخص اجتماع لهم برئاسة رئيس الوزراء تونى بلير في 23 يوليو 2002، حيث جاء في محضر ذلك الاجتماع التالي:

«أفــاد [رئيــس المخابرات السريــة في بريطانيا] بمحادثاته في آخــر زيارة له إلى واشــنطن بأن هناك تغييرا كاملا في التوجه. إن التحرك العسكري قد أصبح وشيكا لا محالة. يريد بوش إزاحة صدام بعمل عسكري، مبررا ذلك بارتباطه بالإرهاب وامتلاكه أســلحة الدمار الشامل». واســتمر المحضر ليقول إن «وزير الخارجية البريطاني قال إنه ســوف يناقش هذا الأمر مع كولن باول هذا الأســبوع. وبدا واضحا أن بوش قد عزم على الخيار العسكري، على الرغم من عدم تحديد زمن لذلك»[44]. وأخيرا التقى بوش بكولن باول في 13 يناير 2003، وأخبره بأنه قد قرر شن الحرب على العراق[45]. عقد ذلك الاجتماع قبل كلمة بوش للشعب الأمريكي بمعية بيرلسكوني بأسابيع قليلة، والتي صرح فيها بأن تفادي الحرب مازال أمرا محتملا، وكذلك قبل تصريح رمسفيلد في ألمانيا في الوقت نفسه بأن «الحرب مازال من الممكن تفاديها»[46].

لماذا يلجأ القادة إلى إثارة الذعر؟

يلجأ القادة إلى اســتعمال ســلاح إثارة الذعر عندما يشــعرون بأن هناك خطرا مبــاشرا يهدد الأمــن الوطني، لا يراه الشــعب، ولا يمكنه تقديــره بالطرق المباشرة والصادقــة[47]. ويظن القادة أن الطريقة الوحيدة لتحريك الشــعب لفعل الصواب هو خداعهم من أجل مصلحتهم. فأسلوب إثارة الذعر، وهو سلوك يفرض من الأعلى إلى الأدنى، هو ســلوك غــير ديموقراطي في حقيقته، ومع ذلك يمارســه القادة لأنهم يعتقدون أنه يحقق مصلحة وطنية، وليس مصلحة شخصية.

وهناك أســباب كثيرة تجعل المواطنين العاديين لا يدركون المخاطر التي تواجه البلاد. فربما لا تكون لديهم معرفة كافية بالشؤون الدولية للتبصر بالأخطار المحدقة بدولهــم، وإن قدم لهم قادتهم أدلة واضحة عليهــا. علاوة على ذلك، قد لا يملكون

الــذكاء المطلوب للتعرف على الخطر. ومن الممكن أيضا أن يجبنوا أمام التهديدات. باختصــار، فإن العامــة قد يكونون عرضة لبعض الجهل والغبــاء والجبن. وفق هذا المنطق، عندما يحدث ذلك، فعلى النخبة أن تشــعل حــماس مواطنيها لكي ينهضوا للتصدي للتحدي الماثل أمامهم.

ومــن الأمثلة الجيدة لهذا النوع من التفكير، تصرف حكومة الرئيس ترومان[*]، عندما حاولت إقناع الشعب الأمريكي بدعم زيادة الإنفاق العسكري في صيف العام 1950[48]. فكان الرئيس وكبار مستشاريه في شؤون السياسة الخارجية يعتقدون أن الســواد الأعظم من الشعب ربما لن يوافق على هذه الزيادة الضخمة. وعليه لا بد من صناعة «حملة ذعر سيكولوجية». وبالطبع، فعندما يأخذ صانعو القرار السياسي الشــعب على هذا الطريق، لا بد من أن يواجهوا أحيانا مواقف صعبة تضطرهم إلى الكذب لبث الخوف في الجمهور ليضمنوا مساندة الشعب لسياسة الحكومة.

يصبح الأمر أكثر صعوبة عندما لا تتجاوب النخبة المتعلمة مع ما يبدو أنه خطر يهــدد البلاد في ظرف ما. فلربما ينظر إلى هؤلاء من المعارضين، ذوي الدراية والخبرة، على أنهم تنقصهم الرؤية الحصيفة للسياســة الدولية، أو أن تفكيرهم يشــوبه نوع مــن الضبابية، أو ينقصهم النضج، ولذا يكون مــن الضروري تضخيم حجم التهديد لشــد عزيمتهم. وقد تكون قراءتهم لما هو متوافــر عن التهديد الذي يواجه بلدهم من الأدلة قراءة غير صحيحة، مما يجعلهم يرســمون صورة متفائلة عنه. فإذا فشل القادة في حل هذه المشــكلة عن طريق تزويد هؤلاء المنشقين بمعلومات أكثر دقة، فلا مفر عندئذ من اللجوء الى سلاح إثارة الذعر.

بيد أن أسلوب الخداع قد لا ينجح مع هؤلاء المتعلمين المتمردين، لأنهم بطبيعة الحال يدركون ما يجري حولهم، فمن الصعب أن تنطلي عليهم الكذبة. والحل الآخر البديــل الذى ربما يكون أكثر فاعلية هو أن تســتعمل ســلاح إثــارة الذعر لتحريك

(*) الرئيــس هاري إس ترومان هو الرئيس الأمريكي الرقم 32، تولى الرئاســة من 1945 إلى 1953، كان نائبا للرئيس فرانك روزفلت لفترة قصيرة قبل أن يخلفه بعد وفاته في العام 1945. كان رئيسا في الأيام الأخيرة للحرب العالمية الثانية وبالتالي وقعت عليه مســؤولية اتخاذ قرار إلقاء القنبلة الذرية على هيروشــيما وناغازاكي. انتخب في العام 1948 مع تصاعد الاحتقان مع الاتحاد الســوفييتي وبداية الحرب الباردة. شــهدت فترة رئاسة ترومان خروج أمريكا من عزلتها السياسية الخارجية. حيث أسهمت بشكل مباشر في تأسيس الأمم المتحدة ودشن مبدأ ترومان في محاربة الشيوعية، وخصص 13 مليار دولار كخطة مارشال لإعادة بناء أوروبا ما بعد الحرب. [المترجم].

الجمهور الأوسع، واستعدائه تجاههم. وأخيرا، سوف يجد هؤلاء المتمردون أنفسهم في عزلــة عــن الآخرين، وفي وضع مشــبوه مما قد يؤثر في مســتقبلهم المهني الذى قــد يصبح مهددا فيضطــرون إلى التخفيف من انتقاداتهــم، أو يهادنون أو يلزمون الصمت، أو ربما حتى يضطروا إلى أن يغيروا أقوالهم، ويســاندوا سياسات الحكومة. فعلى ســبيل المثال، أقر ليزلي غيلب، الرئيس الســابق لمجلــس العلاقات الخارجية بصراحــة فائقــة أن هذه السياســة جعلته يغير رأيه ويؤيد الحــرب على العراق في 2003: «كان تأييدي للحرب في البداية نابعا من اتجاهات مؤسفة في وسط العاملين بالسياسة الخارجية، منها الحفاظ على وضعك الوظيفي، والحوافز التي تنهال عليك من جراء تأييد الحرب، والحفاظ أيضا على وضعك السياسي والمصداقية المهنية»[49].

هناك تفســير آخر للجوء القادة إلى اســتعمال ســلاح إثارة الذعــر، لكنه أقل ازدراء واحتقارا للجمهور. فمن المحتمل أن يكون النظام السياسي للدولة متهالكا إلى درجة أنه غير قادر على الاستجابة السريعة لمجابهة خطر داهم في الوقت المناسب. وقد كانت الحكومة الأمريكية الناشــئة تحت مواد الكونفدرالية خير مثال للوصف الســابق. بل قد يقول البعض إن النظام الرقابي الذي أنشــئ في ظل الدســتور غير مهيــأ للتعرف والتعامل مع التهديــدات الخارجية في وقت سريع وكاف[50]. وبالتالي ســتكون لدى القادة حوافز قوية لاستخدام ســلاح إثارة الذعر عندما تتصلب آلية عمل الحكومة لتحريك الشعب لمواجهة الخطر المحدق بهم.

من الســهل نسبيا أن يكذب صناع السياســة على جماهيرهم. فابتداء، يسيطر صناع القرار الســياسي على أجهزة مخابــرات الدولة، التي تمكنهم من الحصول على معلومات لا يستطيع العامة معرفتها أو الوصول إليها على المدى القصير على الأقل. وهكذا يصبح في مقدور صناع القرار أن يتلاعبوا بتدفق تلك المعلومات للناس بطرق مختلفة، وســنجد أن معظم الناس يميلون إلى تصديق ما يقوله لهم حكامهم، إلا إن وجــدت دلائل قوية بأنهم يتعرضون للخداع. كذلك يســتطيع الرئيس أن يســتغل منبره الخطابي ليتلاعب بمســارات السياســة الخارجية بوســائل مختلفة، بما في ذلك الكذب على الجمهور. وللرؤساء الأمريكيين صلاحيات ونفوذ واسع بهذا الشأن.

يعتبر الكذب على الجمهور أمرا سهلا نسبيا لسبب آخر. فكما أشرنا، من الصعب على رؤســاء الدول أن يكذب بعضهم على بعض في القضايا المهمة، لأنه لا توجد ثقة

بــين الدول. وعادة ما ترغم الفوضى الدول على أن تكون حذرة وواعية في تعاملها مع الغــير، وبالذات إذا كان الموضوع متعلقا بالأمن القومي. بيد أنها ليســت هي الحالة داخــل معظم الدول، حيث نجد معظم الناس، ومن بينهم النخبة المتعلمة، أكثر ميلا إلى الثقة بحكومتهم، والتي يفترض أن أهم وظيفة لها هي حمايتهم. وقد علق روبرت ماكنمارا في إحدى المرات: «أنا لا أتخيل أحدا لديه أبســط معرفة بمجتمعنا، أو نظام حكمنا، يشــك في وجود مؤامرة» لاســتفزاز حرب ما[51]. وبالتأكيد فإن عددا كبيرا من الأمريكيين يؤيدون ما ذهب إليه ماكنمارا، كونهم يتوقعون من رؤســائهم أن يكونوا صادقين معهم. وهذه الثقة، بالطبع، هي التي تجعل خداع الشعب أمرا سهلا، ولذلك فإن ما تحدث عنه ماكنمارا ليس واردا وممكنا فقط، بل إن لدينا أدلة عليه.

ولربما يظن البعض أن إشاعة الذعر سلوك غير مجد، لأن المخادع سوف يكشف لاحقــا، ويلقى جزاءه من قبل جمهوره. ومــن الممكن أيضا أن يفقد مصداقيته من قبــل مواطنيه، أو ربما يخسر الانتخابات إذا عاد وترشــح للمنصب مرة أخرى. ومن الواضح هنا أن هذه الاحتمالات لا تمثل رادعا، لسبب بسيط، وهو أن الحكام الذين يكذبون يظنون أنهم يســتطيعون أن يفلتوا من المســاءلة. فمن غير المؤكد أن تلك الأكاذيب ســيتم اكتشــافها في زمن قصير. لقد مضى أكثر من ثلاثين سنة لكي يُكشَف النقاب عن كذبة الرئيس جون كنيدي على الشــعب الأمريكي بشأن كيفية معالجته أزمة الصواريخ الكوبية. وكما ســنناقش في الفصل التالي، فإن الرئيس كنيدي كان قد عقد اتفاقا سريا مع الاتحاد الســوفييتي بأن تزيل الولايات المتحدة صواريخ جوبيتر من تركيا مقابل ســحب الســوفييت صواريخهم من كوبا. وقد أنكر الرئيس كنيدي ومستشاروه إبرام هذا الاتفاق خلال الأزمة وبعد حلها.

عــلاوة على ذلك، يعتقــد الكاذبون أنهم حتى لو ضبطوا متلبســين بصنيعتهم، فإنهم يســتطيعون الاعتماد على محامين متميزين وأصدقــاء في مواقع النفوذ، لكي يســاعدوهم على ترتيب دفاع ذكي يجنبهم التعرض للعقوبة. أخيرا، وهذا هو الأكثر أهمية، فإن الرؤســاء الذين يستغلون سلاح إثارة الذعر مقتنعون تماما بأن تقييمهم لحالة الخطر صحيح، حتى لو كذبوا في جوانب بسيطة تتعلق ببعض الجزئيات. هم يعتقدون يقينا أنهم على حق، وأن ما فعلوه إنما يصب في مصلحة البلد. وعليه فلن تكون لتلك الأكاذيب قيمة تذكر إذا كشــفت على المدى البعيد، خصوصا إذا نجحوا

في تسليط الضوء على التهديد الذي يواجه البلاد وتعاملوا معه بصورة فعالة. أي أن الغاية هنا تبرر الوسيلة.

ويتجلى هذا النمط من التفكير في حملة الخداع والكذب التي قامت بها حكومة بــوش قبيل قيــام الحرب على العراق. ولعلها كانت في غايــة النجاح لو كان انتصار الولايات المتحدة انتصارا كاســحا كما كان في العام 1991. ويوضح تعليق ريتشــارد كوهين، الكاتب في جريدة «واشنطن بوست» في نوفمبر 2005، بشأن تدهور الحرب الثانيــة على العراق، يوضح قدرة الانتصار العســكري عــلى التطهير: «كان يمكن أن نسامح الرئيس بوش لخوضه حربا تحت مبررات زائفة، لو أن ما نتج منها كان شرق أوسط ديموقراطيا في وضع أفضل»[52].

عندما تستخدم النخبة سلاح إثارة الذعر

يؤثر نمط النظام الحاكم بشــكل كبير في احتمالية اســتخدام أســلوب إثارة الذعر. وبالخصوص، فإنه أكثر استخداما في الأنظمة الديموقراطية منه في الأنظمة الأوتوقراطيــة، وذلك لأن القادة في الأنظمة الديموقراطية عليهم أن يأخذوا الرأي العام في الاعتبار. وبالطبع فإن ذلك لا يعني بالضرورة أن جميع الحكام المنتخبين ديموقراطيا يرون أن شعوبهم في حاجة إلى خديعة ما لأنهم غير قادرين على تقييم الحقائق وتقديرها تقديرا صحيحا، حتى إن رأى بعضهم ذلك. ويتأصل هذا النوع من التفكير في أوســاط اليمين الأمريكي، حيث يســود اعتقاد بأن الديموقراطيات تكون في وضع أضعف حين تتنافس مع الأنظمة غير الديموقراطية، لأن الرأي العام أحيانا يقف حجر عثرة أمام تشــكيل سياسة خارجية فاعلة وقوية. وقد كان نمط التفكير هذا ســائدا في أثناء الحرب الباردة، وعلى الأخص وســط بعض المحافظين الجدد، وبعض المتشددين أمثال جيمس بيرنهام وجان فرانسوا ريفل[*]، الذي رأى

(*) جيمس بيرنهام ولد في العام 1905 وتوفي في العام 1987، وهو فيلسوف ومنظر سياسي أمريكي. بدأ حياته يساريا ماركســيا تروتســكيا ثم انتقل لاحقا إلى اليمين ليصبح أبــرز منظري حركة المحافظين الأمريكيــة. ومن أبرز مؤلفاته «الثورة الإدارية» (1941)، وكان مساهما رئيسا في مجلة المحافظين الأمريكية ذا ناشيونال ريفيو.
أما جان فرانســوا ريفل، فقد ولد في العام 1924 وتوفي في العام 2006. وهو كاتب ومنظر وســياسي فرنسي دافع بقوة عن السلوكيات الأمريكية في العالم، وانتقد الحساسية والعداء الأوروبيين لأمريكا وعلى الأخص بعد أحداث 11 سبتمبر 2001. [المترجم].

أن الجمهــور في الديموقراطيات الغربية يميل إلي المهادنة أكثر من مجابهة الأعداء الخطرين[53].

إن فكــر المحافظــين الجدد[*]، الــذي يتمحور حول عدم قــدرة الجمهور على التعامل مع الحقائق بصورة صحيحة، يتلخص فيما قاله إيرفنغ كرســتول أحد الآباء المؤسسين لهذه الحركة: «هنالك حقائق مختلفة وفق اختلاف الناس. هنالك حقائق تناسب الأطفال، وحقائق تناسب الطلاب، وحقائق تناسب المتعلمين الكبار، وحقائق أخرى تناسب الكبار المتعلمين تعليما عاليا. التصور بأن هناك حقيقة واحدة تناسب الجميع ليس إلا وهم الديموقراطية الحديثة. وهو غير قابل للتطبيق»[54].

بيــد أن هذا المنظــور لا ينحصر في المحافظين فقط، كما يتضــح جليا حين نقرأ كتــاب «جمهور الأشــباح»[**] لوالتر ليبمان، وهو ليس من المحســوبين على اليمين بأي صورة[55].

وقد يكون هذا النوع من الســلوك أكثر انتشــارا في الديموقراطيات، لكنه ليس مقتــصرا فقــط عليهــا، لأننا في عــصر القوميات نجــد بعض الرؤســاء في دول غير ديموقراطية يعيرون انتباها لرأي الجمهور. فهتلر، على سبيل المثال، كان يتتبع بشكل لصيق تفكير الشــعب الألماني في كل المواضيع، وذهــب إلى أبعد الحدود ليتأكد إن كانت سياساته تتمتع بتأييد وسند جماهيري واسع. وكانت حكومته، كما نبهنا إيان كيرشــو: «واعيــة وحريصة على صناعة مفهوم الإجــماع»[56]، وعلى الرغم من ذلك، نجد أنه كلما اشــتدت قبضة الحاكم الفردي على مجتمعه، قلت الحاجة إلى اللجوء إلى أسلوب إثارة الذعر.

وتؤثــر الجغرافيا كذلك في نمط اســتخدام إثــارة الذعر كأحد أســلحة الدولة. فالدولة التي تجاورها دولة معادية مشاكسة لا تحتاج إلى مبالغة في تصوير التهديد،

(*) «المحافظــون الجــدد» هــي حركــة تجديدية في وســط التوجه المحافــظ، وإن كان أغلب مــن تبناها هم من الديموقراطيــين الذيــن انتقــدوا الحزب الديموقراطــي خلال فترة الســتينيات من القرن الماضي. ويبــدو أن مصطلح المحافظــين الجدد قد أخذ في الصعود من مناوئيهم ومنتقديهم. والملاحظ أن العديد من منتســبي المحافظين الجدد صاروا من مشاهير الساسة في أمريكا في العقود الأربعة الماضية. وقد بلغ أوج نفوذهم خلال فترة رئاسة جورج دبليو بوش وخططوا ونفذوا لغزو العراق ســنة 2003. ومن أبرزهم بول وولفوتز وريتشــارد بــيرل وجون بولتون وإليوت أبرامز وبول بريمرا. ويتسم المحافظون الجدد بدفاعهم القوي عن إسرائيل ودعوتهم لنشر الديموقراطية. [المترجم].

(**) Walter Lippmann, *The Phantom Public*.

فالعــدو قريب جدا. وفي مثل هذه الحالات نجــد أن الجمهور يدرك الخطر ويأخذ الحيطة من جاره. وفي المقابل فإن الدول التي لا تتشارك حدوديا مع عدو يهددها، تكون أكثر احتمالا لاســتخدام أسلوب إثارة الذعر كسلاح. حيث يبدو العدو البعيد جغرافيــا أقل تهديدا من العدو القريــب، فيلجأ الحكام إلى التضخيم والمبالغة لبث الخوف والذعر.

والدول التي تفصلها مياه عريضة عن أعدائها الأساســيين وحلفائها - وأســميها الدول المتوازنة البعيدة - عادة ما تميل إلى استعمال سلاح الخوف والذعر؛ لأن المياه تعد حاجزا دفاعيا عظيما[57].

وبمقارنــة حجم تضخيم درجة التهديد في كل دولة من القوى الكبرى في الحرب العالمية الأولى، ندرك تماما كيف أن الجغرافيا كان لها أثر قوي في الخطاب السياسي للرؤســاء المختلفين لوصف أعدائهم في أثناء الحرب. فقد كان أســلوب إثارة الذعر من التهديد الألماني أقل اســتخداما في فرنسا وروسيا من مثيله في بريطانيا والولايات المتحــدة. وهذا أمــر ليس بمســتغرب، لأن الدولتين الأنجلوساكســونيتين: بريطانيا والولايات المتحدة، دولتان متوازنتان بعيدتان، وعلى العكس، فإن فرنســا وروسيا لم تشــتركا حدوديا مع الإمبراطورية الألمانية فقط، بــل تقاتلان ألمانيا داخل حدودها. وكذلــك فــإن ألمانيا لم تكن في حاجة إلى اســتعمال إثارة الذعر، لأنهــا كانت تقاتل أعداءها على حدودها الشرقية والغربية.

وأخــيرا، فإن الرؤســاء الذين يذهبون إلى حــروب من اختيارهــم - كالحروب الوقائية أو الاستباقية – في الأغلب يستعملون أسلوب إثارة الذعر. فمن الصعب أن تجعل الشــعب مؤيدا لحرب وقائية، حيث تهاجم دولة دولة أخرى لا تشكل خطرا آنيــا عليها وقت الهجوم، فالتهديد ليس خطيرا في حينه، ما يعني تراجع استشــعار الرأي العام للخطر. علاوة على ذلك، إذا أخذنا في الاعتبار صعوبة التنبؤ بما سيحصل في المســتقبل، فسنجد أن أغلبية الشعب ســيظنون أن التهديد غير جدي لسبب أو لآخــر. يضاف إلى ذلك أن الحروب الوقائيــة ممنوعة بنص القانون الدولي، كما هي الحــرب العادلة، مما يجعل قبول شــن الحرب أمرا صعبــا في كثير من الدول. لهذه الأسباب مجتمعة يفضل كثيرون - ومنهم الخبراء - تبني سياسة «ننتظر لنرى»، على أمل ألا تحصل مشــاكل. وللتصدي لهذا، يرى أنصــار الحرب أنه من الضروري إثارة

الذعــر لخلق الانطباع بأن هناك خطرا مبــاشرا، وتعزيز الحرب الوقائية ضد العدو، واستباق الهجوم قبل العدو. فالحروب الوقائية، وهي أساسا شكل من أشكال الدفاع عن النفس، معترف بها على نطاق واسع بأنها مشروعة وعادلة في الوقت نفسه[58].

وعــودة إلى فترة التهيئة للحــرب الأخيرة على العراق، فإنــه من المهم ملاحظة أن الولايــات المتحدة هي دولة ديموقراطيــة ومتوازنة وبعيدة، وكانت تحاول إقناع شعبها بشن حرب وقائية.

ولذا، لم يكن مســتغربا، أن تطلق حكومة بوش الأكاذيب، وأن تنغمس في أنواع أخرى من الخداع لخلق الانطباع بأن صدام حســين كان يشــكل تهديدا مباشرا، وأن الولايات المتحدة، استنادا إلى ذلك، كانت تشن حربا استباقية وليست حربا وقائية[59].

5

التغطيات الإستراتيجية

هنـــاك نوعان من التغطيات الإســـتراتيجية، فالقـــادة قد يكذبون عندما تفشـــل سياســـة ما فشلا ذريعا، ويكون دافعهم الأساسي إلى الكذب هو حماية مصلحة البـــلاد، وليس حماية الأفراد الذين كانوا وراء هذا الفشل، وإن جاءت حماية أولئك المسؤولين كنتيجة غير مقصودة. ويكذب القادة أيضا لإخفاء إســـتراتيجية جيـــدة ولكنها مثيرة للجدل، خشية أن تواجَه برفض جماهيري حقيقي يمنع تبنيها. والهدف ليس إخفاء سياسة ركيكة عن الحلبة السياســـية، بل تطبيق سياسة محددة من دون إثـــارة معارضة قوية. وفي كلتا الحالتين، يعتقد القادة بوجود أسباب إستراتيجية منطقية لتغطيـــة الأمر، ولذلك هم يكذبون من أجل تقديرهم لما يرون فيه مصلحة بلدانهم.

وبينـــما يوجَّه الكـــذب بين الـــدول إلى الدول الأخرى، توجَّه إثارة الذعر إلى الجبهة الداخلية. أما التغطية الإستراتيجية فتوجَّه عادة إلى الجمهورين،

«القائد في البلاد غير الديموقراطية يكون أقل ميلا، من نظيره في البلاد الديموقراطيـــة، إلى إخفاء سياســـة مثيرة للجدل عن شعبه»

الداخلي والخارجي. ولكي نكون أكثر دقة، فإن القائد الذي يعتاد تغطية وإخفاء سياسات فاشلة أو مثيرة للجدل يحاول دائما أن يخدع جمهوره في الداخل، وأحيانا يحاول أن يخدع دولا أخرى في الوقت نفسه. وبعبارة أخرى، فإن الجمهور المستهدف بالتغطيات الإستراتيجية يمكن أن يكون فقط الجمهور الداخلي، أو يكون جمهور الداخل بالإضافة إلى جمهور الخارج. غير أن الجهة المستهدفة في إطار هذا النوع من الخداع، لا يمكن أن تكون مجرد دولة أخرى، وإلا فسيصبح نوعا من أنواع الكذب بين الدول.

من المهم تأكيد أن التغطيات الإستراتيجية ليست فقط أمثلة للكتمان، والذي يحدث عندما يخدع الحكام جماهيرهم المستهدفة بحجب المعلومات عنهم، أو بعدم التعليق أو الحديث عن مشكلة ما تخص سياسة خارجية مهمة. ففي حالة التغطيات الإستراتيجية، يتعامل القادة بالضرورة مع قضايا دولية ذات جوانب علنية، ومن المؤكد أنها ستطرح أسئلة يصعب على الحكومة أن تجيب عنها. في مثل هذه الحالات يلجأ القادة إلى استخدام الكذب على مواطنيهم، لأنهم يعتقدون أنه يخدم المصلحة الوطنية العليا، وفي السياق ذاته يكذبون على دول أخرى.

لماذا يستخدم القادة التغطيات الإستراتيجية؟

أحد الأسباب التي تدفع القادة إلى إخفاء العجز الذي سبَّب الفشل هو رغبتهم في إخفاء نقاط ضعفهم عن أعين العدو، الذي ربما يستغلها ضدهم، أو خشية أن تؤثر الحقائق سلبيا في علاقتهم بدول أخرى. ومن الطبيعي أيضا أن يقلقوا على جبهتهم الداخلية، حيث قد تؤدي الأخبار عن فشل العمليات إلى تقويض الوحدة الوطنية، وهو أمر تزداد أهميته عندما تدخل الدولة في حرب طويلة لا تسير عملياتها بشكل إيجابي.

في الحرب العالمية الأولى، مثلا، وجدنا أن المارشال جوزيف جوفري، القائد العام للجيش الفرنسي، لم يحسن التخطيط لمعركة «فردان»(*) (في العام 1916)، ومن ثم أساء إدارتها. وبالتأكيد فإنه لم يكن جديرا بهذه المهمة، وكان معظم القادة

(*) نشبت معركة فردان في العام 1916 بين الجيشين الألماني والفرنسي، واستمرت ثمانية أشهر، وهي من أكبر وأطول وأكثر المعارك دموية إبان الحرب العالمية الأولى على الجبهة الغربية. وتذهب التقديرات إلى أن ضحاياها زادوا على 700 ألف، غير أن تقديرات أكثر حداثة ترفع الرقم إلى أكثر من مليون، الأمر الذي يجعلها من أكثر المعارك كلفة في التاريخ. [المترجم].

السياســيين الفرنســيين يعلمون ذلــك. ولكنهم لم يتمكنوا من كشــف عدم كفاءته للجمهور في حين كان آلاف الجنود يُقتلون أو يُجرحون كل أســبوع. كانوا يخشــون أن يؤدي كشــفهم الحقيقة عن جوفري، في زمن حرب، إلى إضعاف الروح المعنوية في الجبهة الداخلية، وربما يقوض جهود الحرب نفســها. ولهذا السبب لجأوا إلى كتم نقاشــاتهم الحادة عن جوفري بعيدا عن أنظــار الجماهير، وصوروه، كذبا، على أنه قائد كفء، مكتمل العتاد والعدة. إن «الاهتمام بالروح المعنوية»، كما كتب الباحث إيان أوســبي، «قد منعه من السقوط في العار الرسمي»[1]. ولعله كان سيغدو ضربا من الجنون أن يكشــفوا للألمان أن القوات الفرنسية التي يقاتلونها في فردان تواجه مشكلة كبيرة، لأنها تحت قيادة قائد غير كفء.

ومثَّــل تصرف إسرائيل بعد مذبحة «قبية» المَشــينة حالــةً أخرى على التغطية على سياســة فاشلة، لأسباب رأى قادتها أنها مبرَّرة[2]، ففي 14 أكتوبر 1953 تحركت فرقة كوماندوز بقيادة الميجر آرييل شارون، إلى قرية قبية في الضفة الغربية، وقتلت تســعة وستين فلسطينيا، جلهم من النســاء والأطفال ردا على مقتل امرأة إسرائيلية وطفليها في اليوم السابق. جاءت الأوامر من القيادة المركزية الإسرائيلية التي أشرفت على الهجوم بأن الهدف هــو «مهاجمة قرية قبية، واحتلالها بصورة مؤقتة، والقتل لأقصى حد لأجل طرد سكان القرية من منازلهم»[3].

أثار هذا التصرف ضجة كبرى حول العالم، بمن في ذلك الجالية اليهودية في أمريكا، عندما علموا بما ارتكبه الجنود الإسرائيليون في قبية. وقد كتب الباحث أفي شــليم من جامعة أكسفورد قائلا: «إن مذبحة قرية قبية قد أطلقت العنان لاحتجاج عالمي ضد قسوة غير مسبوقة لإسرائيل في تاريخها القصير»[4]. وكذلك سببت الأخبار الفظيعة عن الهجوم مشاكل جمة للحكومة الإسرائيلية في الجبهة الداخلية[5]. واستشعارا للمشاكل المحتملة على المســتوى الداخلي، فضلا عن الضرر الذي أصاب ســمعة إسرائيل دوليا، حاول قادة إسرائيل إنقاذ الموقف عن طريق الكذب. فقد كتب المؤرخ الإسرائيلي بيني موريــس: «في 19 أكتوبر، ظهر رئيس الوزراء ديفيد بــن غوريون متحدثا على الهواء بروايــة مختلَقة عما حدث». فرمى اللوم في المذبحة على مســتوطني الحدود اليهود، حيث قال: «إن الحكومة الإسرائيلية بدورها تدين بشــدة الاتهام الســخيف أن 600 رجل من القوات النظامية الإسرائيلية قد اشتركوا في تلك الفعلة... وقد حققنا في الأمر،

فاتضح لنا، بما لا يدع مجالا للشك، أنه لا توجد أي وحدة عسكرية لم تكن في قواعدها في ليلة الهجوم على قبية»[6]. غير أن كذبة بن غوريون لم تنطل على أحد، حيث أصدر مجلس الأمن في 24 نوفمبر بيانا شديد اللهجة يندد فيه بالعملية.

كـما قد يكــذب القادة لتغطية موضــوع مثير للجدل لأنهم مقتنعون بأنه ســليم إستراتيجيا، ولكنهم يريدون إخفاءه عن جمهورهم، أو ربما عن الدول الأخرى. والمعنى الضمني هنا أن أغلبية مواطنيهم ليست لديهم الحكمة الكافية لإدراك المعاني والمضامين البعيدة لهذه السياســة. لذا فإنه من المنطقي للقادة تبني إســتراتيجية أو سياســة ما وإخفاؤهــا عن الجمهور، وإلا فقد يجبر الرأي العــام الحكومة على التراجع عنها، الأمر الــذي قد يضر بمصلحة الدولة. ومن هنا ندرك أن منطق التقييم القاسي نفســه بعجز الجمهور عن التفكير السليم يُتَّبع في إثارة الذعر، وكذلك في التغطيات الإستراتيجية.

كانت جهود الرئيس جون كنيدي المُضنية لحسم أزمة الصواريخ الكوبية بطريقة ســلمية مثالا حيا لرئيس يكذب من أجل أن يخفي سياســة مثــيرة للجدل[7]. ولكي ينهي الأزمة قبل أن تتصاعد إلى حرب بين القوتين العظميين، وافق كنيدي على طلب الســوفييت أن تســحب الولايات المتحدة منظومة صواريخهــا النووية جوبيتر من تركيا، مقابل ســحب الســوفييت صواريخَهم أيضا من كوبا[*]. وكان الرئيس كنيدي

(*) عَرضت مكتبة جون كنيدي في مدينة بوســطن الأمريكية قبل ســنتين لأول مرة تسجيلات للنقاشات التي جرت منــذ بدايــة الأزمة في 16 أكتوبر 1962 وحتى نهايتها في 28 أكتوبر. وقد حضرتُ المعرض شــخصيا وكانت المعلومات مثيرة لأنها كانت مسجلة بالصوت، حيث اتضح أن الرئيس كنيدي كان يخفي جهاز تسجيل تحت طاولة الاجتماعات بالبيت الأبيض.

كان عنــوان المعــرض هو «على الحافة»، وذلك لتصوير كيف أن العالم كان قد حبس أنفاســه من احتمال قيام حرب نووية بين القوتين العظميين في العالم.

وتعد أزمة الصواريخ الكوبية إحدى أهم الحالات الكلاسيكية للنزاعات في أدبيات العلاقات الدولية. استغرقت الأزمة 13 يوما، وتتلخص في إقدام الاتحاد الســوفييتي إبان زعامة نيكيتا خروتشــوف على توقيع اتفاقية سرية مع الرئيس الكوبي فيديل كاســترو من أجل نصب صواريخ باليســتية على الأراضي الكوبية. وبدأت الحادثة على خلفية محاولات الولايات المتحدة الإطاحة بالرئيس كاسترو، وكانت آخر تلك المحاولات الإنزال العسكري الفاشل على خليج الخنازير في العام 1961، كما جاء بعد نصب الولايات المتحدة منظومةَ صواريخ باليستية جوبيتر في إيطاليا وتركيا يصل مداها إلى الاتحاد السوفييتي بسهولة. وافق خروتشوف على نصب الصواريخ في كوبا استجابة لطلبها ولردع أمريكا عن التعرض لكوبا. وبعد أن تأكدت الاستخبارات الأمريكية من حقيقة البدء ببناء منظومة الصواريخ، طالبت الاتحاد السوفييتي بتفكيــك منصات الصواريخ وإعادتها إلى الأراضي الســوفييتية. وعلى أثر ذلك فرض الرئيس كنيدي حصارا بحريا على الســفن الداخلة إلى كوبا وأمر بتفتيشــها. وعلى مســتوى آخر بدأت مفاوضات سرية بين كنيدي وخروتشوف حول كيفيــة إنهاء الأزمة، والتي كان حلها عن طريق تفكيك الصواريخ الســوفييتية وإعادتها. وفي المقابل تفكيك الولايات المتحدة لصواريخ جوبيتر في إيطاليا وتركيا. غير أن الجزء الثاني الخاص بجوبيتر ظل سريا. [المترجم].

يعلم تماما أن هذا التنازل قد لا يقبله الرأي العام الأمريكي، وكذلك اليمين السياسي، ويمكن كذلك أن يؤثر سلبا في علاقة واشنطن بحلفائها في حلف الناتو، وبالأخص تركيا. ولذلك اشترط على السوفييت ألا يتحدثوا عن هذا الاتفاق علنا، وإلا فإنه سينكره ويتراجع عنه نهائيا. وعلى رغم كل هذه الحيطة والحذر في إخفاء المعلومة، كانت هناك بعض الشكوك في الغرب بأن اتفاقا قد أُبرم، وقد وُجهت أسئلة بهذا الخصوص إلى الحكومة الأمريكية. كذب الرئيس وكبار مستشاريه، وأنكروا وجود اتفاق لسحب منظومة صواريخ جوبيتر من تركيا. وعند النظر إلى الحدث الآن، سيبدو أن ما فعله كنيدي كان كذبة بيضاء، استطاعت أن تنزع فتيل المواجهة الخطيرة بين دولتين تمتلكان أسلحة نووية.

في الفترة الواقعة بين العامين 1922 و1933، تلقى الجيش الألماني تدريبات عسكرية في الاتحاد السوفييتي، مما مثل خرقا لاتفاقية فرساي[8]. وكان القادة الألمان يتوجسون من أن يعرضهم اكتشاف هذه الأنشطة لانتقادات حادة من اليساريين في جمهورية فايمار[*] الألمانية، وكذلك من بريطانيا وفرنسا اللتين ستسعيان إلى وقف هذه الأنشطة غير القانونية. إذن لم يكن مستغربا أن تكذب ألمانيا لإخفاء ذلك الاتفاق. كما أن هناك حالة أخرى تعتبر أكثر إثارة للجدل حدثت في بريطانيا في أواسط الخمسينيات، عندما بدأ البرلمان يسمع قصصا عن معسكرات العمل الإلزامي التي أقامتها الحكومة الاستعمارية في كينيا لمقاتلي حركة «الماو ماو» التحررية[9]. وقد كانت الحكومة البريطانية تخشى تداوُل هذا الموضوع إعلاميا، فيجبر الرأيُ العام الحكومة على إنهاء سياستها القمعية في كينيا، مما سيعني الانتصار لحركة «الماو ماو»، وإن حدث ذلك فإن الأمر لن يكون في مصلحة تماسك الإمبراطورية البريطانية. وللتعامل مع تلك التسريبات القوية، كذب القادة البريطانيون بشأن وجود معسكرات القمع، وهاجموا بحدةٍ كلَّ من كشفوا عن تلك الممارسات.

أخيرا، نعرف الآن أن اليابان قد عقدت عدة اتفاقيات سرية مع الولايات المتحدة أثناء الحرب الباردة. فمثلا، سمحت طوكيو في العام 1969 للسفن الأمريكية المحملة

(*) فايمار (Weimar) هي مدينة في وسط ألمانيا نشأ فيها ما يمكن اعتباره أول نموذج ديموقراطي في ألمانيا، حيث اجتمع ممثلو الشعب في العام 1919 وصاغوا دستورا جديدا استمر العمل به حتى صعود الحزب النازي، ثم تولى هتلر السلطة في العام 1934. [المحررة].

بالسلاح النووي بأن ترسو في الموانئ اليابانية[10]. وكذلك هناك اتفاقية سرية تتضمن أنــه على اليابان أن تدفع الجزء الأكبر من تكاليف الوجود العســكري الأمريكي على أراضيها. ومن المؤكد أن جدلا واسعا كان سيُثار حينها لو كُشف عن هذه الاتفاقيات. والحقيقة أن الاحتجاج القوي المتوقع من الجمهور الياباني كان من شــأنه أن يلغي تلك الاتفاقيات. على أي حال، يمنع القانون الياباني مرور الســفن المحملة بالأسلحة النوويــة بالموانئ اليابانية. مع ذلك رأت القيــادة اليابانية أن تلك الاتفاقيات تخدم المصلحــة الوطنية لليابان، ولذا تكتمــت عليها ولم تعلنها للملأ. لكن، لم يطل الزمن حتى بدأ البعض يشك في أن اتفاقيات كهذه قد جرى توقيعها، وبدأت الأسئلة تنهال على قيادات الحكومة اليابانية، ولم يكن مســتغربا أنهــم كذبوا وأنكروا وجود تلك الاتفاقيات من الأساس.

متى يصبح استخدام التغطيات الإستراتيجية أكثر احتمالا؟

من الواضح أن معرفة متى يعد اســتخدام التغطيات الإســتراتيجية أكثر احتمالا هــي أمــر بالغ التعقيد، ويعود ذلك إلى أن هذا النوع من الخداع يتضمن ســلوكين - إخفاء تقصير وفشــل ما، وإخفاء سياســات مثيرة للجدل - وجمهورين مختلفين: جمهور الدول الأخرى، والجمهور الداخلي للقائد.

فلنبدأ أولا في فحص السؤال حول متى تكون احتمالية كذب القائد أكبر لإخفاء سياسة فاشلة أو مثيرة للجدل عن دولة أخرى؟ ليس غريبا أن تنطبق الظروف التي تدفــع القادة إلى الكذب على الدول على التغطيات الإســتراتيجية. في كلتا الحالتين، يكذب القادة على دولة أخرى فيما يرون أنه يخدم المصلحة الوطنية، وهذا يعني أن الأكثر احتمالا أن يعمد القادة إلى التغطية الإســتراتيجية الموجهة إلى جماهير أجنبية عندما تكون دولتهم في الحالات التالية:

1 - تقع في إقليم خطر.

2 - متورطة في أزمة.

3 – في حالة الحرب.

4 - تتعامل مع منافس وليس مع حليف.

إن التغطية الإســتراتيجية، بالطبع، ليست فقط نوعا من الكذب بين الدول، بل

هي أكثر من ذلك؛ فالقادة يوجهون تلك الأكاذيب إلى شعوبهم وإلى العالم الخارجي. والتكتم على الفشـــل وعجــز الإدارة غالبا ما يحصل في زمن الحــرب، وبالأخص إذا كانت الحرب من أجل البقاء. وفي هذه الظروف، حين تكون المخاطرة بوجود الوطن عالية، يضطر القادة إلى الكذب على شــعوبهم، إن وجدوا إلى ذلك ضرورة، ليتفادوا الهزيمة ويكسبوا الحرب. وعلاوة على ذلك، يكون إخفاء الأخطاء عن الجمهور أثناء الحرب سهلا نسبيا، لأنهم في ظروف يكون بيد الحكومة فيها الكثير من الصلاحيات لتقييد حرية تدفق المعلومــات والتلاعب بها، مبررة ذلك بحالة الحرب. كذلك، لأن الخــداع يعــد أمرا مقبولا خلال الــصراع مع عدو شرس. وأخيرا، فإن حدوث فشــل عملياتي على الأرض بصورة أو بأخرى هو أمر اعتيادي في أي صراع، مما يعني وجود فرص ودوافع كثيرة لاستخدام التغطية الإستراتيجية[11].

ماذا عن السياسات المثيرة للجدل؟ من الأرجح أن يُعمَد إلى إخفائها عن الجمهور في الدول الديموقراطية أكثر من الدول غير الديموقراطية. ولعل أقرب ســبب لتفسير ذلــك هو أن القادة في البلاد الديموقراطية يعيرون رأي الجمهور انتباها كبيرا، حيث سيتم تحميلهم المسؤولية من خلال الانتخابات الدورية، وبالتالي فقد لا يستطيعون المضي في سياســة يرونهــا حكيمة، وهم متأكدون من أنها لا تحظى بدعم شــعبي، متجاهلين احتمالية السقوط السياسي الناتج عن تجاهل التوجهات الشعبية. في مثل هــذه الحالات تحديدا تكون الدوافع قوية لتبني سياســة ما من دون الإعلان عنها، ومن ثم يكذب القادة إن كانت هناك حاجة إلى الكذب، لإخفاء ما فعلوه. وبالتأكيد هناك قدر من المحاســبة في البلاد غــير الديموقراطية، ولكن ليس بالقدر الموجود في البــلاد الديموقراطية. وعليه، يكون القائد في البلاد غــير الديموقراطية أقل ميلا، من نظيره في البلاد الديموقراطية، إلى إخفاء سياسة مثيرة للجدل عن شعبه.

بالطبــع هنــاك قدر كبير من الشــفافية في الديموقراطيات، مــما يعني أن على القادة الإجابة بجدية عن الأســئلة المثارة، التي تتضمن توفير قدر ما من المعلومات حــول الموضوع، قد تضع هذه الظروف القادة في مواقف يضطرون فيها إلى الكذب لإخفاء سياسات مثيرة للجدل. وفي المقابل، في البلاد غير الديموقراطية لا توجد حرية مناقشــات عامة، مما يســهل على القادة إخفاء السياســات المثيرة للجدل من دون الحاجة إلى الكذب.

والنقطة الجوهرية هنا أن احتمال لجوء الدول إلى التغطية على كارثة سياســية أو إخفاء سياســة خلافية تحكمه الظروف والملابسات نفسها التي تضطر الدول إلى أن يكذب بعضها على بعض، ولكن مع فارق بسيط، أن التغطية على سياسة فاشلة غالبا ما تحصل أثناء الحرب، وإخفاء السياســة الخلافية تحصل في أغلبية الأحوال في الديموقراطيات.

6

الأساطير القومية

مع ظهور القومية الوطنية في القرنين الماضيين، سعت عرقيات ومجموعة قوميات وطنية عديدة حول العالم نحو تأسيس دولها، التي عُرفت بـ «الدول القومية». وفي أثناء عملية البناء هذه، حاولت كل مجموعة أن تخلق أساطيرها الخاصة المقدسة عن ماضيها، تصورها بشكل أفضل، وتصور خصومها من المجموعات القومية الأخرى بصورة سلبية[1]. وقد كتب أستاذ العلوم السياسية بجامعة «MIT» الأمريكية، ستيفن فان إفيرا، أن هذه الأساطير الشوفينية «تأتي في أشكال ثلاثة: تقديس الذات، تنقيتها من الأخطاء، والإضرار بالآخر»[2]. ويتطلب اختراع هذه الأساطير ونشرها على نطاق واسع حول العالم الكذب في الوقائع التاريخية أو الأحداث السياسية المعاصرة. «الغلطة التاريخية»، كما وصفها المنظِّر السياسي الفرنسي أرنست رينان، تشكل «عنصرا مهما في صناعة الدولة»[3].

«ترتبط شرعية الدولة بالظروف والملابسات التي أحاطت بولادتها، وأغلب الناس لا يريدون الاعتراف بأن ولادة دولهم جاءت من رحم الخطيئة»

لماذا صنعت النخبة الأسطورة القومية؟

تتحمل النخبة التي تسـيطر على مسـارات التفكير في دولة ما مسـؤولية كبيرة عن خلق هذه الأسـاطير، وهم يفعلون ذلك لسـببين أساسيين. تساعد هذه القصص الكاذبة في تعضيد التضامن الجماعي؛ وكذلك تسـاعد في خلق شعور قوي بالوطنية، وهو عنصر أسـاس في بناء الدولة والمحافظة عليها. وعلى وجه الخصوص، فإن هذه القصـص الخيالية تضفي على المجموعة العرقية أو القومية الإحسـاس بالانتماء إلى مـشروع نبيل، الذي لا يسـتدعي الفخر به فحسـب، بل يسـتحق تحمل المصاعب لأجلـه، والقتال والموت في سـبيله إن اسـتدعى الأمر. تظهر هـذه الحاجة إلى إبراز الجوانب الإيجابية لأمة ما في القانون الذي أقرته الحكومة الفرنسية في فبراير 2005، والذي ألزم كتب مقررات التاريخ في مدارس الثانوية العامة بإبراز الجوانب الإيجابية في التاريخ الاستعماري الفرنسي[4].

بيد أنه من المهم الإشـارة إلى أن خلق الأساطير القومية ليس مجرد تأليف بعض النخـب قصصا مختلقة وتمريرها إلى جماهيرهم. فالحقيقـة هي أن الناس العاديين يكونون عطشى لتلك الأساطير؛ فهم في حاجة إلى سماع قصص وحكايات عن الماضي، تصورهم بأنهم أخيـار ذوو قبعات بيضاء، بمواجهة القوميات الأخرى ذوي القبعات السـوداء. وبالتالي، فإن خلق الأسـاطير القومية هو فعل مدفوع من الأدنى كما هو مدفوع كذلك من الأعلى.

يخلق أفراد النخبة الأسـاطير القومية أيضا لاكتساب مشروعية دولية[5] والعائد مـن وراء هذا قليل، لأنه من الصعب جر الغربـاء والأجانب إلى قصص تتعارض مع الروايات الموضوعية للأحداث التاريخية. ومع ذلك، فهناك اسـتثناءان لتلك القاعدة. فقـد يتمكن القـادة من «بيع» أسـاطيرهم القومية لحليف لصيـق تكون له عادةً مصلحـة في قبولها وتصديقها. ففي بداية الحرب العالمية الثانية، على سـبيل المثال، خلقت النخبة الألمانية أسطورة أن جيشهم – الفيرماخت - لم تكن له أي علاقة بقتل المدنيين الأبرياء على الجبهة الشرقية خلال تلك الحرب الوحشـية[6]. وقد قِيل حينها إن جهاز الاسـتخبارات إس إس - الذي يمثل فئة صغيرة من الشـعب الألماني ويرتبط بهتلر بصورة مباشرة - هو المسؤول عن تلك الأعمال المرعبة. فالجيش الألماني، استنادا إلى هذه الرواية، كانت يداه نظيفتين.

لقــد «بلعــت» الولايات المتحدة هــذه القصة الكاذبة خلال الســنوات الأولى من الحــرب الباردة، حين كانت تعمل بشــكل لصيق مــع نازيين ســابقين، ومتعاونين مع النازيين، ومنتسبين سابقين إلى الجيش الألماني، وأيضا لأنها كانت تعمل على إعادة تأهيل الجيش الألماني، وجعله جزءا لا يتجزأ من حلف شمال الأطلسي. فلم يكن إذن مستغربا، كما يذكر كريستوفر سمبسون في كتابه عن تجنيد واشنطن للنازيين بعد الحرب العالمية الثانية، أن «تترك مراجعة أكثر كتب التاريخ انتشارا في الغرب عن الحرب، مع استثناءات بسيطة، انطباعا قويا بأن كل الوحشية التي تمت في محارق النازية كانت مسؤولية جهاز إس إس، وليس كل الجهاز أيضا»[7]. غير أنه وفي أواخر الســتينيات، بدأ الباحثون الألمان في كشــف النقاب عن القصة الحقيقية، وهي أن الجيش الألماني كان جزءا لا يتجزأ من آلة القتل الألمانية التي تسببت في كل هذا الدمار البشري خلال الحرب العالمية الثانية. ولكــن آنــذاك، كان كل من الجيش الألمــاني الجديد «البونديزفــير» (Bundeswehr)، والناتو قد تأسســا بالفعل، فلــم يعد تقبُّل حقيقة ما حصل عــلى الجبهة الشرقية بين العامين 1939 و1945 يمثل مشكلة سياسية كبيرة للولايات المتحدة.

كذلــك يحدث أحيانــا أن تصدر دولة لديها جاليات مؤثــرة وذات نفوذ قوي في الشــتات الأســاطير القومية لجالياتها في الخارج. وأحســن مثال لهــذه الظاهرة هو إسرائيــل والجالية اليهودية في أمريكا. فلم يكن للصهاينة أن يؤسســوا دولة يهودية في فلســطين من دون إبادة عرقية واســعة لســكانها العــرب الموجودين هناك منذ قرون. وقد أدرك قادة الصهاينة هذه النقطة على نطاق واســع قبل تأســيس الدولة الإسرائيلية. وجاءت الفرصة المواتية لطرد الفلســطينيين في أوائل العام 1948، عندما نشبت الحرب بين الفلســطينيين والصهاينة بعد قرار الأمم المتحدة تقسيم فلسطين إلى دولتــين. أجلى الصهاينة عرقيا نحو ســبعمائة ألف فلســطيني مــن أرضهم التي أصبحت لاحقا إسرائيل، ورفضوا بإصرار الســماح لهم بالعودة إلى منازلهم حتى بعد أن توقفــت الحرب. وبالطبع، هذه قصة تضــع إسرائيل في دور المعتدي، مما يجعل من الصعب على هذه الدولة الناشئة أن تكسب الأصدقاء وتخلق أثرا في العالم، وعلى الأخص في الولايات المتحدة.

ولهذا لم يكن مســتغربا أن تبذل إسرائيل وأصدقاؤها الأمريكيون جهودا مضنية بعــد أحداث العــام 1948 لتوجيه اللــوم في عملية طرد الفلســطينيين إلى الضحايا

أنفسهم. واستنادا إلى الأسطورة التي جرى اختراعها وتأليفها، فإن الفلسطينيين لم يجرِ «تطهيرهــم عرقيا» من قبل الصهاينة، ولكنهم، كما قيل، فروا من منازلهم لأن الدول العربية المحيطة بهم طلبت منهم المغادرة، حتى تتمكن جيوشها من الدخول وإلقاء اليهود في البحر. ومن ثم يعود الفلســطينيون إلى منازلهم بعد أن يجري «تطهيرها» من اليهود. هذه القصة لم يتم ترويجها وقبولها بشــكل واســع في إسرائيل فحسب، ولكــن في الولايات المتحدة كذلك على مدى ما يقرب مــن الأربعة عقود، وقد أدت دورا أساسيا في إقناع الكثير من الأمريكيين برؤية إسرائيل بصورة إيجابية والتعاطف معها في صراعها المستمر مع الفلسطينيين. غير أن باحثين إسرائيليين، وآخرين، فككوا أوهام تلك الأسطورة، وغيرها من الأساطير، على مدى العقدين الماضيين، وبدأ التاريخ الجديــد للحكاية يظهر ببطء في ســياق المنطق الأمريكي تجاه الــصراع الإسرائيلي - الفلســطيني، بطرق جعلت بعض الأمريكيين أقل تعاطفا مع ماضي إسرائيل وسلوكها الحالي تجاه الفلسطينيين[8].

عندما تعمل النخبة على صناعة الأساطير القومية

تعتز الأمم بشــكل مستمر بأســاطيرها الأساســية، لأن أغلب أفرادها يحتاجون إلى مثــل هــذه القصص لتعزز فيهم الإحســاس بالهوية، ولأنها تقــوي من التضامن المجتمعي. وعليه، فإننا نستطيع القول إن عملية صناعة الأساطير القومية هي عملية مســتمرة طوال الوقت. وبالطبع، تحتاج تلك القصص إلى تحديث من فترة إلى فترة، مع ظهور معلومات جديدة عن الماضي تســتلزم خلق أســاطير جديدة للتعامل مع المراحل الجديدة في تاريخ الأمة. ولذا، يمكن للفرد أن يتوقع احتدام إطلاق الأكاذيب القوميــة في بداية الحروب، وفي الأحداث عالية التأثير قوميا، والتي تتضمن النزاعات الحادة حول ســلوك الدولــة محل الخلاف، والتي بدورها يمكــن أن تحيي صراعات قديمــة اندثرت في زمن مضى. وفي مثل هذه الأحوال، تعمل النخبة ليلا ونهارا لإظهار أمتها في أبهى صورة ممكنة، وتظهر الأمم المنافسة في أبشع صورة.

يمكننا كذلك أن نتوقع أن تصبح صناعة الأساطير القومية في أعلى حالاتها عندما يكون هناك خلاف حاد بشــأن قضايا تتعلق بنشــأة الدولة. ترتبــط شرعية الدولة بالظروف والملابســات التي أحاطــت بولادتها، وأغلب النــاس لا يريدون الاعتراف

بــأن ولادة دولهم جاءت من رحم الخطيئــة. فمقدار الأكاذيب التي تُطلق في هذه الأحوال يعتمد على عاملين: حجم القســوة والوحشــية التي صاحبت إنشــاء تلك الدولة، ومدى حداثتها.

وبالتحديد، فكلما كانت ظروف إنشــاء الدولة قاســية وعنيفة، كان هناك مزيد من الســلوك المشــين الذي يتطلب إخفاءه، وبالتالي تــزداد حاجة النخبة إلى الكذب بشــأن ما جرى فعلا وقت إنشــائها. وتعد أســاطير «تلميع الذات»، كما لاحظ فان إفيرا، أكثر أنواع الكذبات القومية الثلاث(9). كلما كانت الأحداث حديثة الوقوع، كان الناس على الأطراف المختلفة من النزاع يتذكرونها ويتأثرون بها أكثر. باختصار، عندما يكون إنشــاء الدولة حديثا وقاســيا، فعلى النخبة أن تكــد وتجتهد أكثر لتلفق قصة تصورهم كأنهم فرســان نبلاء، وتصور الجانب الآخر بأنهم شياطين. على سبيل المثال، انظر إلى الخمس عشرة دولة التي ظهرت على أثر تفكك الاتحاد الســوفييتي السابق بطريقة ســلمية(*). لم يكن للنخبة في هذه الدول حاجة إلى تلفيق قصص عن كيفية ظهــور هذه الدول إلى حيــز الوجود في العام 1991، لأن تفكك الاتحاد الســوفييتي كان ســلميا(**). (بالطبع، هناك دوافع قوية لتلك الدول للكذب عن نواحٍ أخرى في تاريخها الطويل، وهم يفعلون ذلك على أي حال). على العكس من حالة تلك الدول، نجد إنشــاء إسرائيل والولايات المتحدة، وكلتاهما قــد تورطت في جرائم خطيرة ضد البشر الذين كانوا يعيشــون في تلك الأراضي التي احتُلت وأصبحت تحت الاستعمار. ليس من المســتغرب أن تبذل إسرائيل وأمريكا جهــودا مضنية لتصوير ذلك التاريخ بأنــه مــشرق بدلا من سرد الوقائع بكل ما فيها من قســوة. ولكن هــذا لم يعد أمرا

(*) خرج من رحم الاتحاد الســوفييتي 15 دولة جديدة أولاها روســيا الاتحادية، التي ورثت مقعد الاتحاد الســوفييتي الدائــم في مجلــس الأمن الدولي. أما الـ 14 دولة المتبقية فهي أرمينيا وأذربيجان وبلاروســيا (روســيا البيضاء) وأســتونيا وجورجيا وكازاخستان وقيرغيزستان ولاتفيا وليتوانيا ومولدوفا وطاجيكستان وتركمانستان وأوكرانيا وأوزبكستان. [المترجم].

(**) على العكس مما جرى في انفصال ســلمي لمكونات الاتحاد الســوفييتي الســابق، وكذلك الانفصال الســلمي بين مكوني تشيكوســلوفاكيا، لم تسر الأمور بالطريقة نفســها في يوغوســلافيا، حيث جرت حروب طاحنة على أســس عرقيــة وطائفيــة. وحدثت فيها – وعلى الأخص في البوســنة – مذابح جماعية. وعلى أثر ذلك تأسســت أول محكمة جنائية دولية خاصة للبوسنة، والتي تمكنت من القبض على أغلبية المتهمين، وكان آخر قضاياها الحكم على رادوفان كارادينــش. أما الدول التي انفصلت عن يوغوســلافيا الســابقة فهي صربيا وكرواتيا والبوســنة والهرســك ومقدونيا وســلوفينيا ومونتنغرو. وفي حين أعلنت كوسوفو رغبتها في الاســتقلال، فإنها مازالت تخوض معركة سياسية وقانونية للانفصــال عــن صربيا في أروقة الأمم المتحــدة، خصوصا أنها حصلت على دعم أكثر مــن 109 دول من أعضاء الأمم المتحدة، ومنها الولايات المتحدة وأغلبية الدول الأوروبية. [المترجم].

مقلقا بالنسبة إلى الولايات المتحدة في الوقت الحاضر، لأن الأحداث الخلافية حصلت في زمن بعيد، فهي تبدو كالتاريخ المندثر. أما إنشـاء إسرائيل، في المقابل، فهو وجود حديث، وقضية إنشـائها تعد موضوعا حاليا ومثيرا للجدل، ليس لما للفلسطينيين من صوت عالٍ ومسـموع فحسـب، ولكن لأن عددا قليلا من الباحثين (ومعظمهم من الإسرائيليين أنفسـهم) قد تحدوا هذه الأسـاطير. وكما هـو متوقع، فلم يغير معظم الإسرائيليـين، وأنصارهم من الأمريكيين، وجهة نظرهم تجاه نشـأة إسرائيل، بل هم يضاعفون جهودهم المضنية لتسويق تلك الأساطير.

7

الأكاذيب الليبرالية (*)

«إن أوضح دليل على استقرار قيمنا على مر السنين هو عدم تغير نمط الأكاذيب التي يطلقها الجنود والسياسيون. إنهم يكذبون لتبرئة أنفسهم، وهم بذلك يصفون لنا ملامح العدل»

مايكل والزر

تشكلت عبر التاريخ منظومة من الأعراف السائدة التي تبين أشكال السلوك المقبول وغير المقبول بين الدول، سواء في حالة الحرب أو السلم. وترتبط هذه الأعراف ارتباطا وثيقا بنظرية «الحرب العادلة» والأيديولوجية الليبرالية بصورة عامة، وأغلبها صار مصنفا ضمن القانون الدولي.

(*) تعرض مفهوم الليبرالية لكثير من الجدل في أوساط سياسية وثقافية واجتماعية مختلفة. ومن الواضح هنا أن المقصود هو استخدام المصطلح باعتبار الليبرالية الوجه الآخر لعملة القانون الدولي وقوانين الحرب والاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان، فلسنا في وارد تعريف الليبرالية بمعناها الفكري والنظري، فلذلك مبحث آخر. ما أراد المؤلف قوله هو أن العالم اليوم بمنظومته الدولية وبصرف النظر عن تركيبة الدولة ومنهجها ملتزم ولو من حيث الشكل بإطار اتفاقيات دولية وقانون دولي يغطي كل المجالات تقريبا، وأن الدول عندما تقوم بأفعال مشينة وانتهاكات صارخة في الحروب وغيرها، إنما هي في واقع الحال تناقض تلك التوجهات الدولية. وعلى هذا الأساس ومحاولة منها التغطية على تلك الانتهاكات، تطلق الأكاذيب التي اختار لها مصطلح الأكاذيب الليبرالية. [المترجم].

يُقر معظم رجالات الدولة في أنحاء العالم بمعظم هذه الأعراف الليبرالية، ويقبلون ويؤكـدون التزامهم بسـيادة القانون. وعلى الرغـم من ذلك يرى القـادة أحيانا أن مصلحة بلادهـم تضطرهم إلى ما يخالف تلك الأعراف. ويتضمن هذا السـلوك غزو الدول الأخرى من أجل مكاسـب إسـتراتيجية وشـن حروب وقائية، إضافة إلى شـن حروب بأسلوب وحشي، ينتهك نظرية الحرب العادلة. فعلى سبيل المثال، أوضح أستاذ العلوم السياسـية في جامعة ديوك ألكساندر داونز في كتابه الوافي «استهداف المدنيين في الحـرب»(*) أن «حالـة التهور لكسـب الحرب، وحمايـة الأرواح مكلفة، وحروب الاستنزاف طويلة الأمد تدفع المحاربين نحو استهداف المدنيين الأعداء»[1]. كما أكد أن «الدول الديموقراطية هي الأكثر احتمالا في أن تسـتهدف المواطنين المدنيين من الدول غـير الديموقراطية». ويجب أن نتذكـر أن الولايات المتحدة الأمريكية قد قتلت عمدا نحو تسـعمائة ألف مواطن مدني في اليابان في الأشـهر الخمسـة الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، لا لخوفها من الهزيمة في الحرب، بل لأنها أرادت أن تكسـب الحرب من دون غزو الأراضي اليابانية[2]. وقد صرح الجنرال كيرتس لومي، الذي كان مسؤولا عـن حملة القصف القاتلة حينـذاك: «لو كنا خسرنا الحرب، لكنا سـنحاكم جميعنا كمجرمي حرب»[3].

ولا يقتصر هذا السـلوك الوحشي للدول على زمن الحـرب فقط. فالولايات المتحدة، مثلا، مارسـت دورا أساسـيا في دفع الأمم المتحـدة إلى فرض عقوبات اقتصاديـة على العراق من أغسـطس 1990، حتى مايـو 2003. وقد أدى ذلك الحظـر الاقتصادي والتجاري إلى كارثة إنسـانية، راح ضحيتهـا قرابة 500 ألف مدني عراقي وفق تقديرات منظمة يونيسـيف[4]. وكذلك قد يعقد رجال الدولة تحالفـات مع دول بغيضة عندمـا يرون أن ذلك التحالف منطقي إسـتراتيجيا. فحتـى يهزموا ألمانيـا النازية في الحرب العالميـة الثانية، تعـاون رئيس الوزراء البريطاني ونسـتون تشرشـل والرئيس الأمريكي روزفلت مع الرئيس السـوفييتي جوزيف سـتالين، الذي لم يكن مجرد طاغية فقط، بل واحدا من أكثر من اعتمد القتل الجماعي في تاريخ البشرية[5].

(*) Alexander Downes, *Targeting Civilians in War.*

عندمــا تتصرف الدول بطرق تخالف الأعــراف الليبرالية، أو القانون الدولي، يلجأ حكامها في الأغلب إلى تلفيق القصص والأكاذيب وتعميمها بهدف التغطية على ما يفعلون. فلم يكن مســتغربا أن نجد النخب البريطانية والأمريكية - بما في ذلــك الأكاديميون والصحافيــون وصناع القرار - قد بالغــت في أثناء الحرب العالمية الثانية في تجميل صورة ســتالين أمام العــالم، حتى لا يظهر أن بريطانيا وأمريكا يحكمهما أشــخاص قســاة، يتعاونون مع طاغيــة قاتل من أجل هزيمة طاغية آخر[6]. وعليه، فقد وصف ستالين أحيانا بعبارات ودية مثل «العم جو»، في حين جرى التقليل من الاختلافات الجذرية بين النظامين السياســيين الأمريكي والسوفييتي، والإيحاء بأن النظام السوفييتي نظام ديموقراطي أيضا.

وقــد تعرضت جهود الحلفــاء الغربيين في تصوير ســتالين بصورة لا تعكس حقيقته إلى امتحان صعب في ربيع العام 1943، عندما علم تشرشل وروزفلت أن السوفييت قد قتلوا آلافا من البولنديين - معظمهم من ضباط الجيش - في غابة كاتين قبل ثلاث ســنوات في ربيع العام 1940[7]. وكما علق أحد صانعي القرار في بريطانيا: «إنه أمر غريب حقا، عندما نكون نقاتل من أجل هدف أخلاقي، وعندما نسعى إلى التعامل بجدية تجاه مجرمي الحرب، ثم نكتشف أن حلفاءنا متهمون بالجرائم نفســها»[8]. وعلى الرغم مــن ذلك، فقد اتهمــت الحكومة البريطانية مباشرة ألمانيا النازية بتلك الجرائم، وهي تعلم يقينا أن الاتحاد الســوفييتي هو المســؤول عنها. وقد أكدت وزارة الخارجية أن «القصة يجب أن يجري التعامل معهــا باعتبارها محاولة ألمانية لتقويض تضامن التحالف». في حين أصدرت إدارة الحرب السياســية، وهي وحدة حكومية مؤثرة معنية بالدعاية الحربية، تعميما يؤكد أن «من واجبنا التأكد من أن يســجل التاريخ أن حادثة غابة كاتين لم تكن سوى محاولة فاشلة من جانب ألمانيا لتأخير الهزيمة بطرق سياسية»[9].

وهنــاك مثال آخر للأكاذيب الليبرالية نجده في ألمانيا النازية ومحاولاتها المضنية لرمي اللوم على بولندا، بأنها الســبب في اشــتعال الحرب العالمية الثانية في 1 سبتمبر 1939. ففي ذلك اليوم المؤثر، قال هتلر لبرلمانه إنه كان ينتظر بفارغ الصبر منذ يومين «كي ترســل حكومة بولندا موفدها للحديث معه، ولكن لم يصل أحد»[10]. ويفترض مــن معنى كلامه أنه كان راغبــا في الوصول إلى حل ديبلوماسي فيما يخص النزاع بين

الدولتين بشأن مستقبل دانزيغ(*) والممر البولندي(**)، وأن بولندا هي التي لا ترغب في التعاون معه، لأن رؤسـاءها غير راغبين في السـلام. وبعد أن أكد «حبه للسـلام»، ادعى هتلر أن بولندا قد أطلقت نيرانها على أهداف في ألمانيا أولا، وأن الجيش الألماني لم يقم إلا بـ «الرد على تلك النيران». وبعبارة أخرى، أن ألمانيا كانت تتصرف دفاعا عن النفس فقط. بيد أن الحقيقة هي أن ألمانيا كانت قد شنت عدة هجمات على ساحل بولندا في 31 أغسـطس، ودبرت هذه الهجمات بصورة تجعل بولندا كأنها هي التي بدأت القتال، في الوقت الذي كانت فيه بولندا ضحية لعدوان نازي.

مثال أخير يخص إسـتراتيجية القصف الجوي البريطاني على ألمانيا في أثناء الحرب العالمية الثانية. ففي بواكير ربيع العام 1942، بدأت القيادة الجوية حملات القصف الجـوي البريطاني على ألمانيا، والتـي كان مؤكدا أنها سـتؤدي إلى قتل الكثيرين من المدنيين الألمان. غير أن الحكومة البريطانية لم تكن تريد أن يعرف شعبها أنها تعمدت قتـل المدنيـين، لأن ذلك يعد انتهاكا صارخا لقوانين الحرب. لذلك كذب المسـؤولون البريطانيون مؤكدين أن القصف كان منحصرا على الأهداف العسكرية، لأن «القصف المتعمد على المدنيين ممنوع». غير أن ما ذكره المؤرخ ماكس هيسـتنغز يخالف تلك الروايـة، حيث كتب: «مـن بداية الحـرب إلى نهايتها، ظل الـوزراء يراوغون - وفي الحقيقة، يكذبون بشكل واضح ومكرر - عن طبيعة القصف الهجومي»(11).

لماذا تلجأ النخبة إلى الأكاذيب الليبرالية؟

ربمـا يظن الفرد أنه لا حاجـة إلى الأكاذيب الليبرالية مـادام معظم الناس يدركون بحسـهم البديهي أن السياسـة الدولية شيء قـذر وخطير، وأن للـدول أحيانا مبرراتها المنطقيـة للتصرف بطرق قد تكون منافية للأعـراف الليبرالية، أو القانون الدولي. وعلى الرغم من أن هناك شيئا من الحقيقة في هذه المقولة، فإن معظم الناس يفضلون القول، متى ما اسـتطاعوا ذلك، أن دولهم دائما تتصرف بعدالة، وأن أعداءهم على عكس ذلك.

(*) دانزيغ (أو غدانسـك) هي مدينة سـاحلية بولندية تمتعت بحكم ذاتي وفقا لمعاهدة فرسـاي (1919) بعد أن كانت تابعة للإمبراطورية الألمانية، وهي موقع اشـتعال شرارة الحرب العالمية الثانية، عندما شن هتلر هجومه عليها في سبتمبر 1939. [المحررة].

(**) الممـر البولنـدي هو شريط من الأرض أعطى لبولندا طريقا مباشرا إلى بحر البلطيق، وفق معاهدة فرسـاي، وكان محل تنازع بين ألمانيا وبولندا. [المحررة].

وعليه، فإن القادة يكذبون أحيانا ليغطوا فظاعة ســلوك بلدانهم، لأن شــعبهم لا يريد أن يســمع الحقيقة. ويشبه هذا المنطق تماما منطق صناعة الأساطير القومية. وبالطبع، يكذب القادة أحيانا ليصوروا أنفســهم بأنهم على درجة عالية من المسؤولية وملتزمون بالقانون الدولي، وأحيانا يكذبون خشية الوقوف أمام القضاء لاحقا. حتى أسامة بن لادن شعر بحاجة إلى توضيح مبررات القاعدة لقتل الآلاف من المدنيين في 11 سبتمبر[12].

وتبقــى الحقيقة أن هناك أناســا كثيريــن في العالم يرتبطــون بمنظومة الأعراف الليبراليــة والقواعد القانونية التي يفترض أن توجه وتقنن ســلوك الدولة، ويريدون أن يــروا دولتهــم تعمل بموجبها. ويوضــح ذلك بدقة المفكر الســياسي مايكل والزر حين كتب: «إن أوضح دليل على اســتقرار قيمنا على مر الســنين هو عدم تغير نمط الأكاذيب التي يطلقها الجنود والسياسيون. إنهم يكذبون لتبرئة أنفسهم، وهم بذلك يصفون لنا ملامح العدل»[13].

عــلاوة على ذلك، وكما هو الشــأن مع صناعة الأســطورة القوميــة، يلجأ القادة إلى الأكاذيب الليبرالية لكســب المشروعيــة في الخارج. ولكن العائد في هذه الحالات ربما يكون قليلا وذلك للأســباب نفســها. فـ «الخارجيــون» في الأغلب يكون لديهم تقديــر جيد لما حدث بالفعل على أرض الواقع، وعن الأحداث الملفقة، وبالتالي فمن الصعب خداعهــم. وبالطبع، فمن الممكن في بعض الأحيان خداع عدد من الناس في دولة صديقة ممن لديهم حافز قوي - أيديولوجي أو إستراتيجي - لتصديق أكاذيب ليبراليــة محــددة. باختصار، فــإن الأكاذيــب الليبرالية صعبة التســويق في الخارج، وبالأخص عندما تتعلق بالأحداث الراهنة.

متى يُستخدم الكذب الليبرالي؟

في واقع الأمر، فإن كل القادة تقريبا - سواء كانوا يقودون أوتوقراطيات ديكتاتورية أو ديموقراطيات، يميلون إلى تبرير ســلوكهم عبر الأعراف الليبرالية أو القانون الدولي، حتى لو كانت أفعالهم نتيجة حسابات دقيقة وإستراتيجية، ومحسوبة بدقة وواقعية شــديدة. غير أن ذلــك الميل إلى اســتخدام الخطاب والمنطق الليبرالي لا يســبب أي مشاكل، مادام سلوك الدولة توافق مع التوجهات الواقعية والليبرالية على حد سواء، وهو ما يفترض أن تكون عليه الحال. ومثال لذلك، كان يســهل الدفاع عن مشــاركة

أمريكا في حربها ضد اليابان الإمبراطورية وألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية على أسس أخلاقية وإستراتيجية. وربما ينطبق الأمر ذاته على قرار أمريكا باحتواء الاتحاد السـوفييتي في أثناء الحرب الباردة، أو عندما قررت أن تخوض حربها ضد العراق في العام 1991.

بيد أن المشـاكل تبـدأ عندما تتعارض وتتناقض الواجبـات الواقعية مع المثالية. وفي هـذه الحالات تميـل النخبة في المجتمع إلى التصرف بواقعيـة، والتحدث بمثالية وليبرالية، مما قد يتطلب استعمال الخديعة، بما فيها الكذب.

8

الجانب السلبي للأكاذيب الدولية

كان تركيزنا حتى هذه اللحظة منصبا على الفوائد الكامنة والمحتملة للكذب الدولي، وعلى تبيان المكاسب التي من الممكن أن يظفر بها القادة لبلادهم حين يكذبون على الدول الأخرى أو على شعوبهم. بيد أنه في المقابل، هناك تكاليف وخسائر مرتبطة بأنواع الأكاذيب الدولية المختلفة، وهناك ثمن يدفع عندما تحقق الكذبة ما قصد من وراء إطلاقها.

ولكي نقيم الجوانب السلبية للأكاذيب الدولية - وأرجو ملاحظة أني قد نظرت إلى الموضوع من وجهة نظر نفعية فقط - فإنه من الضرورة بمكان أن نضع في اعتبارنا كيف كان تأثير كل من أنواع الكذب الخمسة في السياسة الداخلية والخارجية. ولتحقيق ذلك فنحن في حاجة إلى إيجاد معايير مختلفة لتقييم النتائج

«من الصعب تصور استمرارية الحكم الديموقراطي لزمن طويل إذا فقد الشعب احترامه لقادته، ورآهم مجرد حفنة من الكذابين؛ وإذا فقد احترامه لمؤسساته لأنها موغلة في الفساد»

السـلبية المحتملـة للكذب في كل مجـال. ولنبدأ من خلال وصف المعيار الأسـاس للسياسة الداخلية.

يؤدي الكذب المتكرر إلى الإضرار الكبير بأي جهاز سياسي، لأنه يخلق ثقافة تضليل مسـمومة[1]. وعليـه فإنه من الذكاء أن يحرص القـادة ومواطنوهم على تقليل حجم الكذب في بلدانهم. غير أن ذلك بالطبع ليس بالأمر السـهل، حيث توجد أحيانا حوافز قوية للأفراد لأن يكذبوا ويغشـوا لتحقيق مآربهم، حتى إن كان لذلك السـلوك الأناني آثاره السـلبية في المجتمـع ككل. فلننظر مثلا إلى ما فعله بيرني مادوف[*]، المسـتثمر المعروف في وول ستريت، والذي احتال على الآلاف من زبائنه بمبالغ تجاوزت مليارات الدولارات. وقد كان له شركاء بالطبع. ولهذا السبب فعلى الحكومات أن تمارس دورها في تقنين ومراقبة سـلوك مواطنيها في مجالات مختلفة، ولهذا تستنكر النخب في أغلب المجتمعات وتدين الكذب في القضايا الاقتصادية والسياسية المحلية.

وعـلى ضوء هذه الخلفية، يثير إطـلاق الأكاذيب الدولية مخاطر كامنة ومخاوف عميقـة. وبالتحديد، فإنه من المحتمل أن يكون للكذب في قضايا السياسـة الخارجية مـردوده العكسي على الحياة اليومية داخل حـدود البلد. وبعبارة أخرى، فإن الكذب الصريـح في السياسـة الدولية - حتى لو كان يتبع منطقا إسـتراتيجيا - قد يتسرب إلى مسرح الأحداث المحلي ويسبب مشاكل كبيرة بشرعنته لعدم الأمانة في الحياة اليومية. إن المبالغـة في اللجـوء إلى التغطية والإخفـاء والتلفيق قد تؤدي أيضـا إلى نتائج غير

(*) يعد بيرني مادوف، وهو من مواليد 1938، واحدا من أكبر المحتالين في العصر الحديث. وهو محتال أمريكي كان رئيسـا لناسـداك «سوق الأسـهم» حتى قبيل القبض عليه في 2008. وكانت شركته بيرنارد مادوف للاستثمار من أهم الشركات الصانعة للأسـواق المالية في الولايات المتحدة. وظف عائلته: أخاه بيتر وابنة أخيه شـانا وابنيه مارك وأندرو في الشركة، واحتفظ هو بإدارتها بسرية عالية. وقد حكم على أخيه بيتر بعشر سنوات سجنا، أما ابنه مارك فقد انتحر شنقا بعد سنتين من القبض على أبيه، ومات أندرو بالسرطان في 2014.

أدار مادوف شركته ضمن ما يعرف بنظام بونزي للاحتيال. وهو نظام للتلاعب بالأسهم من خلال استدراج المستثمرين عـن طريق إقناعهم بتحقيق أرباح عالية، بينما يجري التلاعب بأموالهم بحسـابات وهمية. وفي 10 ديسـمبر 2008 تقدم ابنا مادوف مارك وأندرو للسلطات المعنية ليبلغا بأن أباهما قد اعترف لهما بأن كل أعماله التي يديرها هي من نظام بونزي، وقال لهما إن كل شيء كان كذبة كبيرة. ومباشرة تحركت السلطات المعنية وألقت القبض عليه وأودعته السـجن ووجهت له اتهامات بالاحتيال. علما أن شكاوى عديدة سـابقة حوله كانت تصل إلى الجهات المعنية ولكن يجري تجاهلها. وفي مارس 2009 اعترف مادوف بـ 11 تهمة وخداعه آلاف المسـتثمرين بمليارات الدولارات. وتقدر الأموال المفقودة بما يقارب 65 مليار دولار. حكم عليه بالسجن 150 عاما وهي المدة الأقصى المسموح بها. لمزيد انظر:
Erin Arvedlund, *Too Good To Be True: The Rise and Fall of Bernie Madoff*, Portfolio, 2009.

محمـودة، ولكن كل أنواع الخداع تلك لا تقارن خطورتها بالضرر الذي يحدثه الكذب المتفشي الصريح.

للكـذب الروتينـي أربع نتائج سـلبية في الحياة داخل الدولة، وهي أشـد وطأة خصوصا على الأنظمة الديموقراطية. فعندما ينتشر الكذب على نطاق واسـع فإن ذلك يجعـل تصويـت المواطنين على قضايا معينة، أو على مرشـحين، أكـثر صعوبة، وذلك ببسـاطة لأنهم ربما يكونـون قد بنوا قراراتهم على معلومـات مغلوطة وكاذبة. كيف للناخب أن يحاسـب السـياسي أو القائد، عندما يكون من المسـتحيل معرفة حقيقة أفعاله؟ تنجح الديموقراطيات عندما تتضمن سـوقا لتبـادل الأفكار وتلاقحها، وهو ما يمكـن حدوثه فقط عندمـا يتمكن المواطنون من الحصول عـلى المعلومات الموثوقة، وعند توافر مستويات عالية من الشفافية والأمانة.

ويؤدي كذب المسـؤولين الحكوميين - بعضهم عـلى بعض أو على الجمهور - إلى إعاقة عملية صنع القرار في الدولة، سواء أكان ذلك في دولة ديموقراطية أم غير ذلك[2]. والسـبب الرئيس لذلك هـو أن تكاليف عالم الأكاذيب والخديعـة باهظة جدا، لأن صناع القرار حينها لن يثق بعضهم ببعض، وبالتالي سيبذلون جهودا مضاعفة، وأوقاتا طويلة للتحري والتأكد تماما من أن المعلومات التي بين أيديهم صحيحة. ولكن، حتى لـو بذلـوا الجهود اللازمة، فقد ينتهـي بهم الأمر دون الحصول عـلى كل المعلومات المطلوبة، فتكون قراراتهم مبنية على معلومات زائفة، مما يزيد من احتمالات انتهاج سياسات خاطئة.

عـلاوة عـلى ذلك، فقد يقوض الكذب المتكرر سـيادة القانـون، الذي هو بمنزلة القلب بالنسـبة إلى الحياة الديموقراطيـة. ولخص ذلك باقتـدار باتريك فيتزيجيرالد، المدعي العام الذي دان موظف البيت الأبيض لويس (سـكوتر) ليبي في أكتوبر 2006 بسبب كذبه بشـأن دوره في كشف هوية أحد العاملين في الاستخبارات المركزية، حين قال: «الحقيقة هي بمنزلة المحرك لنظامنا القضائي. فإن سـاومت على الحقيقة، فقدت كل شيء»[3]. وبالطبـع، فقد وجدت القوانين جزئيا لمعاقبة الكذب، ما يعني أن هناك قـدرا متوقعـا من عدم الأمانة في أي مجتمع. ولكن لا يجـب للكذب أن ينتشر؛ لا بد من مسـاحة كبيرة من الأمانة والثقة في الحياة العامة لكي يكون أي نظام قانوني فعالا وكفؤا. فلنأخذ، على سـبيل المثال، حكاية جورج ريان، الحاكم السـابق لولاية إلينوي،

الذي كان مؤيدا لتطبيق الإعدام، بيد أنه اضطر إلى تعليق كل أحكام الإعدام في ولايته لوجـود أدلـة قاطعة ومقنعة على أن معظم المسـاجين الذين ينتظـرون تنفيذ حكم الإعدام قد أدينوا بناء على إفادات كاذبة وأخطاء أخرى[4].

وأخـيرا، إن تفـشي الكذب في دولـة ديموقراطية قـد يجعل المواطنين يشـعرون بالاغـتراب إلى درجة فقدان الثقـة بحكومتهم الديموقراطية، مما قد يدفعهم إلى تأييد شـكل من أشكال الحكم التسـلطي. وعلى كل، فمن الصعب تصور استمرارية الحكم الديموقراطـي زمنـا طويلا إذا فقد الشـعب احترامه لقادته، ورآهـم مجرد حفنة من الكذابـين، وإذا فقد احترامه لمؤسسـاته لأنها موغلة في الفسـاد. وخلاصة القول، فإن الكذب الكثير يسبب أضرارا جسيمة لأي جهاز سياسي.

ولتغيير مسار النقاش، فلنسأل كيف يمكن أن يؤثر الكذب الدولي سلبيا في سياسة الدولة الخارجية؟ كما أكدنا سـابقا، يكذب الحكام بعضهم على بعض وعلى شعوبهم، لإيمانهم بأن ذلك الكذب يخدم المصلحة الوطنية. وتبقى الحقيقة المؤسفة أن الكذب، أحيانـا، يكـون منطقيا من الناحية الإسـتراتيجية. فإن لم يكن كذلـك انتفت المبررات لأنـواع الكذب المتنوعة الموصوفة في الفصول السـابقة. ومع ذلـك، تنتج من الكذب أحيانا ارتدادات عكسـية سـلبية، فينتهي الأمر بالدولة إلى حال أسوأ مما كانت عليه قبل إطلاق الكذبة. وعليه، فإن السؤال المحوري لتقييم التعقيدات الناتجة من الكذب الدولي هو: ما أنواع الأكاذيب التي من المحتمل أن تنتج منها ارتدادات عكسية وتؤدي إلى نتائج استراتيجية ضارة؟

إجمالا، إن «احتمالية الانتكاسة العكسية» هي المعيار لتقييم نتائج الكذب الدولي عـلى الجبهة المحلية، بينما احتمالية «الارتدادات السـلبية» والإضرار بالدولة أكثر من نفعها هو أفضل معيار لتقييم الأثر في محيط السياسة الخارجية.

مخاطر الكذب بين الدول

مـن غير المرجح أن يؤدي كـذب الدولة على دولة أخرى إلى مشـاكل في الجبهة الداخلية. وعادة ما تكون خطورة الانتكاسـة العكسية بسيطة، لأن القادة لا يكذبون كثيرا بعضهم على بعض. بيد أن السـبب الرئيس لذلك هـو أن معظم الناس يعلمون أن القواعـد الحاكمة للسياسـة الخارجية غير تلك التي يجري العمل بها في السياسـة

المحلية. وعلى الأخص، هم يعلمون أن على القادة أن يكذبوا أحيانا في بعض التعاملات مع دول أخرى، خصوصا إذا كان التعامل مع عدو خطير. وأيا كان الموقف، فإن الكذب مقبول على نطاق واسـع، وإن كان كريها، كسـلاح إسـتراتيجي في السياسة الخارجية. ولهذا السـبب، فمـن النادر، أن يعاقب القادة والدبلوماسـيون عندما يُكشـف عن كذبهـم على دولة أخرى. وعـلى العكس من ذلك، يعتبر الكذب عامة خطأ حين يكون الموضـوع محليـا، لأنه نادرا ما يكـون هناك خطر عـلى الدولة عندمـا يتعلق الأمر بالسياسة الداخلية أو المحلية.

وقد يبدو من غير المنطقي تصنيف الكذب بين الدول بالطريقة التي وصفتها آنفا من دون أن نشجع على شرعنة الكذب على الجبهة الداخلية. بيد أن هذا غير صحيح؛ فبالإمكان رسم حدود منطقية تبين لنا متى يصبح الكذب مقبولا ومتى لا يكون كذلك. ولنتذكر أن معظمنا يقبل حقيقة أن الكذب مسموح به في حالات استثنائية في حياتنا اليومية، من دون أن يجعل منه سـلوكا مقبولا في الظروف العادية. فمثلا، عندما كنت طالبا في أكاديمية وست بوينت العسكرية في أواخر الستينيات، كان هناك ميثاق شرف صارم يشـترط على الطالـب ألا يكذب، ولا يغش، ولا يسرق، وألا يتسـامح مع أولئك الذين يمارسـون تلك السـلوكيات. ولكن، كان مسـموحا لنا بالكذبة البيضاء – وكانت تسـمى «الـشرف الاجتماعي» – في حالات قد نؤذي فيها شـعور الآخرين في موضوع تافه. وللدلالة على ذلك سـأذكر مثالا من ذلك الوقت: فإذا زرت منزل قائدك المباشر وقدمـت لك زوجته طعاما رديئا، كان من المقبول أن تقـول لها إن الطعام كان جيدا ولذيذا. ولكننا كنا مدركين أن إطلاق كذبة في مواقف اجتماعية حرجة كهذه لا يمنحنا الرخصة لأن نكذب في ظروف أخرى.

وكـما لاحظنا، ينطبق المنطق نفسـه على النـاس في تفاوضهم حـول شراء منزل أو سـيارة. فالوضع يسـمح لكل من البائع والمشـتري بأن يكذب ويغش بشأن السعر التحفظي، كجزء من قواعد لعبة البيع. غير أن ذلك لا يعني أن الكذب مسموح به في أمور أخرى. والسياسـة بين الدول هي أيضـا مجال آخر يعتبر فيه الكذب أمرا مقبولا، حيث لا توجد مجازفة أو انتكاسات عكسية.

وبالانتقال إلى النتائج الدولية، فلا شـك في أن للكذب بين الدول نتائجه السـلبية، مثلما تفشـل أي سياسة فتسبب ضررا للمصلحة الوطنية. ولكن لا شيء مميزاً بالكذب

الدولي يجعله عرضة للنتائج العكسية السلبية، كما هي الحال في نقاشنا عن استعمال إثــارة الذعر والتغطيات الإســتراتيجية. وكذلــك، فإن الضرر الذي يقع عندما يفشــل الكذب بين الدول ليست له تكاليف عالية، وإن كانت له تكاليفه.

والكذبة التــي يطلقها رجل الدولة أو الدبلوماسي لدولة أخرى قد تضل طريقها بطريقتين: أولا، يمكن أن تكتشف مبكرا وحال إطلاقها، فلا تؤدي غرضها المنشود. ولكن ما العواقب للقادة الذين أطلقوا الكذبة؟ ليس من المتوقع أن تكون العواقب وخيمة، لأن الحافــز للانتقام ليس بالقوة الكافية، ولأن الكذبة اكتُشــفت قبل أن تحدث ضررا للدولة المستهدفة التي لن يكون لديها، في العادة، طرق جيدة لعقاب الكاذب. وواحد من أشــكال العقاب المحتمل هــو إحراج الكاذب، ولكنها عقوبة بســيطة حقا. وهي عقوبــة غير فعالة في الأغلب، لأن أغلبية الناس يدركون أن القادة يكذب بعضهم على بعض لمصلحة بلدانهم. وكذلك فإنه من الصعب توبيخ قائد استنادا إلى ذلك، حتى لو لم تنجح كذبته وضبط متلبسا.

ولربمــا تنتقم الدولة المســتهدفة بوقــف المفاوضات الجارية، أو انتهاج سياســة متشــددة تجاه الدولــة التي حاولت خداعها. وفي هذه الحالة فإن الكذبة المكشــوفة ســوف تســبب توترا في العلاقات بين الدولتين. ولكن من المحتمل ألا يحصل شيء من هــذا، ليس لأن الكذبة قد كشــفت ولم تســبب الأذى المطلوب، ولكــن - كما ذكرت في مــرات متكــررة - لأن الكذب بين الدول هو أمر مســلم به. لا شــك في أن الكذبة المكشوفة سوف تؤدي إلى توتر العلاقة بين دولتين، لكنها لن تكون الدافع الوحيد، بل بالتأكيد ستكون هناك خلافات ونزاعات اقتصادية وسياسية أخرى بينهما.

ويعد موقف حكومة آيزنهاور في ربيع العام 1960، حين ضبطت متلبسة بالكذب الصريــح حول حادثة طائرة يو 2، مثالا جيدا للنتائج المرتدة العكســية[5]. فقد شــعر الرئيس آيزنهاور نفســه بالإذلال عندما كشــفت تلك الأكاذيــب، ولكن الأهم أنه كان حينها يستعد للقاء الرئيس الســوفييتي نيكيتا خروتشوف. وكان كلاهما يريد تحسين العلاقة بين القوتين العظميين، وتهدئة ســباق التســلح النووي. بيد أن القمة فشــلت بســبب كذب الحكومة الأمريكية عــن طبيعة مهمة الطائرة. ولكن الســبب الرئيس لفشــل القمــة هو أن الحادثة قد كشــفت للجميع أن الولايــات المتحدة قد انتهكت الأجواء الســوفييتية، واستخدمت طائرات تجسس على الاتحاد السوفييتي، الأمر الذي

سـبب مشاكل كثيرة للرئيس خروتشوف في الجبهة الداخلية، وأصبح من الصعب عليه التعاون مع آيزنهاور. وباختصار، كان للأكاذيب التي أطلقها الرئيس ومستشـاروه إلى موسكو أثر ما، ولكن ليس لدرجة كبيرة.

ومـن الممكن القـول إن الضبط متلبسـا بقول الكذب قد يؤذي سـمعة الدولة وبالتالي يسـبب أضرارا لوضعها الـدولي. وكما لاحظنا، فإن سـمعة الدولة مهمة على مستوى السياسات الدنيا[6]. إذا اعتادت الدولة أن تمارس الكذب في تعاملها مع الشأن الاقتصادي وغيره من الأمور السياسية الأخرى، فسوف توصف بعدم الأمانة، مما يجعل الـدول الأخرى تتردد في التعاون والتعامل معها مسـتقبلا. وربمـا يكون هذا هو أحد الأسـباب الذي يجعل الكذب بين الدول نادرا على مسـتوى السياسـات الدنيا، مما لا يعطي وزنا كبيرا لمسألة سمعة الدولة في هذا المضمار.

وفي مجال السياسـات العليا، التي يبدو أن الكذب فيهـا أكثر ظهورا، وإن لم يكن مألوفا تماما، فإن السـمعة لا تهم كثيرا[7]. عندما يتعلق الأمر مباشرة بأمن الدولة، فإن قادتهـا لن يعيروا اهتماما كبيرا لسـمعة الدول الأخرى، لأنهـم في المقابل لا يمكن أن يكونوا متأكدين أنهم لن يخدعوا من قبل دولة ذات سـمعة طيبة. فإذا كانت الدولة قد صدقت عشر مرات متتالية، فإن ذلك لا يعني بالضرورة أن تصدق في المرة الحادية عشرة. إن الانخداع بالأكاذيب عندما يتعلق الأمر بالسياسـات الدنيا ليست له أهمية كبيرة، ولكن الأكاذيب سـوف تكون لها عواقب وخيمة إذا كان بقاء الدولة ذاتها على المحك. وعليه، فعندما يتعامل القادة مع قضايا تخص الأمن القومي، فإنهم لا يأخذون السـلوك السـابق للدول الأخرى في الاعتبار، ما يعني أن السـمعة السيئة ليست ثمنا باهظا مقابل الضبط متلبسا بالكذب.

وثانيـاً، قـد يؤدي الكذب بـين الدول إلى نتائج عكسـية مرتـدة بطريقة أخرى. وبالتحديـد، قـد تظـل الكذبة زمنا طويلا من دون أن تكتشـف، ولكـن، قد لا تؤدي غرضها المنشـود فتترك الدولة التي أطلقتها في وضع أسـوأ. لكن، وبعبارة أخرى، يمكن أن يطلق القائد كذبة تفشل في تحقيق المقصود منها. وأفضل مثال على هذه الظاهرة، هو عندما كذب خروتشـوف عن قوة سـلاحه في أواخر الخمسينيات. فقد بالغ جدا في وصـف قدراته الحربية ليقنع الولايات المتحدة الأمريكيـة بألا تهدد أو تهاجم الاتحاد السـوفييتي، وأن تحترم مصالح وطموحات موسـكو حول العـالم. ولكن كذبة الفجوة

الصاروخية قد أخافت أمريكا فأشعلت فيها روح المنافسة والحماس، فكثفت من سباق التســلح في الوقت الذي كان خروتشــوف يهدف إلى أن يهدئ من هذا السباق، ليوجه الإنفــاق إلى البرامــج الاقتصادية والاجتماعيــة. وكما يوضح هذا المثــال، فحتى الكذبة المحكمة قد ترسل نيرانها العكسية لتكشف الخلل في السياسة التي ارتكزت إليها.

مخاطر إستراتيجية إثارة الذعر

من الأرجح أن تكون لإستراتيجية إثارة الذعر – وهي ليست كالأكاذيب التي يطلقها القادة بعضهم على بعض – آثارها السلبية الوخيمة في سياسة الدولة الداخلية والخارجية. وابتداء، هناك احتمال كبير للانتكاســة العكســية؛ فالقادة الذين يلجأون إلى إستراتيجية إثارة الذعر يكشــفون جانبا من الاســتخفاف بشــعوبهم، وبالديموقراطية بصورة عامة. وعلى كل، فهم يكذبون لأنهم يعتقدون عدم قدرة شعوبهم على فهم ومساندة السياسة الخارجيــة المزمع انتهاجها، حتى لو قُدِّم إليهم تقييم مبــاشر للتهديد المتوقع والظروف المحيطــة. ولذلــك، ولضمان تبني الدولة السياســة الخارجية الصحيحــة، يصبح تضخيم التهديد، بتلفيق القصص عن العدوان والتورط في أنواع أخرى من الخداع، ضروريا.

إن مشــكلة هذا النوع من الســلوك هي أن نظرة القادة الدونية إلى شعوبهم قد ترتد ســلبا عليهم على الصعيد المحلى، فبمجرد أن يصبح القادة مقتنعين بأن شعوبهم قــد لا تفهــم القضايا المهمة في السياســة الخارجية، وبالتالي لا بد مــن خداعهم، فإن المنطــق ذاته لن يكون بعيدا عــن التطبيق على القضايا الداخلية. وفي الأســاس، فإن إســتراتيجية إثارة الذعر مربكة لدرجة يصبح مــن الصعوبة معها بناء جدار عازل بين السياســتين المحلية والخارجية؛ لأن العلاقة بين القادة وشعوبهم هي العلاقة نفسها في المضماريــن. وهذا بالطبع من دون إنكار أن الدوافع إلى اســتخدام الخداع تكون أكبر عندما تتعلق المسألة بالسياسة الخارجية، وذلك لكونها مرتبطة بأمن الدولة القومي.

إن إســتراتيجية إثــارة الذعر معرضة لأن تترك آثارا ســلبية وإخفاقا في السياســة الخارجية، وأســاس المشــكلة هو أن النقاش العام حول التهديــد لا يمكن إلا أن يكون مشوها، مادام القادة مصرين على خداع شعوبهم بشأن الخطر الذي تواجهه بلادهم. فهم في الأساس لا يعتقدون أن تقييما صادقا وأمينا للخطر المحدق بالبلاد كاف لحمل الشعب على التجاوب بشكل صحيح. وبالطبع، قد يكون الشعب نفسه - تحت بعض

الظروف - هو العقبة في التعامل مع الخطر بصورة إيجابية وفعالة، مما يجعل اللجوء إلى سلاح إثارة الذعر إستراتيجية منطقية. وبالفعل، فإن مثالا جيدا على هذا هو موقف الرئيس روزفلت، عندما لجأ إلى الكذب بشأن حادث المدمرة الأمريكية غرير Greer في 1941، والذي يمكن اعتباره من أجل المصلحة العامة؛ لأن الشعب الأمريكي لم يقدر الخطر الماثل للولايات المتحدة من ألمانيا النازية تقديرا جيدا [8].

ولكن في المقابل، من المحتمل - وربما من المرجح - أن يكون الشعب ذكيا ومسؤولا، وأن القادة أنفسهم هم العاجزون عن فهم الموقف بصورة صحيحة، مما ينتج سياسة خرقاء. وهذه النتيجة متوقعة، وتحديدا إذا كانت الدولة تواجه معارضة قوية من الخبراء خارج الحكومة، ومن شريحة عريضة من المواطنين. فلو قدم الحكام حججا منطقية لتمكنوا من الدفاع عنها في مضمار المناقشات الدائرة، من دون الحاجة إلى الكذب على الجمهور، خصوصا الخبراء العارفين ببواطن الأمور، فعندما يضطر القائد إلى اللجوء إلى أسلوب إثارة الذعر، فإن هناك احتمالا بأنه لم يقرأ حيثيات التهديد المفترض قراءة جيدة، وأن تقييم الشعب للأمور هو الصحيح. فإذا كانت الحالة كذلك، وانتهجت الحكومة سياسة خطأ، فذلك بالتأكيد سيقود إلى مشكلة خطيرة.

وكذلك، إذا كذب القادة من أجل الدفع بسياسة خطأ، فمن الأرجح أنهم سيفقدون السند الجماهيري حالما يعلم الشعب أنه قد جرى تضليله، لتتضاعف بذلك مشكلات الدولة. كان هذا ما حدث بالضبط لحكومة الرئيس جونسون في حرب فيتنام، وكما حصل لحكومة بوش في حرب العراق. حيث أصبح واضحا في الحالتين، عندما ساءت أمور الحرب، أن القادة قد استخدموا كثيرا من الكذب والخداع للحصول على الدعم. أما إذا اكتشف الشعب أن القادة والديبلوماسيين قد كذبوا في سياسة قد حققت أهدافها بنجاح، فمن المحتمل ألا يعاقبهم على ذلك؛ لأن لا شيء يقارن بالنجاح في السياسة الدولية. وهذا المنطق بالطبع، يقنع صناع القرار بأنهم يمكن أن يفلتوا من العقاب باستعمال أسلوب إثارة الذعر.

مخاطر التغطيات الإستراتيجية

قد يؤدي كذلك أسلوب التغطيات الإستراتيجية إلى مشكلات جمة داخل البلاد وخارجها؛ فالقادة الذين يكذبون على شعوبهم، بشأن سياسات فاشلة أو مثيرة للجدل،

يظنون أن شــعوبهم عاجزة عن التعامل مع هذه الأمور بذكاء. وكما هو الوضع في حالة اللجوء إلى إثارة الذعر، يكون الوضع مهيأ لحدوث انتكاســات عكســية؛ لأن صناع القرار الذين يحملون هذه الأفكار، ســينجرفون بســهولة للظن أن الشــعب عاجز عن التعامل مــع القضايا المحلية المهمة كذلك، مما يفتــح أبواب الخديعة والكذب على مصاريعها في الجبهة الداخلية، والنتيجة بالتأكيد ستكون عواقب وخيمة على صعيد السياسة الداخلية.

تعتمــد احتــمالات حدوث المصاعب، عــلى صعيد السياســة الخارجية، على نوع التغطية والتستر وتطوراتها، فلننظر في المقام الأول إلى حالة إخفاء سياسة مثيرة للجدل، وكيف بالإمكان أن تحدث نتائج عكسية. قد يتبنى القائد خلسة سياسة معينة، كانت قد خضعت لنقاش مســتفيض مفتوح انتهى باقتناعه بأن هذه السياســة هي لمصلحة البلاد، على الرغم من أنها لم تجد التأييد الكامل من المواطنين. وفي حالة أخرى، قد يجد القائد نفســه مضطرا إلى تبني سياســة في الخفاء، قبل أن تحظى بنقاش شعبي واسع، لأنه يعتقد أن تبنيه تلك السياســة سوف يواجه بمعارضة قوية، وفي كلا السيناريوهين على القائد أن يكذب إذا سئل عن تبنيه السياسة المعنية.

هناك احتمال كبير لحدوث نتائج عكسية عنيفة من جراء تغطيات وإخفاءات من هذا النوع؛ لأنه كلما عجز القادة عن تســويق سياساتهم لجماهيرهم بأسلوب منطقي شرعي، فمن المحتمل أن تكون المشــكلة في السياســة نفســها، وليســت في الجمهور، ويكون هذا صحيحا إذا واجهت السياسة اعتراضا كبيرا من الخبراء من خارج الحكومة. غير أنه في السيناريو الأول، كان هناك نقاش عام للسياسة المراد تبنيها على الأقل، حيث اضطر القادة خلالها إلى أن يستمعوا، ويتفاعلوا مع مخاوف معارضيهم، بما في ذلك آراء الخبراء والذين يعلمون كثيرا عن تفاصيل الأشــياء، فقد يحمل هذا الأســلوب التفاعلي الحكام على التفكير مليا في القرار الذي ســيتخذونه، مما يقلل من احتمالات التغطية على سياسة فاشلة. ويضاف إلى ذلك، أنهم ربما يكتشفون بعض النقائص والمشكلات في جوانب من السياســة التي يفضلونها، فيعالجون ذلك الخلل بطرق ذكية. أما بالنســبة إلى السيناريو الثاني الذي يفتقر إلى أي نقاش عام، فإنه تقل فيه فرص اكتشاف الخلل، وتقل فرص المعالجة، وبالتالي يرجح أن تعاني السياسة الفشل.

وبالرجوع إلى الأنواع الأخرى من التغطية – لإخفاء سياســة فاشــلة – فإن حدوث نتائج عكسية قد يبقى مسألة خلافية، مادامت السياسة المعنية قد فشلت بالفعل. غير

أن ذلك غير صحيح، حيث تعني تغطية السياسة الفاشلة، والتي تتضمن حماية الأفراد المسؤولين عن ذلك الفشل، وليس إعفاءهم مباشرة من مهامهم، أن السياسة الفاشلة ستظل مستمرة، أو على الأقل جزءا منها، لزمن معين، وهي نتيجة غير مرغوبة، وأوضح مثال على ذلك كان حماية المارشال جوفري وإدارته العسكرية لمعركة فردان ضد ألمانيا، مما أدى إلى استمرار سياسته الفاشلة طوال الشهور العشرة التي استغرقتها المعركة. كان من الممكن أن يكون الجنود الفرنسيون في وضع أفضل لو استُبدل بجوفري جنرال آخر أكثر كفاءة مبكرا خلال المعركة.

كذلك فإن تغطية السياسات الفاشلة قد تؤدي إلى كوارث أكثر، ليس فقط بسبب الإبقاء على أشخاص غير مؤهلين في مراكز عليا لفترة من الزمن، ولكن لأن الانشغال بالتغطية يعيق كفاءة نظام الأمن القومي عن أداء مهمته بالشكل المطلوب، مما يجعل من الصعوبة محاسبة صناع السياسات والقادة العسكريين وتحميلهم المسؤولية عن أفعالهم، فلا يمكن لأي مؤسسة أن تعمل بكفاءة من دون محاسبة ومسؤولية على كل مستويات العمل. وأخيرا، إذا ظلت السياسة الفاشلة مخفية لمدة طويلة، فمن الصعب أن يكون هناك نقاش ذو فائدة عن أسباب الخطأ، وعن التدابير الناجعة لتلافي تكرار ذلك الخطأ في المستقبل.

والخلاصة هي أن التغطيات الإستراتيجية قد تكون أحيانا ضرورية، ولكنها تحمل في طياتها مخاطر كثيرة، لأنها تتضمن احتمالات كامنة لحدوث نتائج عكسية حادة، كما أنها قد تفسد الحياة اليومية في الجبهة الداخلية.

مخاطر صناعة الأسطورة القومية

ليس من المحتمل أن يسبب الكذب من أجل تخليد الأساطير القومية أضرارا في الجبهة الداخلية، ولا عواقب وخيمة على السياسة الخارجية. وليس هناك خوف أو خطر من الانتكاسات العكسية، لأن معظم الناس يكونون مأخوذين بهذه الأساطير وسحرها، من دون التعامل معها بواقعية. وقد يرون أنها حقائق جوفاء، ولكنها ليست كذبا، ولا تشويها لوقائع تاريخية. وقد التقط جورج أورويل(*) خديعة الوهم الجماعي من القومية، قائلا: «إن القومية هي تعطش إلى السلطة، يعززه خداع للذات؛ فالقومي قد

(*) جورج أورويل (1903 – 1950)، هو صحافي وروائي بريطاني اشتهر بكتاباته المناهضة للأنظمة الشمولية، والمؤيدة للعدالة الاجتماعية والاشتراكية والديموقراطية، مثل روايتي «ألف وتسعمائة وأربعة وثمانون» (1949)، و«مزرعة الحيوانات» (1945). [المحررة].

يقوم بأفعال مفرطة في عدم الأمانة، ولكنه في الوقت نفسه يرى نفسه على حق، إذ يرى نفســه مدافعا عن أمر أســمى منه»[9]. بل إننا نجد أنه حتى المتعلمون والنخبة المثقفة المســتنيرة يقعون ضحايا لهــذه الظاهرة، فينتهون بتصديــق أكاذيبهم، وفي هذه الحالة لا يكون التعامل معها باعتبارها أكاذيب. وكما لاحظ الباحث ريتشــارد نيوســتادت «أن قدرة اللغة البيروقراطية على تضليل الرؤى وعرضها علنا أمر لا يمكن أن يستهان به»[10].

وماذا عن السياســة الخارجية؟ أكد عدد من الباحثين البارزين في هذا الصدد، بمن فيهم المؤرخ بول كنيدي من جامعة ييل وستيفن فان إيفيرا، أن هذه الأساطير القومية قد تضلل الدول أحيانا لتتصرف بحماقة[11]. وفي الحقيقة، فإن هذه الأساطير قد تحرك الدول نحو التصرف بعنف تجاه جيرانها، نحو رفض حل النزاعات القابلة للحل بطريقة سلمية. وقد قيل أيضا إن الأساطير القومية، على سبيل المثال، كانت السبب الرئيس في ســلوك ألمانيا العنيف أوائل القرن العشرين - بما فيه البدء بالحرب العالمية الأولى. كما يقال إن الأســاطير الشوفينية عن تاريخ إسرائيل هي أحد الأسباب الرئيسية وراء رفض الإسرائيليين الســماح لأن تكون للفلسطينيين دولة حقيقية، مما جعل وضع حد للنزاع الطويل أمرا مستحيلا.

غــير أن هذا المنظور غير صحيح، لأن المؤشر الســببي يشــير في الاتجاه المعاكس؛ حيث تؤدي السياســة الخارجية إلى خلق الأساطير القومية، وليس العكس. وبالتحديد، فإن الخطاب القومي، قد جرى تفصيله ليتناســب مع ســلوك الــدول، والمدفوع غالبا بحســابات أخرى. ومثال ذلك، أن ســلوك ألمانيا العدواني، حتى بداية الحرب العالمية الأولى، قــد فرضتــه مخاوف حول تــوازن القوى في أوروبا، وجاءت الأســاطير القومية في ألمانيــا لتبرر ســلوكها العدواني[12]. كما أن مســاعي إسرائيل للســيطرة على كل ما كان يعرف بفلســطين الانتدابية، ورفضها تأسيس الدولة الفلسطينية، كانا جزءا مركزيا في صميم المخططات الصهيونية منذ إنشــائها في العــام 1880 [13]. وجاءت كل أفعال وسلوكيات إسرائيل، منذ تأسيسها في العام 1948، متسقة وملتزمة بالرؤية الصهيونية، ولم تكن منســاقة بأي من الأســاطير القومية التي اخترعهــا الإسرائيليون. كان الهدف الرئيس من هذه القصص المختلقة هو تحســين سمعة إسرائيل، وتطهيرها من سلوكها العنيف وقســوتها تجاه الفلسطينيين، كي يصدق الإسرائيليون وحلفاؤهم في الخارج أن إسرائيل دائما على صواب، وأن الفلسطينيين دائما على خطأ.

بالطبــع، كل هذا لا ينكر أن القومية قد تكون ســببا قويا للحرب. وبالفعل، فقد كانــت القومية هــي الأيديولوجية الأقوى في القرنين الماضيين، وقد أدت دورا أساســيا في تمزيــق بعض الــدول والإمبراطوريات، كما قادت بعض الدول إلى شــن حروب على جيرانها، ومثال ذلك بسمارك الذي شن حروبا وكسبها في الأعوام 1864 و1866 و1870 مدفوعا بقوميته واعتباراته الأمنية[14]. ولم يكن هدفه حينها توســيع بروســيا وجعلها آمنة فقط، ولكنه كان يســعى إلى توحيد ألمانيا الكبرى. وعلينا أن نتذكر أن الصهيونية هي واقعيا القومية اليهودية، ولم يكن ممكنا أن يأتي الصهاينة من جميع أنحاء أوروبا ليكوِّنوا دولة يهودية في فلســطين من دون أن يتعاملوا بعنف وقســوة تجاه الشعب الــذي كان يعيش في تلك البقعة من الأرض. وبالتالي، فإن القومية هي أحد الأســباب الرئيســة للحرب، ولكن لا ينطبق هذا الأمر على الأســاطير التي تصاحبها. فعلى الأكثر، للأساطير تأثير من الدرجة الثانية أو الثالثة في سياسة الدولة الخارجية.

التكاليف الكامنة للأكاذيب الليبرالية

ليســت للأكاذيب الليبرالية أيضا آثار سلبية مهمة على الصعيد المحلى أو السياسة الخارجيــة. وينطبق الوهم الذاتي نفســه الذي يصاحب خلق الأســاطير القومية على الأكاذيب الليبرالية: يعتقد معظم الناس أن الكذب لم يحصل، لأنهم يميلون إلى تصديق أن دولتهم تتصرف دائما بنبل، وعليه فليس هناك أي خطورة من أي ارتدادات عكسية. ولكــن، حتى في الأحــوال النادرة التي لا تنجــح فيها الأكاذيــب الليبرالية كما ينبغي، ويدرك الجمهور أن الدولة قد تصرفت بصورة غير أخلاقية، أو غير قانونية، فإنه ليست هناك خشية كبيرة من ارتدادات عكسية، لأن معظم الشعب يعلم أن القواعد المطبقة على السياسة الخارجية ليست ذاتها المطبقة داخل حدود دولتهم.

ولا يبــدو أن هناك أثرا ملحوظا للأكاذيب الليبراليــة التي يطلقها القادة في وضع دولتهم على الصعيد العالمي، وينســحب المنطق ذاته الذي تُبنى عليه صناعة الأساطير القومية على الأكاذيب الليبرالية. حيث يسعى القادة والديبلوماسيون إلى مضاعفة أمن دولتهم، بغض النظر عن اللغة التي يســتعملونها لتفسير أفعالهم في الماضي والحاضر. وبعبارة أخرى، فإن المؤشر الســببي يبدأ من ســلوك السياســة الخارجية، إلى الخطاب الليبرالي، وليس العكس.

9

الخلاصة

يتضح لنا مــن الســجلات التاريخية أنه على الرغــم مــن أن الكــذب مُدان كســلوك مشــين ومرفــوض، فإن القادة - بــكل أطيافهم - يؤمنون بأنه أداة مهمة في إدارة شؤون الدولة، من الممكن، بل من الواجب، استخدامها في ظروف متنوعة.

ولا يكــذب القــادة عــلى دول أخرى فقط، ولكنهــم يكذبــون كذلــك على شــعوبهم، وهم يفعلــون ذلــك ظنا منهــم أن في ذلــك مصلحة لبلدانهــم. وأحيانا يكونــون على صواب، فمن ذا الــذي يقول إن القادة والدبلوماســيين يجب ألا يكذبوا على عدو خطير – خصوصا في زمن الحرب – إذا أتــت خديعتهم بمنافع إســتراتيجية؟ وربما يكون أفضــل مثال أدى فيه الكــذب دورا مهما لقلــب ميزان القــوى لمصلحة دولــة هو موقف بسمارك مع فرنسا، عندما استفزها بالكذب لتبدأ

«وأخــذا في الاعتبــار الطمــوح الأمريكي الدولي المتزايد، فإن علينا أن نتوقــع أن تكون سياســة إثارة الذعر سمة ثابتة من سمات الأمن القومي في السنوات المقبلة»

الحرب على بروسـيا 1870، وكسبت بروسيا الحرب، وحققت نصرا فاعلا قاد إلى خلق ألمانيا القومية في قلب أوروبا.

بالإضافة إلى ذلك، يكذب القادة على شـعوبهم أحيانا عندما يعتقدون أن لديهم أسـبابا منطقيـة للكذب. ويبـدو لي أن الرئيس جون كنيدي كان عـلى صواب عندما كذب على الشعب الأمريكي بخصوص أزمة الصواريخ الكوبية، وعقد اتفاقا مع الاتحاد السـوفييتي على صواريـخ جوبيتر في تركيـا - لأن تلك الكذبة سـاعدت في حل أزمة الصواريخ الكوبية - متجنبا بذلك قيام حرب بين قوتين عظميين مسلحتين نوويا.

إلا أن الكذب لا يحقق أغراضه دائما؛ فمن الصعب على القادة أن يخدعوا الدول الأخـرى؛ لأن الكذب بين الـدول عادة يوجه إلى الدول المعاديـة أو المحتمل عداؤها، وهـي بالطبـع حريصة وحذرة ومتشـككة في أي شيء يأتي من الخصوم بشـأن قضايا تتعلق بأمنهم. ويفسر فقدان الثقة بين الدول المتنافسة عدم وجود كذب كثير بينهم. فمثلا، كان من الصعب على تشرتشـل أو روزفلـت أن يخدعا هتلر، والعكس صحيح. وعلى الرغم من أنه أسهل على القائد أن يكذب على شعبه، لأن الشعب يثق بحكومته، فإن الكذب على المواطنين قد لا يحقق نتيجة، فعلى سـبيل المثال، كذب روزفلت على الشـعب الأمريكي بخصوص المدمـرة غرير Greer في العـام 1941، من أجل أن يجر أمريكا للمشـاركة في الحرب العالمية الثانية. ولكن ظلت أكاذيبه من دون أثر كبير في الشعب الأمريكي الذي ظل في مزاجه الانعزالي حتى وقعت حادثة بيرل هاربر.

كما أن الفشل في الوصول إلى الغاية المبتغاة من وراء الكذب ليس المشكلة الوحيدة التـي قد تواجه القائد حين يطلق أكاذيب على المسـتوى الـدولي، فهناك أيضا مخاطرة محتملة لاكتشـاف الكذبة، مما قد يسـبب ضررا للدولة بدلا من مساعدتها في تحقيق أهدافهـا، كما حدث لحكومة الرئيـس آيزنهاور التي أطلقت الكذبـة تلو الأخرى، بعد أن أسـقط الاتحاد السوفييتي طائرة التجسـس يو2. وبالطبع فقد تؤدي تلك الأكاذيب إلى نتائـج عكسـية، حتى لو لم تُكشـف، أو صدقهـا قادة الدولة المسـتهدفة. وهذا ما حصل للرئيس خروتشـوف عندما بالغ في تعظيم قدراته الحربية وترسـانته النووية في أواخر الخمسـينيات، فكان أن انتهى به الأمر إلى سـباق تسلح مع الولايات الأمريكية لم يكـن يرغب فيه بالأسـاس، كما لم يكن يخدم مصلحة بلاده. كـما تعد أكاذيب حكومة الرئيس جونسون عن أحداث خليج تونكين، في أغسطس من العام 1964، مثالا آخر على

النتائج العكسية لسلسلة من الأكاذيب المحكمة، فقد أدت تلك الأحداث وأكاذيبها دورا مهما في جر أمريكا إلى الحرب في فيتنام. وبالطريقة نفسها ألفت حكومة الرئيس بوش أكاذيب كثيرة قبل غزوها العراق في مارس من العام 2003، والتي لم يُكشَف عنها في حينها، وأسهمت في تسويق التحرك بإسقاط صدام حسين. في كلتا الحالتين السالفتين أدى استخدام أسلوب إثارة الذعر إلى كوارث إستراتيجية أضرت بالولايات المتحدة أيما إضرار.

ويعتبر الارتداد العكسي أحد الجوانب السلبية في مضمار الأكاذيب الدولية، أما الجانب السلبي الآخر فيتمثل في الانتكاسة العكسية، وهو الأكثر مدعاة إلى القلق؛ فالقادة الذين يكذبون على شعوبهم، لما يعتقدونه أسبابا إستراتيجية مفيدة، قد يحدثون أضرارا كبيرة في الجسم السياسي بتبنيهم ثقافة عدم الأمانة. ولذلك تبرز سياستا إثارة الذعر والتغطيات الإستراتيجية كأخطر أنواع الأكاذيب التي قد يطلقها القادة. فكلاهما يحمل خطر «الانتكاسة العكسية»، لأنهما يتضمنان كذب القادة على شعوبهم، وكلاهما قد يسبب مشكلة على صعيد السياسة الخارجية. أما الأضرار المرتبطة بأنواع الأكاذيب الثلاثة المتبقية: صناعة الأسطورة القومية، والكذب الليبرالي، والكذب بين الدول، فهي أقل ضررا من إثارة الذعر والتغطيات الإستراتيجية.

ما الدروس والعبر التي يمكن أن نستخلصها من فحصنا أطروحة الكذب الدولي للسياسة الخارجية الأمريكية مستقبلا؟

خرجت الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب الباردة قوة عظمى في العالم. ويبدو أن هذا الوضع سيظل من دون تغيير في المستقبل القريب، حيث إن هناك دولة واحدة - الصين – يمكنها تحدي أمريكا على موقعها، ولكن الطريق أمام الصين طويل، ولها مشكلاتها التي قد تبطئ مسيرتها وربما توقفها[1]. وفي الوقت نفسه، هناك عدد كبير من صانعي قرار السياسة الخارجية في أمريكا - ومنهم ديموقراطيون وجمهوريون - يؤمنون بأن لأمريكا دورا أخلاقيا ومسؤولية إستراتيجية لا في حفظ وترتيب شؤون العالم فقط، بل في محاولة تشكيل سياسات الدول الأخرى. إضافة إلى أن القادة الأمريكيين لم يترددوا في استعمال القوة العسكرية لتحقيق أهدافهم الكبيرة. وقد خاضت الولايات المتحدة خمس حروب منذ نهاية الحرب الباردة سنة 1989؛ ففي العام 1991 كانت حربها على العراق؛ و1995 و1999 كانت على صربيا؛ 2001 - 2002 كانت حربها على أفغانستان؛ 2003-2011 على كل من أفغانستان والعراق.

إن الحرب المستمرة في أفغانستان والعراق(*) لا بد من أن تكون لها آثارها في السياسة الخارجية، وفي التقليل من حماس النخبة لتغيير العالم بقوة السلاح، ولكن لا أحد يعلم إلى أي حد. وبالتالي، فربما لن ننتظر طويلا قبل أن نرى الولايات المتحدة وقد بدأت حملة عسكرية أخرى. ولا سبب تقريبا يدعونا إلى التفكير أن ذهنية التزامها بإدارة شؤون العالم ستتغير قريبا، ما يعني أن الولايات المتحدة ستبقى متورطة في السياسة العالمية على المدى المنظور.

ومن المحتمل أن تؤدي هذه السياسة الخارجية الطموحة إلى خلق كثير من المواقف والأوضاع التي سيجد قادة الولايات المتحدة فيها أنفسهم مضطرين إلى إستراتيجية إثارة الذعر. ولا بد من أن نتذكر أن القادة الذين يكذبون على شعوبهم، في الأغلب الأعم، هم أنفسهم قادة الديموقراطيات التي تخوض حروبا باختيارهم في مناطق بعيدة. وينطبق هذا الوصف تماما على الولايات المتحدة، ويمتد أيضا إلى تفسير أكاذيب وخداع حكومة بوش التي أطلقتها قبل شن الحرب على العراق في العام 2003. ولكنها بالتأكيد ليست الحكومة الأولى التي تلجأ إلى سياسة إثارة الذعر، ولن تكون الأخيرة.

تنفق الولايات المتحدة على جيشها أكثر مما ينفق العالم كله مجتمعا؛ ولديها سلاح نووي فعال ورادع، ولديها حماية من الطبيعة بمحيطين بحريين هائلين. وبالنظر إلى درجة الأمان العالية التي تتمتع بها الولايات المتحدة، فإن الطريقة الوحيدة أمام قادتها، لكي يبرروا حاجتهم إلى التدخلات العسكرية الدولية الطموحة، تأتي عن طريق إقناع الشعب الأمريكي بأن المشكلات الصغيرة نسبيا، هي في واقعها خطيرة، ومتزايدة الخطورة. وأخذا في الاعتبار الطموح الأمريكي الدولي المتزايد، فإن علينا أن نتوقع أن تكون سياسة إثارة الذعر سمة ثابتة من سمات الأمن القومي في السنوات المقبلة. بالطبع هذه أخبار سيئة، لأن إثارة الذعر لا تقتصر على كونها مدمرة للمؤسسات الديموقراطية، لكنها قد تقود إلى كوارث، كما حدث في العراق وفيتنام.

(*) كانت مستمرة وقت كتابة الكتاب، وانتهت حرب أمريكا على العراق بانسحاب الجيش الأمريكي في ديسمبر من العام 2011. كما أعلن الرئيس الأمريكي، باراك أوباما، وقف العمليات القتالية في أفغانستان في ديسمبر من العام 2014، غير أن القوات الأمريكية مازالت موجودة هناك. [المحررة].

الهوامش

withe

توطئة

(1) Mary Dalrymple, “Kerry Avoids Calling Bush Liar” **MSNBC.COM** ,September, 24, 2004. www.msnbc.msn.com/id/٦٠٨٦٨٢٣; David Stout, “Kerry Accuses Bush of Hiding the Truth about Iraq” **New York Times**, September 16, 2004. “Transcript: First Presidential Debate”, **Washington Post**, Septemper 30, 2004.

بيــد أنه وفق ملاحظة دارليمبل، فإن أعضاء في حملة كــيري الانتخابية لم يترددوا في وصف بوش بالكاذب، على الرغم من أن كيري ذاته كان مترددا في استخدام الكلمة.

Patrick Healy, "Kerry camp Lowers N.H. Expectations: Behind in Polls, Senator Now Seeks spot in Top Two", Boston Globe, December, 8, 2003.

المقدمة

(1) Charles A. Duelfer, **Comprehensive Report of The Special Advisor to the DCI on Iraq’s WMD**, Vol.1 (Washington DC: Central Intelligence Agency, September 30, 2004), 34-35. See also, Julian Borger, “Interrogators Botched Hunt for Iraq’s WMD” **Guardian**, April 27, 2005; Rupert Cornwell, “Saddam Was Bluffing over WMD Stocks, Says Report” **Independent**, October 2 , 2003; Johanna McGeary, Timothy J. Burger, and Elaine Shannon, “What Saddam Was Really Thinking” **Time**, October 18, 2004, http://www.time.com/time/magazine/article/0.9171.995422.00. html, Walter Pincus and Dana Priest, “Hussein’s Weapons May Have Been Bluff” **Washington Post**, October 1, 2003;Alec Russell, “Leaked Report Points to Saddam WMD Bluff” **Telegraph**, October 2, 2003.

(2) George Tenet, **At the Centre of the Storm: My Years at the CIA**, (New York: Harper Collins, 2007), 331-33.

(3) Duelfer, **Comprehensive Report**, 34.

(4) كتب ســلوبودان ليكيك في مقالة له حول «ادعاءات كذب صدام بخصوص الأســلحة»: «كان صدام ينفي علنا امتلاكه أي أسلحة غير تقليدية. لكنه في المقابل منع مفتشي الأمم المتحدة مــن العــام 1998 وحتى العام 2002 من العمل داخل البــلاد، وعند عودتهم إلى العراق في نوفمبر 2002 كانوا يشتكون من عدم تعاون العراق معهم تماما».

Slobodan Lekic, "Aide: Saddam Did Get Rid of Iraq WMD,” Associated Press, August 2, 2003.

ليس هناك شــك في أن صدام منع مفتشي الأســلحة من التفتيش ما بين العامين 1998 و2002، بيد أن ذلك ليس دليلا كافيا على أنه كان يكذب. وبينما كان المفتشون يشكون من عدم تمكينهم من الدخول إلى بعض المواقع بعد عودتهم إلى العراق، فقد تم حل هذه الإشكاليات، وأعربت الأمم المتحدة عن ثقتها بقدرتها على تقييم إن كان العراق يمتلك أســلحة دمار شــامل أم لا، إذا منحوا فترة زمنية مناســبة لتفتيش البلد. في المقابل، أرغمت حكومة بوش المفتشــين على مغادرة العراق قبل انتهائهم من عملهم، وذلك لكي تغزو العراق وتزيح صدام من السلطة.

(5) لا يتفــق الجميع عــلى مقولة أنه من المقبول أن تكذب لإنقاذ إنســان بريء، كما يتضح من القصة المشــهورة عن «الكذب المعمــداني»؛ ففي العام 1804 اندلع نقاش حاد في كنيســة

معمدانية في ولاية كنتكي بشــأن إذا كان من المســموح لرجل أن يكذب إن كان لديه زوجة وأطفال أمام غزاة هنود من المحتمل أن يقتلوهم. بعبارة أخرى، هل يصح أن تكذب لحماية عائلتــك من مواجهة خطر محدق؟ وقد انقســمت الكنيســة حول الأمــر بين «معمدانيين صادقين» وبين «معمدانيين كاذبين».

(6) Lanse P. Minkler and Thomas J. Miceli, “Lying, Integrity, and Cooperation” **Review of Social Economy** 62, no.1 (March 2004): 27-50.

(7) للاطلاع على موقف حاد تجاه الكذب من أي نوع انظر:

Sissela Bok, **Lying: Moral Choice in Public and Private Life**, 2nd ed. (New York: Vintage Books, 1999).

(8) Kenneth N. Waltz, **Theory of International Politics**, (Reading, MA: Addison-Wesley, 1979), Chap.5.

(9) Thomas Hobbes, **Leviathan**, ed. C.B. Macpherson (Harmondsworth, UK: Penguin, 1985), 202.

(10) حول انتشار الخداع، انظر:

Larry Alexander and Emily Sherwin, “Deception in Morality and Law” **Law and Philosophy** 22, no.5 (September 2003): 393-450; F.G. Bailey, **The Prevalence of Deceit** (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1991); J.A. Barnes, **A Pack of Lies: Towards a Sociology of Lying** (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1994); Paul Ekman, **Telling Lies: Clues to Deceit in the Marketplace, Politics and Marriage** (NY: Norton, 1985; Michael Lewis and Carolyn Saarni, ads., **Lying and Deception in Everyday Life** (NY: Guildford, 1993); Clancy Martin, ads, **The Philosophy of Deception** (NY: Oxford University Press, 2009); David Nyberg, **The Varnished Truth: Truth Telling and Deceiving in Ordinary Life**, (Chicago University Press, 1993); Loyal Rue, **By the Grace of Guile: The Role of Deception in Natural History and Human Affairs** (NY: Oxford University Press, 1994).

(11) الشــخص المعني يكون في الواقع كاذبا، إذا تعمد عدم ذكر معلومات مطلوبة في اســتمارة التقدم للوظيفة، فهو ملزم في مثل هذه الحالة بتبيان كل المعلومات المطلوبة، فعلى ســبيل المثال، سحبت جامعة هارفارد عرضا بالقبول لمتقدمة شابة لأنها لم تذكر أنها أدينت قضائيا بقتل أمها في العام 1990. فقد شــعر موظفو هارفارد بأن المتقدمة تتحمل مســؤولية ذكر هذه المعلومة في استمارة الطلب.

Fox Butterfield, “Woman Who Killed Mother Denied Harvard Admission”, **New York Times**, April 8, 1995.

(12) كتب أليكســاندر وشيروين أن «فلاســفة الأخلاق يميزون بصورة مكررة بين الكذب والخداع ويدينون الكذب على أنه أسوأ اعتداء».

("Deception in Morality and Law", 400).

(13) Eric Alderman, **When Presidents Lie: A History of Official Deception and Its Consequences** (New York: Viking, 2004). See Also, James P. Pfiffner, **The Character Factor: How We Judge America's Presidents** (College Station: Texas A&M University Press, 2004). Chaps 2-3; David Wise, **the Politics of Lying: Government Deception, Secrecy, and Power**. (NY: Random House, 1973).

(14) Immanuel Kant, **Ethical Philosophy**, trans. James W. Ellington (Indianapolis: Hacket, 1983), 90.

(15) على الرغم من أننا في هذا الكتاب نساوي بين الكذب والخداع، فإن علماء العلاقات الدولية يتحدثون عن خداع الدولة لدولة عن طريق تحريك قواتها المسلحة ونشرها بطريقة توحي بأنها سيتم استخدامها. حتى لو أن نشر القوات المسلحة لا يتضمن فعليا أي كذب، يظل الهدف الأساسي لتلك التحركات هو تضليل الدولة الأخرى. بيد أنني لم أتطرق إلى مثل تلك الحالات، لأنها ببساطة لا تتضمن كذبا. لكني لو أدخلتها ضمن الكتاب، فإنني حينها أستطيع الإشارة إلى حالات أكثر من الكذب من هذا المنظور.

الفصل الأول

(1) يتضح هذا المنطق في البند 1001 من الباب 18 من دليل الولايات المتحدة، وهو اللائحة التي تُجرِّم التصريحات الكاذبة، وتحديدا في «تعتبر العبارة كاذبة استنادا إلى البند 1001 وإن كانت صادقة حرفيا إذا نتج عنها تضليل مسؤول فدرالي». انظر:

JaeYoun John Kim, "False Statements" **American Criminal Law Review** 40, no. 2 (Spring 2003): 515.

(2) Harry G. Frankfurt, **On Bullshit** (Princeton, NJ: Princeton University Press 2005).

كتب هاري فرانكفورت كتاب «عن الهراء» الذي قد يبدو وثيق الصلة بموضوعنا، غير أنه ليس كذلك لسببين: أولا، يؤكد مؤلفه بوضوح أن الهراء يختلف عن الكذب، فالناطق بالهراء لا يعير اهتماما لقول الحقيقة، فـ «قيم الحقيقة لا تؤدي دورا مركزيا في مقولاته.. فهو غير معني بقول الحقيقة أو إخفائها». (55) وفي سياق روايته – وعادة ما تكون قصة شاملة – قد يتفوه بأمور خاطئة، ولكن ذلك لا يعد كذبا، لأنه لا يقوله متعمدا وهو يعرف بأنه غير صحيح. (52) «إن عينه لا ترى الحقائق إطلاقا». (56) في المقابل، فإن الكاذبين يهتمون جدا للحقائق، ولكنهم لا يصرحون بها. فالكاذب «يحاول أن يبعدنا عن الإدراك السليم للواقع» (54 – 55). ثانيا، لا توجد أدلة كثيرة على «الهراء» في السياسة الدولية، غالبا لسهولة اكتشافه وعدم جدواه. ويشير فرانكفورت إلى أن «أغلب الناس واثقون بقدرتهم على التعرف على الهراء وتجنب الانخداع به. ولذلك لم تلفت الظاهرة الكثير من الاهتمام أو البحث الجاد» (1)، كما يشير إلى أن الهراء شائع لأن الناس عادة ما يضطرون إلى «الحديث عن أمور يجهلونها إلى حد ما» (63). وقلما يجد رجال الدولة والديبلوماسيون أنفسهم في مواقف كهذه من دون أن ننكر أنهم يتخذون أحيانا قرارات حمقاء. باختصار، فإنه من غير المنطقي إدراج «الهراء» كنوع رابع من أنواع الخداع.

(3) Quoted in Corey Dade, Suzzanne Varnica and Kevin Helliker, "Woods Aims tp Stem Damage," **Wall Street Journal**, December 3, 2009.

(4) American Bar Association, **Model Rules of Professional Conduct**, August 2002, Rule 3.3 (a). See also, Monroe H. Freedman, **Lawyers' Ethics in an Adversary System** (Indianapolis: Bobbs-Merril, 1975); Robert J. Spitzer, **Saving the Constitution from Lawyers: How Legal Training and Law Reviews Distort Constitution Meaning** (NY: Cambridge University Press, 2008), 11-14.

وتجدر الإشـــارة إلى أن العديد من الباحثين القانونيين يرون أن «نظام المحاججة يفترض أن أفضل الطرق كفاءة وعدالة للتأكد من الحقيقة يكون من خلال تقديم واف للقضية بجانبيها أمام قاض مستقل أو محلفين».

(Freedman, **Ethics in an Adversary System**, 9).

بعبارة أخرى، فإن الخداع الذي يمارسه محامو طرفي النزاع هو الوسيلة المثلى للوصول إلى الحقيقة، ولا يتفق كل القانونيين على هذا الرأي، انظر:

Stephan Landsman, **Readings on Adversarial Justice: The American Approach to Adjudication** (St. Paul, MN: West, 1988), Chap 2.

(5) James Risen, "Captives Deny Qaeda worked with Baghdad" **NYT**, June 9, 2003.

هناك المزيد من الأدلة التي تلقي بالشكوك على الارتباط المفترض بين بن لادن وصدام، انظر:

Iraq on the Record: The Bush Administration's Public Statements on Iraq, Report prepared for Congressman Henry Waxman by the minority staff, Committee on Government Reform, US House of representatives, March 16, 2004, 21-25.

(6) وفـــق قانـــون الولايات المتحدة (يو إس كود)، فإن إخفاء المعلومة يعد ســـلوكا إجراميا عندما يتضمـــن «خداعـــا، ترتيبـــا، أو حيلة». بعبـــارة أخرى، يجـــب أن يكون هنـــاك «فعل مؤكد بالإخفاء» انظر:

Kim, "False Statements" 515.

ووفق تصنيفي، فإن ذلك الســـلوك مشابه للكذب وبالفعل فهو يتضمن الكذب، ولكنه لن ينطبق على تعريفي للإخفاء، الذي لا يتضمن فعلا مؤكدا.

(7) Quoted in Albert Z. Carr, "Is Business Bluffing Ethical?" **Harvard Business Review**, January-February 1968, 143.

وللحالة التي لا يعتبر فيها التعامل التجاري كذبا، انظر:

Thomas Carson, "Second Thoughts about Bluffing," **Business Ethics Quarterly 3**, no.4 (October 1993): 317-41.

وللوجه الآخر من النقاش، انظر:

Gary E. Jones, "Lying and Intentions," **Journal of Business Ethics 5**, no.4 (August 1986): 347-49.

انظر أيضا:

Thomas L. Carson, "On the Definition of Lying: A Reply to Jones Revisions," **Journal of Business Ethics 7**, no.7 (July 1998): 509-14.

الفصل الثاني

(1) عـلى الرغم مـن أن تركيزنا، في هذا الكتاب، هو على قيام الدول بخلق وتسـويق الأسـاطير القومية، فإنه لا مراء من أن المجموعات الإثنية والعرقية التي ليسـت لها دولة مسـتقلة - سـواء لأنهـم لم تكن لهم دولة في تاريخهم على الإطلاق، أو أنهـم فقدوا تلك الدولة - أيضا نجدهم يكذبون فيما يخص ماضيهم. لذا، فإن أطروحاتي بشأن صناعة الأساطير تنطبق على الشعوب من دون دولة، أو على الدول بذاتها.

(2) ظهر هذا النوع من السـلوك الأناني بشـكل واضح خلال فضيحة إيـران كونترا، عندما جرى التحقيـق مع كبـار موظفي حكومة رونالد ريغان، وجرى توجيـه اتهامات بتجاوز القانون لبعضهم، انظر:

Eric Alderman, **When Presidents Lie: A History of Official Deception and Its Consequences** (NY: Viking, 2004) Chap. 5.

(3) تخفيـف التهديد هو نوع آخر محتمل من الكذب الإسـتراتيجي. في مثل هذه الحالة يكذب القائد على الجمهور ليجعل التهديد أقل من أهميته الحقيقية. ويمارس هذا السـلوك عادة عندما يسعى القائد إلى تجنب حرب قادمة بمواجهة ضغط شعبي يدفع باتجاه الحرب. بيد أننا لم نتناول تخفيف التهديد في هذا الكتاب، لأن ظهوره نادر.

الفصل الثالث

(1) Quoted in J.A.Barnes, **A Pack of Lies: Towards a Sociology of Lying** (Cambridge University Press, 1994), 23.

(2) Sissela Bok, **Lying: Moral Choice and Private Life**, 2nd ed. (NY: Vintage Books, 1999), xxili.

(3) Quoted in Aviashi Margalit, "The Violent Life of Yitzhak Shamir", **New York Review of Books**, May 1992, 23.

رئيس وزراء آخر لإسرائيل، موشـيه شـاريت، علق في إحدى المرات قائـلا: «لقد تعلمت أن دولة إسرائيل لا يمكن لها أن تهيمن في زمننا هذا من دون الخداع والمغامرة. فهذه حقائق تاريخية لا يمكن تعديلها... وفي نهاية الأمر، فإن التاريخ سـيبرر الخداع والمغامرة. وكل ما أعرفه أنني أنا، موشيه شاريت، غير قادر على الإتيان بها، وبالتالي فإنني غير مؤهل لقيادة الدولة».

Quoted in Simha Flapan, **The Birth of Israel: Myths and** Realities (NY: Pantheon Books, 1987), 51-52.

(4) مـن المؤكـد أن هذا لا يعنـي أنه على القـادة أن يفترضوا أن رجال الدولة والديبلوماسـيين الأجانب يكذبون عليهم، لأن هذا النوع من القلق قد يدفعهم إلى القراءة الخاطئة لمواقف كثيرة يسـمعون فيها الحقيقة. وقد جسد سـتالين هذا النوع من التفكير في ربيع من العام 1941، عندما رفض الاسـتماع بحمق إلى التحذيرات التي جاءته من تشرشـل وآخرين بشأن هجوم ألماني مؤكد على الاتحاد السوفييتي. انظر:

Richard K. Betts, **Surprise Attack: Lessons for Defence Planning** (Washington, DC: Brookings Institution, 1982), 34-42; Gabriel Goroetsky, **Grand Delusion: Stalin and the German Invasion of Russia** (New Haven, CT: Yale University Press, 1999), Chap.8; Barton Whaley, **Codeword BARBAROSSA** (Cambridge, MA: MIT Press, 1974).

(5) Charles Lipson, "International Cooperation in Economic and Security Affairs," **World politics 37**, no. 1 (October 1984): 1-23.

(6) Quoted in Anthony Marro, "When the Government Tells Lies," **Columbia Journalism Review 23**, no.6 (March/April 1985): 34. See also Arthur Sylvester, " The Government has the Right to Lie" **Saturday Evening Post**, November 18, 1967, 10, 14.

(7) Jody Powell, **The Other Side of the Story** (NY: Morrow, 1984), 223.

من الضرورة الإشارة إلى أن باول لم يكن يتصور أن قادة الحكومات يضطرون إلى الكذب إلى هذه الدرجة، وقد كذب هو مرتين فقط خلال خدمته لأربع سنوات في البيت الأبيض، وندم على اضطراره إلى فعل ذلك في المرتين.

(8) بخصـوص راينلاند، كتب المؤرخ آلان بولوك «وبعد مضي سـنوات، تسـاءل هتلر على طاولة العشـاء: ما الذي كان سـيحدث لو كان أحد غيري على رأس الرايخ؟! أي شـخص تفكرون فيه كان سـيفقد أعصابه. فقد كنت مضطرا إلى الكـذب، وما حافظ على رباطة جأشي كان إيماني الراسخ وثقتي العالية بالنفس وبقدراتي الفائقة. فقد هددت بأنه إن لم تهدأ الأمور في راينلاند فإنني سـوف أرسل ست فرق عسكرية. في حين أن الحقيقة هي أنه لم يكن بتصرفي أكثر من أربع كتائب، وفي اليوم التالي كتبت الصحف الإنجليزية أن الأمور قد هدأت».

Alan Bullock, **Hitler, a Study in Tyranny**, rev.ed. (NY: Harper&Row, 1964), 343. See also Michael Mihalka, **German Strategic Deception in the 1930s**, Rand Note N-1557-NA (Santa Monica, CA: Rand Corporation, July 1980); Arnd Plague, Patterns of Deception: Why and How Rising States Cloak Their Power (Working Paper, Yale University, March 18, 2009).

(9) Gordotesky, **Grand Delusion**, 115-18, 126-30, 207-10; Jiri Hochman, **The Soviet Union and the Failure of Collective Security**, 1934-1938(Ithaca, NY: Cornell University Press, 1984), chap.6; Adam B. Ulam, **Expansion and Coexistence: Soviet Foreign Policy, 1917-73**, 2nd ed. (NY: Praeger, 1974), 241-43, 252-53; Adam B. Ulam, **Stalin: The Man and His Era** (NY: Viking, 1973), 502-3.

(10) Edger M. Bottom, **The Missile Gap: A study of the Formulation of Military and Political Policy** (Rutherford, NJ: Fairleigh Dickinson University Press, 1971) chaps 2, 7; McGeorge Bundy, **Danger and Survival** (NY: Random House, 1988), 416; Arnold L. Horelick and Myron

Rush, **Strategic Power and Soviet Foreign Policy** (Chicago: University of Chicago Press, 1966), chaps. 3-5, 9; Vladislav Zubok and Costantine Pleshakov, **Inside the Kremline Cold War: From Stalin to Khrushchev** (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1996) Chapt 6.

(11) Holger H. Herwig, "The Failure of German Sea Power, 1914-1945: Mahan Tirpitz, and Reader Reconsidered," **International History Review** 10, no.1 (February 1988): 68-105; Paul M. kennedy, "Tirpitz, England and the Second Navy Law of 1900: A Strategical Critique," **Militargeschichtliche Mitteilungen** 2 (1970): 33-57; Paul M. Kennedy, **The Rise of Anglo-German Antagonism, 1860-1914** (London: Allen& Unwin, 1980), chap. 13, especially 223-27; Paul M. Kennedy, **Strategy and Diplomacy, 1870-1945**: Eight Studies (London: Fontana, 1984), chaps. 4-5 Jonathan Sternberg, **Yesterday's Deterrent: Tirpitz and the Birth of the German Battle Fleet** (London: MacDonald, 1965) intro., chaps 4-5.

(12) Quoted in " Report: Nixon Feared Israeli Nukes Would Spur Arms race," **Haaretz**, November 29, 2007. See also Avner Cohen, **Israel and the Bomb** (NY: Columbia University Press, 1998); Symore M. Hersh, **The Samson Option: Israel's Nuclear Arsenal and American Foreign Policy** (NY: Random House, 1991).

(13) Bundy, **Danger and Survival**, 392. See also, Graham Allison and Philip Zelikow, **Essence of Decision: Explaining the Cuban Missile Crisis**, 2nd ed. (NY: Longman, 1999), 78-80; Aleksandr Fursenko and Timothy Naftali, **One Hell of a Gamble: Khrushchev, Castro, and Kennedy, 1958-1964**. (NY: Norton, 1997), 222-23, 252-53; Zubok and Pleshakov, **Inside the Kremlin's Cold War**, 266.

(14) Trevor Wilson, **The Myriad Faces of War: Britain and the Great War, 1914-1918** (Cambridge, UK: Polity Press, 1988), 341; Ernest D. Swinton, **Eyewitness: Being Personal Reminiscences of Certain Phases of the Great War, Including the Genesis of the Tank** (Garden City, NY: Doubleday, Doran, 1933), chap. 12. See also B.H. Liddell Hart, **The Real War: 1914-1918**(Boston: Little Brown, 1930), 249, 255; B.H. Liddell Hart, **The Tanks: The History of the Royal Tank Regiment and its Predecessors, Heavey Branch, Machine-Gun Corps, 1914-1945** (London: Cassel, 1959), 1:3, 1:47, 1:53-56.

(15) Ken Alibek with Stephen Handyman, **Biohazard: The Chilling True Story of the Largest Covert Biological Weapons Program in the World, Told from the Inside by the Man Who Ran It** (NY: Dell, 2000);

Jeanne Guillemain, **Anthrax: The Investigation of a Deadly Outbreak** (Berkeley: University of California Press, 1999); Matthew Meselson et al., "The Sverdlovsk Anthrax Outbreak of 1979," **Science**, November 18, 1994, 1202-8; Judith Miller, Stephen Engelbert, and William Broad, **Germs: Biological Weapons and America's Secret War** (NY: Simon and Schuster, 2001).

(16) Quoted in Bullock, **Hitler**, 329. See also ibid., chap.6; Ian Kershaw, **The "Hitler Myth": Image and Reality in the Third Reich** (NY: Oxford University Press, 1989), chap.5 ; Ian Kershaw, **Hitler: 1889-1936; Hubris** (NY: Norton, 1999), chap. 11-12; Ian Kershaw, **Hitler: 1936-45; Nemesis** (NY: Norton, 2000), chap. 1; Mihalka, German Strategic Deception".

(17) Quoted in Joachim C. Fest, **Hitler**, trans. Richard and Clara Winston (NY: Harcourt Brace Jovanovitch, 1974), 556.

(18) Tsuyoshi Hasegawa, **Racing the Enemy: Stalin, Truman, and the Surrender of Japan** (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2005), 108. See also 33, 39, 46-47, 56, 86, 91-93,190-91.

(19) Richard M. Nixon, Six Crises (Garden City, NY: Doubleday, 1962), 353-57; James P. Pfiffner, **The Character Factor: How We Judge America's Presidents** (College Station: Texas A&M University Press, 2004), 22, 24.

(20) Powell, **Other Side of the Story**, 225-32.

(21) Marc Trachtenberg, **A Constructed Peace: The Making of the European Settlement, 1945-1963** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1999), appendix 2. Also available online at http://www.sscnet.ucla.edu/polisci/faculty/trachtenberg/appendices/appendixII.html.

(22) Norman Rich, **Friedrich von Holstein, Politics and Diplomacy in the Era of Bismarck and Wilhelm 11** (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1965), 2:745. See also ibid., 2:678-745; David G. Hermann, **The Arming of Europe and the Making of the First World War** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1996) cap. 2; Gerhard Ritter, **The Schlieffen Plan: Critique of a Myth, trans. Andrew and Eva Wilson** (Westport, CT: Greenwood, 1979), 96-128; L. C. F. Turner, Origins of the First World War (NY: Norton, 1970), 2-5.

يبــدو أن الأزمــة المغربية هي الحالة الوحيدة المعروفة عن تهديــد لفظي فارغ من أجل أغراض قسرية.

Glenn H. Snyder and Paul Diesing, **Conflict among Nations: `Bargaining, Decision Making, and System Stryctyre in International Crises** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1977), 213-16.

(23) Bob Woodward, "Gaddafi Target of Secret US Deception Plan" **Washington Post**, October 2, 198;. See also Gerald M. Boyd, " The Administration Denies Planting Reports in the US", **New York Times**, October 3,1986; Leslie H. Gelb, "Administration is Accused of Deceiving Press in Libya," **New York Times**, October 3, 1986; Alex S. Jones, Initial Report on Libyan Plots Stirred Skepticism," **New York Times**, October 3, 1986; Jeffery T. Michelson, "Planning to Deceive : How the Defence Department Practices the Fine Art and of Making Friends and Influencing People," **Bulletin of the Atomic Scientists** 59, no.2 (March/April 2003): 67-68.

(24) بعد أن ناقش المشكلات الناتجة من البعد الإستراتيجي النووي، كتب هنري كيسنجر «إجابة أصدقائنا في حلف الناتو بالنســبة إلى الوضع الذي وصفته هو المطالبة بمزيد من الضمانات والتأكيــدات على الالتزام الأمريكي العســكري. وقد جلســت حول طاولــة مجلس الناتو في بروكســل وأماكن أخرى، وتحدثت بالكلمات الســحرية التــي كان لها فعل مطمئن ومريح، مــما مكن الــوزراء من العودة إلى بلادهم ولديهم مبررات بعدم زيادة الإنفاق العســكري. وقــد كرر الذين خلفوني في المنصب التطمينات نفســها، ولكن إن كان تحليلي صحيحا، فإن تلك الكلمات غير حقيقية، وكذلك فإن علينا أن نواجه حقيقة أنها حالة ســخيفة حين نبني إستراتيجية الغرب كله على مصداقية التهديد بانتحار متبادل».

"NATO: The Next Thirty Years," **Atlantic Community Quarterly** 17, no.4 (Winter 1979/1980): 468. See also Dana H. Allin, **Cold War Illusion: America, Europe, and Soviet Power, 1969-1989** (NY: St.Martin's, 1994), chap. 4; Robert S. McNamara, "The Military Role of Nuclear Weapons: Perceptions and Misperceptions," **Foreign Affairs**, Fall 1983, 79.

(25) William Carr, **The Origins of the Wars of German Unification** (London: Longman, 1991), 144-203; F. Darmstaedter, **Bismarck and the Creation of the Second Reich** (NY: Russell&Russell, 1965), 351-63; Lothar Gall, **Bismarck: The White Revolutionary**, trans. J. A. Underwood (Boston: Allen &Unwin, 1986) 1:346-59; W.N. Medilcott, **Bismarck and Modern Germany** (NY: Harper&Row, 1968), 78-84; Otto Pflanze, **Bismarck and the Development of Germany: The Period of Unification, 1815-1871** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1973), chap. 18.

(26) Barbra Demick, "Intelligence Fiasco Stirs Up to the Korean Peninsula," **Los Angeles Times**, March 24, 2005; Dafna Linzer, "US Misled Allies about Nuclear Export," **Washington Post**, March 20, 2005.

(27) Dwight D Eisenhower, **Waging Peace, 1956-1961: The White House Years** (Garden City, NY: Doubleday, 1965), 546. See also James Bamford, **Body of Secrets: Anatomy of the Ultra-Secret National Security Agency; From the Cold War through the Dawn of a New Century** (NY: Doubleday, 2001); Michael R. Beschloss, **MAYDAY: Eisenhower,**

Khrushchev and the U-2 Affair (NY: Harper&Row, 1986); Ted Galen Carpenter, **The Captive Press: Foreign Policy Crises and the First Amendment** (Washington, DC: Cato Institute, 1995), 55-56; David Wise and Thomas B. Ross, **The U-2 Affair** (NY: Random House, 1962).

(28) Quoted in Benny Morris, **Righteous Victims: A History of the Zionist-Arab Conflict, 1881-1999** (NY: Knopf, 1999), 281-82. See also, Joel Benin, **The Dispersion of Egyptian Jewry: Culture, Politics, And the Formation of A Modern Diaspora** (Berkeley: University of California Press, 1998), 19-20,31-32, 90-117; Dan Raviv and Yossi Melman, **Every Spy a Prince: The Complete History of Israel's Intelligence Community** (Boston: Houghton Mifflin, 1990), 54-61; Livia Roach, **Israel's Sacred Terrorism: A Study Based on Mosh Sharett's Personal Diary and Other Documents, 2nd ed**. (Belmont, MA: Association of Arab-American University Graduates, 1982), 38-42; Shabtai Teeth, **Ben-Gurion's Spy: The Story of the Political Scandal That Shaped Modern Israel** (NY: Columbia University Press, 1966).

(29) Quoted in Anthony Cave Brown, **Bodyguard of Lies**, (NY: Harper & Row, 1975), 10. See also Thaddeus Holt, **The Deceivers: Allied Military Deception in the Second World War** (NY: Skyhorse, 2007); Philip Knightley, **The First Casualty: From Crimea to Vietnam; The War Correspondent As Hero, Propagandist, and Myth Maker** (NY: Harcourt Brace Jovanovitch, 1975); Michael Howard, **Strategic Deception in the Second World World** (NY: Norton 1995); Harold D. Lasswell, **Propaganda Technique in the World War** (NY: Knopf, 1927); J. C. Mastermind, **The Double-Cross System in the War of 1939 to 1945** (New Haven, CT: Yale University Press, 1972); Arthur Ponsonby, **Falsehood in War-Time, Containing an Assortment of Lies Circulated throughout the Nations during the Great War** (NY: Dutton, 1928); Evelin Sullivan, **The Concise Book of Lying** (NY: Farrar, Straus and Giroux, 2001), 229-53.

(30) Quoted in Warren F. Kimball, **The Juggler: Franklin Roosevelt as Wartime Statesmen** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1991), 7.

(31) من المهم تأكيد أن الجيوش تعتمد - بشــكل أســاس في عملها - على قول الحقيقة داخل الجيــش، لأن الصدق عنصر أســاس في تحقيــق الانتصار في ميدان المعركــة. ولكي ينجح الجيش في عمله، فلا بد أن تكون جميع رتبه واثقة كامل الثقة بصدق وصحة المعلومات التي تصلهم من رؤســائهم أو مرؤوســيهم على حد ســواء. ويترتب على عدم الصدق، أن يخــوض الجيش معركته اســتنادا إلى معلومات مغلوطة، مما ســيؤدي إلى ارتفاع كبير في احتمالات الهزيمة بالإضافة إلى وقوع إصابات من دون داع. ولذلك نجد مؤسســات مثل وســت بوينت تضع وزنا كبيرا لميثاق الشرف. وفي حين أنه لا مكان للخداع في المؤسســة

العســكرية، فإنــه من المتوقــع أن الجيوش المتنافســة تعي عادة خــداع بعضها لبعض، خصوصا في وقت الحرب.

(32) Thomas C. Schelling, **The Strategy of Conflict** (London: Oxford University Press, 1970), 23, 33. See also Thomas C. Schelling, "Game Theory and the Study of Ethical Systems," **Journal of Conflict Resolution** 12, no.1 (March 1968):34-44.

(33) على الرغم من أن المتعارف عليه أن الخداع يمارس بشــكل اعتيادي في منظمات العمل، فإن أحد الباحثين يرى أنه يمارس بصورة «أقل مما يشاع».

Chris Provis, "Ethics, Deception and labor Negotiation," **Journal of Business Ethics 28**, no.2 (Novemebr 2000): 145-58.

(34) المنطق نفسه يفسر لماذا لا يكشف لاعبو البوكر كل أوراقهم، بعد خدعة ناجحة، فإن فعلوا فمن الأرجح ألا تنجح الحيلة ذاتها مرة أخرى.

(35) وفق التحليل الوافي والتفصيلي لمورافيســك عن المفاوضــات بين الدول الأوروبية، فلا يوجد دليل واضح على الكذب بين الدول التي أوجدت الاتحاد الأوروبي.

The Choice for Europe: Social Purpose and State Power from Messina to Maastricht (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1998).

ومع أن مورافيسك لا يذكر مباشرة سبب غياب الكذب في الحقبة التاريخية التي درسها وفحصها، لكن يبدو بشكل واضح أن الدول الأوروبية المعنية هنا قد جاءت لطاولة المفاوضات عندما : أولا، كان هنــاك تداخــل كبير بين أولوياتهم. وثانيا، كانوا كلهم يعلمون - بشــكل واضح - الاتفاقــات الممكنة، والأولويات الوطنية، والخيارات المؤسســية. وثالثا، كانوا كلهم مقتنعين بأن اتفاقا كهذا ســيقود إلى «مصالح مشــتركة». ولم يكن الكذب فقط صعبا في أجواء تتوافر فيها المعلومات بوضوح، ولكن الكذب في تلك الأجواء كان ســيبدو سخيفا ولا معنى له، لأن أي ســلوك مخادع كان بإمكانه أن يعيق الاتفاق، «وهي نتيجة كانت ســتؤدي إلى الإضرار بمصالح الجميع».

(Ibid., 61, 481-85)

(36) Anthee Carassava, "Greece Admits Faking Data to join Europe," **New York Times**, September 23, 2004; Daniel Howden and Stephen Castle, "Greece Admits Deficit Figures Were Fudged to Secure Euro Entry," **Independent**, November 16, 2004; Helena Smith and Larry Elliot, "EU Raps Greece over Deficit," Guardian, December 2, 2004.

(37) Trachtenberg, **Constructed Peace**, 122-22. See also James McAllister, **No Exit: America and the German Problem, 1943-1954** (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2002), 225.

(38) McCallister, **No Exit**, 234. See also minutes of National Security Council Meeting, December 10, 1953, in **Foreign Relations of the United States**, 1952-1954 (Washington, DC: Government Printing Office, 1983), 2:450-51.

(39) Ponsonby, **Falsehood in War-Time**, 19.

(40) Charles Horton Cooley, **Human Nature and the Social Order**, rev. ed. (NY: Scribner's Sons, 1922), 388.

الفصل الرابع

(1) James Chace, Acheson: **The Secretary of State Who Created the American World** (NY:Simon and Schuster, 1998), chap. 16.

(2) Quoted in Michael Hirsh, "Bernard Lewis Revisited," **Washington Monthly**, November 2004.

(3) من أفضل المصادر حول حادثة «غرير» (Greer)، انظر:

Robert Dallek, **Franklin D. Roosevelt and American Foreign Policy, 1932-1945** (NY: Oxford University Press, 1979), 285-88; Waldo Heinrichs, **Threshold of War: Franklin D. Roosevelt and American Entry into World War II** (NY: Oxford University Press, 1989), 166-68; David M. Kennedy, **Freedom from Fear: The American People in Depression and War, 1929-1945** (NY: Oxford University Press, 1999), 497-99; William L. Langer and S Everett Gleason, **The Undeclared War: 1940-1941**; (Gloucester, MA: Smith, 1968), 742-50; David Reynolds. **The Creation of the Anglo-American Alliance, 1937-1941: A Study in Competitive Cooperation** (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1982), chap.8; John M. Schuessler, " The Deception Dividend: FDR's Undeclared , **International Security** 34,no.4 (Spring 2010): 133-65.

(4) As Robert Divine notes, "The submarine commander, far from being guilty of an unprovoked assault, had turned in desperation on his pursuer in an effort to escape destruction." **The Reluctant Belligerent: American Entry into World War 2** (NY: Wiley, 1967), 143.

(5) كل الاقتباسات في هذه الفقرة والفقرة التالية من:

Dallek, **Roosevelt and American Foreign Policy**, 285-88; see also Langer and Gleason, **Undeclared War**, 744-46.

(6) من أفضل المصادر حول حادثة خليج تونكين:

Eric Alderman, **When Presidents Lie: A History of Official Deception and Its Consequences** (NY: Viking, 2004) chap. 4; Joseph C Goulden, **Truth is the First Casualty: The Gulf of Tonkin Affair, Illusion and Reality** (Chicago: Rand McNally, 1969); Robert J Hanyok, "Skunks, Bogies, Silent Hounds, and the Flying Fish: The Gulf of Tonkin Mystery, 2-4 August 1964," **Cryptologic Quarterly** 19 and 20, not. 4 and 1 (Winter 2000 and

Spring 2001). 1-55; David Kaiser, **American Tragedy: Kennedy, Johnson, and the Origins of the Vietnam War** (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2000), chap.11; Fredrik Logevall, **Choosing War: The Lost Chance for Peace and the Escalation of War in Vietnam** (Berkeley: University of California Press, 1999), chap. 7; H.R. McMaster, **Dereliction of Duty: Lyndon Johnson, Robert McNamara, the Joint Chiefs of Staff, and the Lies the Led to Vietnam** (NY: HarperCollins, 1997), chap.6; Edwin E. Moise, Tonkin Gulf and the Escalation of the Vietnam War (Chapel Hill: University of North California Press, 1996); Gareth Porter, **Perils of Dominance: Imbalance of Power and the Road to War in Vietnam** (Berkeley: University of California Press, 2005), chap.6.

(7) Alterman, **When Presidents Lie**, 204-5.

(8) Alterman, **When Presidents Lie**, 193.

وهذه كلمات ألترمان.

(9) Goulden, **First Casualty**, 50.

(10) Hanyok Skunks 21-49; Moïse, **Tonkin Gulf**, 206-10, 241-43. See also Alterman, **When Presidents Lie**, 186-90.

(11) Logevall, **Choosing War**, 198. These are Logevall's words. See also Porter, **Perils of Dominance**, 196-98.

(12) Kaiser, **American Tragedy**, 335-36.

(13) Moïse, **Tonkin Gulf**, 243.

هذه كلمات مويس، ومن الجلي الآن أنه لم يحدث هجوم على مادوكس في 4 أغسطس 1964.

Hanyok,(skunks),3.

(14) Moïse, Tonkin Gulf, 243.

(15) هذه هي الكلمات التي استخدمها ماكنمارا ووزير الخارجية دين رسك عند الإدلاء بإفاداتهما أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب في السادس من أغسطس.

Logevall, **Choosing War**, 203.

ولمزيد من الملاحظات المشابهة الرئيس جونسون وأعضاء حكومته، انظر المرجع السابق.

198-99; and McMaster, **Dereliction of Duty**, 133-35.

(16) Michael R. Beschloss, **Taking Charge: The Johnson White House Tapes, 1963-1964** (NY: Simon and Schuster, 1997), 494-95; Hanyok "Skunks", 5-12; Logevall, **Choosing War**, 201; McMaster, **Dereliction of Duty**, 121-30; Moïse, **Tonkin Gulf**, 99-105, 228-29, 239-41.

(17) See Lotgeval, **Choosing War**, 199-203; Moïse, **Tonkin Gulf**, 99-105.

(18) Alterman, **When Presidents Lie**, 205; Logevall, **Choosing War**, 203.

من الممكن القول إن حكومة الرئيس جونسون أطلقت كذبة ثالثة مرتبطة بحادثة خليج تونكين؛ فقــد ادعى الرئيس ومستشــاروه الرئيســيون طوال العام 1964 وبدايــات العام 1965 أنه لم تكــن لهم نيــة، وبالتالي لا توجد خطط، لتصعيد الحرب في فيتنام. بل إن جونســون ظل يطرح نفســه على أنه مرشح الســلام في حملته لانتخابات الرئاسة في العام 1964 ضد باري غولدووتر. ولكن طوال هذه الفترة، كان جونســون يضع الخطط لتوسعة الحرب، كما اتضح من سلوكه في حادثة خليج تونكين. ولمزيد من النقاش حول الموضوع انظر:

Alterman, **When Presidents Lie**, chap.4; Kaiser, **American Tragedy**, chap.11; Logevall, **Choosing War**, 193-221, 242-253, 314-15; Deborah Shapley, **Promise and Power: The Life and Times of Robert McNamara** (Boston: Little Brown, 1993), 304-5.

(19) Eric Schmidt, "Rumsfeld says US Has "bulletproof" Evidence of Iraq's Links to Al Qaeda," **New York Times**, September 28, 2002.

(20) Thomas Shanker, "Rumsfeld Sees Lack of Proof for Qaeda-Hussein Link," **New York Times**, October 5, 2004.

(21) اقتباسات باول من مقال:

Richard Cohen, "Powellian Propaganda?" **Washington Post**, February 13, 2003; **Iraq on the Record: The Bush Administration's Public Statements on Iraq**, Report prepared for Congressman Henry A. Waxman by the Minority Staff, Committee on Government Reform, US House of Representatives, March 16, 2004, 23; Transcript of Secretary Powell's Press Conference, january 8, 2004. See also Derrick Z. Jackson, "Powell's Shrinking Credibility on Iraq," **Boston Globe**, January 14. 2004; Christopher Marquis, "Powell Admits No hard Proof in Linking Iraq to Al Qaeda," **New York Times**, January 9, 2004.

(22) Spencer Ackerman and John Judis, "Deception and Democracy: The Selling of the Iraq War," **New Republic**, June 30, 2003, 18; Douglas Jehl, " Report Warned Bush Team about Intelligence Doubts", **New York Times**, November 6, 2005; Mark Mazzetti, "CIA said to find no Hussein Link to terror Chief" **New York Times**, September 9, 2006; John Prados, "Phase II: Loaded for Bear," TomPaine.com, November 10, 2005; Senate Select Committee on Intelligence, **Postwar Findings about Iraq's WMD Programs and Links to Terrorism and How they Compare with the Prewar Assessments**, 109th Cong., 2d sees., September 8, 2006, 60-112; Jonathan Weisman, Iraq's Alleged Al-Qaeda Ties Were Disputed Before War", **Washington Post,** September 9, 2006.

(23) Walter Pincus and Dana Milbank, “Al Qaeda -Hussein Link is Dismissed,” **Washington Post**, June 17, 2004.

(24) Bob Woodward, **Plan of Attack** (NY: Simon and Schuster, 2004), 173.

(25) على سبيل المثال، قال جورج تينت، مدير المخابرات المركزية خلال فترة التحضير للحرب، في خطاب له في الخامس من فبراير 2004: «كنا نعتقد أن العراق لديه أسلحة بيولوجية مدمرة بما في ذلك آنثراكس، والتي بالإمكان بســهولة تحميلها على قنابل أو صواريخ أو عن طريق الــرش الجوي أو عمليات سرية. ولكننا قلنا إننا لم تكن لدينا معلومات محددة عن أنواع أو كميات تلك الأسلحة المتوافرة تحت تصرف بغداد».
للحصول على نص الخطاب انظر:

“Tenet Defends Assessments of Iraqi Weapons,” **New York Times**, February 5, 2004.

كذلك فقد أفادت هيئة الاســتخبارات العسكرية في ســبتمبر 2002 بأنه «لا يوجد دليل قاطع أو مباشر على وجود مخزون من الأسلحة البيولوجية أو الكيميائية أو مصانع لإنتاجها»، انظر:

Joseph Cirincione’s comments in **Conference Call Briefing on Iraq’s Weapons** (Washington, DC: Arms Control Association, February 3, 2004). See also **Iraq on the Record,** 15-16; Walter Pincus and Dana Priest, “Bush, Aides Ignored CIA Caveats on Iraq,” **Washington Post**, February 7, 2004; Senate Select Committee on Intelligence, **Postwar Findings about Iraq’s WMD Programs**, 26-43.

(26) **Iraq on the Record**, 7.

(27) Jackson, “Powell’s Shrinking Credibility".

(28) See Joseph Cirincione, Jessica Tuchman Mathews, and George Perkovich, **WMD in Iraq: Evidence and Implications** (Carnegie Endowment Report, January 2004), 86.

(29) Ibid., 18, 95.

(30) Ibid., **WMD in Iraq, 20; Iraq on the Record**, 16.

(31) Cirincione, Matthews, and Perkovitch, **WMD in Iraq**, 21.

(32) See Pincus and Priest, "Bush, Aides Ignored CIA Caveats"; **Iraq on the Record,** 10-13; Senate Select Committee on Intelligence, **Postwar Findings about Iraq’s WMD Programs,** 17-21; Murray Waas, “What Bush Was Told about Iraq,” **National Journal**, March 2, 2006.

(33) See Ackerman “Deception and Democracy”, 15; Cirincione, Mathews, and Perkovich, **WMD in Iraq**, 21-28; Senate Select Committee on Intelligence, **Postwar Findings about Iraq’s WMD Programs**, 10-26; “Tenet Defends Assessments of Iraqi Weapons”; Greg Thielman’s comments in “Conference Call Briefing on Iraq’s Weapons”; **Iraq on the Record**, 7-15.

(34) See Ronald Brownstein, “Support of US Military Role in Mideast Grows,” **Los Angeles Times**, April 5, 2003; The Gallup Organisation, **Approval for Handling of War in Iraq Jumps**, Poll Analysis, December 19, 2003; Adam Nagourney and Jane Elder, “Growing Number in US Back War, Survey Finds,” **New York Times**, March 11, 2003; Tom Zeller, “The Iraq-Qaeda Link: A Short History,” **New York Times**, June 20, 2004; Tom Zeller, “ Making a Simple Link of Faith,” **New York Times**, March 2, 2003.

وجدت إحدى مؤسسـات اسـتطلاع الرأي – على الأقل – في سـبتمبر 2003، أي بعد سـنتين من سـقوط البرجين، وسـتة أشهر تقريبا بعد حرب العراق، أن «سـبعة من كل عشرة أمريكيين يعتقدون أن صدام كان له دور في الهجمات»، انظر:

Dana Milbank and Claudia Deane, “Hussein Link to 9/11 Lingers in Many Minds,” **Washington Post**, September 6, 2003.

(35) See “Cheney: No Link between Saddam Hussein, 9/11,” CNN.cm, June 1,2009 http://www.cnn.com/2009/politics/QI/Cheneg.Speech/; Rebbeca Christie, “US Rumsfeld Concedes No WMDs or September 11 ties in Iraq,” **Dow Jones Newswires**, September 17, 2004; Cirincione, Mathews, and Perkovitch, **WMD in Iraq**, 44; Milibank and Deane, “Hussein Link to 9/11 Lingers”; Greg Miller, “No Proof Connects Iraq to 9/11, Bush says,” **Los Angeles Times**, September 18, 2003; Paul Reynolds, “Rumsfeld Weakens a Pillar of War,” **BBC News Online**, October 5, 2004 http://news.bbc.co.uk/2/hi/americos/3717024.stm; David E. Sanger, “Bush Reports No Evidence of Hussein Tie to 9/11,” **New York Times**, September 18, 2003; Susan Walsh, “Rumsfeld Sees No Links between saddam Hussein, 9/11,” **USA Today**, September 16, 2003.

ورد في مقـال نـشر في مجلة «ناشـيونال» أنه «بعد عـشرة أيام من هجمات 11 سـبتمبر 2001 الإرهابيـة على برجي التجارة ومبنى البنتاغون، جرى إبلاغ الرئيس بوش في إفادة سرية بأن المخابرات الأمريكية ليسـت لديها أدلة تربط النظام العراقي (صدام حسـين) بالاعتداءات، وأن الأدلة على جهود تنسيقية بين العراق والقاعدة كانت غير مؤكدة، وذلك وفق السجلات الحكومية ومسؤولين حاليين وسابقين لديهم اطلاع مباشر على الموضوع».

Murray Waas, “Key Bush Intelligence Briefing Kept from Hill Panel,” **National journal**, November 22, 2005.

(36) نص إفادة وزير الدفاع دونالد رامسـفيلد أمام لجنة مجلس الشـيوخ للخدمات العسكرية حول العراق، 19 سبتمبر 2002.

(37) رسـالة من الرئيس إلى رئيـس مجلس النواب والرئيس المؤقت لمجلس الشـيوخ، 18 مارس 2003.

(38) “Bush Makes Historic Speech aboard Warship,” CNN.com, May 1, 2003 http://www.cnn.com/2003/us/05/01/bush.Transcript/. http://www.cnn.com/2003/us/05/01/bush.transcript/ See also Jim Gutenberg and Sheryl Gay Stolberg, “Bush Says G.O.P. Rebels are Putting Nation at Risk,” **New**

York Times, September 16, 2006; David E. Sanger and Robert Toner, "Bush and Cheney talk Strongly of Qaeda Links with Hussein," **New York Times**, June 18, 2004.

(39) **New York Times**, "What the Bush Administration Said," June 20, 2004; Christopher Scheer, Robert Scheer, Lakshmi Chaudhry, **The Five Biggest Lies Bush Told Us About Iraq** (NY: Seven Stories, 2003), 42.

(40) كذبــة أخرى خدمت الغرض نفســه تمثلت في ادعــاء الرئيس بوش، والــذي أكده في ثلاث مناســبات مختلفة، أن صدام حســين رفض دخول مفتشي الأمم المتحدة إلى العراق في العام 2002. وبناء عليه، فإنه لم يملك أي خيار إلا بإزالة الرئيس العراقي من السلطة، انظر:

Joe Chanson, "Saddam Chose to Deny Inspectors," **Salon**, March 31, 2006,

http://www.salon.com/news/opinion/joe_conason/2006/03/31.bush_lies.

وطبعا سمح صدام للمفتشين بالدخول إلى العراق ومنحهم حرية حركة كاملة للبحث عن أسلحة الدمار الشــامل، بيد أن بوش سحبهم قبل أن ينهوا مهمتهم، ثم قام بغزو العراق. وللاطلاع عــلى عرض ممتاز للخداع الذي مارســته حكومــة الرئيس بوش خلال فــترة التحضير لغزو العراق انظر:

David Corn, "Can the 'Bush Lied' Deniers Handle the Truth?" **Politics Daily**, March 17, 2010,

http://www.politicsdaily.com/2010/03/17/can_the_lied_deniers_handle_the_truth/

David Corn, "Charges and Countercharges: Did Bush Knowingly Mislead the US into War with Iraq?" **Politics Daily**, March 30, 2010.

http://www.politicsdaily.com/2010/03/30/a_long_war_d:d_bush_knowingly_mislead_the_u_s_into_iraq/.

(41) Woodward, **Plan of Attack**, 296; Brian Knowlton, "Diplomacy Won't Be Given Months," **New York Times**, January 31, 2003. See also Bush's comments in Scheer, Scheer, and Chaudhry, **Five Biggest Lies**, 80.

(42) Scheer, Scheer, and Chaudhry, **Five Biggest Lies**, 80.

(43) Nicholas Lemann, "How it came to war; When Did Bush Decide That He Had to Fight Saddam?" **New Yorker**. March 31, 2003. See also, Richard N. Haass, War of Necessity, **War of Choice: A Memoir of Two Iraq Wars** (NY: Simon and Schuster, 2009), 4-6.

(44) Times (London), "The Secret Downing Street Memo," May 1, 2005. See also Michael Smith, "The Real News in the Downing Street Memos," **Los Angeles Times**, June 23, 2005.

(45) Woodward, **Plan of Attack**, 269-74.

للمزيـد من الأدلة عـلى أن الرئيس بوش اتخذ قرار الحرب قبل نهايـة يناير 2003، انظر المرجع السابق 95، 113، 115، 20-119، 169، 178. وكذلك، هناك أدلة في الإعلام خلال العام 2002 على أن حكومة بوش كانت قد قررت إزاحة صدام بالقوة، انظر على سبيل المثال:

John Walcott and Mark Danner, "The Secret Way to War: An Exchange," **New York Review of Books**, July 14, 2005, 48-49.

(46) مـن المفيـد ملاحظة أنه في هـذه الحالة نجد حكومة بوش تسـتخدم أسـلوب إثارة الذعر، بالإضافة إلى الكذب بين الدول، مما يذكرنا بأنه الكذب عينه، ولكنه موجه إلى جماهير مختلفة.

(47) من أجل نقاش واف حول ما يدعو القادة إلى التهوين من شأن التهديدات، انظر:

A. Trevor Thrall and Jane K. Cramer, ads., **American Foreign Policy and the Politics of Fear: Threat Inflation since** 9/11 (NY: Rutledge, 2009)

(48) Steven Casey "Selling NSC-68: The Truman Administration, Public Opinion, and the Politics of Mobilization, 1950-51," **Diplomatic History** 29, no.4 (September 2005): 655 – 90.

كان خطاب إدارة الرئيس ترومان في الواقع مثيرا للحذر إلى درجة «الخوف من أن تزيد سـخونة المزاج العام، مما يقلل من حرية المسؤولين في المناورة، وربما يدفعهم نحو سياسات راديكالية خطيرة» (المرجع السابق، 661)، انظر أيضا:

Nancy E. Bernhard, **US Television News and Cold War Propaganda, 1947-1960** (NY: Cambridge University Press, 1999); Campbell Craig and Fredrik Logevall, **America's Cold War: The Politics of Insecurity** (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2009).

(49) Leslie Gelb with Jeanne-Palima Zelmati, "Mission Unaccomplished," **Democracy**, no. 13 (Summer 2009):24.

(50) الموجز الكلاسيكي ضد وثائق الكونفيدرالية:

Alexander Hamilton, James Madison and John Jay, **The Federalist Papers**, ed. Isaac Kramnik (Harmondsworth, UK: Penguin books, 1987), 145-84.

للاطلاع على نقد لآلية صناعة السياسات وفق الدستور الأمريكي، انظر:

Theodore J. Lowi, "Making Democracy Safe for the World: National Politics and Foreign Policy," in James N. Rosenau, ed., **Domestic Sources of Foreign Policy** (NY: Free Press, 1967), 295-331. Theodore J. Lowi, **The End of Liberalism: The Second Republic of the United States**, 2nd ed. (NY: Norton, 1979); E.E. Schattschneider, **The Semisovereign People: A Realist's View of Democracy in America** (Fort Worth, TX: Harcourt Brace Jovanovic, 1975). See also, Michael Crozier, Samuel P. Huntington, and Joji Watanuki, **The Crisis of Democracy: Report on the Governability of Democracies to the Trilateral Commission**, Triangle

Papers 8 (NY: New York University Press, 1975); David Donald's essay, "Died of Democracy," in David Donald, ed., **Why the North Won the Civil War** (NY: Collier Books, 1962) 79-90.
حيث يجادل بأن الجنوب خسر الحرب الأهلية لأنه كان ديموقراطيا أكثر من اللازم.

(51) Alterman, **When Presidents Lie**, 210.

(52) Richard Cohen, "A War without Winners," **Washington Post**, Novemebr 3, 2005.

(53) James Burnham, **Suicide of the West: An Essay on the Meaning of Destiny of Liberalism** (New Rochelle, NY: Arlington House, 1964); Donald Kagan and Fredrick W. Kagan, **While America Sleeps: Self-Delusion, Military Weakness, and the Threat to Peace Today** (NY: St. Martin's, 2000); Donald Kagan, **On the Origins of War and the Preservation of Peace** (NY: Doubleday, 1995), 572-73; Robert G. Kaufman, "To Balance or to Bandwagon? Alignment Decisions in the 1930s Europe," Security Studies 1, no.3 (Spring 1992): 417-47; Norman Podhoretz, **The Present Danger: Do We Have the Will to Reverse the Decline of American Power?** (NY: Simon and Schuster, 1980); Jean-Francois Revel, **How Democracies Perish**, trans. William Byron (Garden City, NY: Doubleday, 1984).

(54) Quoted in Ronald Bailey, "Origins of the Specious: Why Do Conservatives Doubt Darwin?" **Reason**, July 1997.

(55) Walter Lippmann, "Why Should the Majority Rule?" in Clinton Rossiter and James Lare, eds., **The Essential Lippmann: A Political Philosophy for Liberal Democracy** (NY: Random House, 1963), 6-14; Walter Lippmann, **The Phantom Public** (NY: Macmillan, 1927); Walter Lippmann, **Public Opinion** (NY: Free Press, 1965).

(56) Ian Kershaw, **The "Hitler Myth": Image and Reality in the Third Reich** (NY: Oxford University Press, 1989), 3.

(57) القــوى الكبرى التي تتصرف كموازنات من الخارج (Offshore) هي دول جُزرية (معزولة) (Insular) وليست دولا قارية (Continental)، انظر:

John J. Mearsheimer, **The Tragedy of Great Power Politics** (NY: Norton, 2001), 126-28. On the "stopping power of water," see ibid., 114-28.

(58) Michael Walzer, **Just and Unjust Wars: A Moral Argument with Historical Illustrations**, 3rd ed. (NY: Basic Books, 2000), 74-85.
كما يلاحظ جون شوســلر، فإن دوافع القادة لخداع شــعوبهم ســتكون أكــبر إذا كانوا يتوقعون استمرار ودموية الحرب الوقائية.

("The Deception Dividend," 135-142).

وبالطبع، فإن حكومة بوش قد توقعت انتصارا سهلا وسريعا في العراق.

(59) يقدم مبدأ بوش، والذي وضعت أسسه في العام 2002، تبريرا لغزو العراق، حيث عرض الحجج لخوض الحروب الاستباقية ضد التهديدات المتوقعة، بيد أنه في واقع الحال، كانت حكومة بوش تخطط لحروب استباقية ضد العراق ودول أخرى في الشرق الأوسط قبل ذلك، انظر:

The National Security Strategy of the United States of America (Washington, DC: White House, September 2002); Remarks by the President to the Graduating Class, West Point (White House, Office of the Press Secretary, June, 2002).

الفصل الخامس

(1) Ian Ousby, **The Road to Verdun: World War I's Most Momentous Battle and the Folly of Nationalism** (NY: Anchor Books, 2003), 299. See also, **New York Times**, "French Army Chief May Go," December 7, 1916; Robert A. Doughty, **Pyrrhic Victory: French Strategy and Operations in the Great War** (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2005), chaps. 5-6; Walter Duranty, "Joffre-Gallieni Dispute Bared, **New York Times**, August 21, 1919; Walter Duranty, " Joffre Ousted by Intrigues," **New York Times**, August 23, 1919; David Dutton, " The Fall of General Joffre: An Episode in the Politico-Military Struggle in Wartime France," **Journal of Strategic Studies** 19, no.3 (December 1978): 338-51; Jere Clemens King, **Generals and Politicians: Conflict Between France's High Command, Parliament, and Government, 1914-1918** (Berkeley: University of California Press, 1951), chaps. 5-6; Harold D. Lasswel, **Propaganda Technique in the World War** (NY: Knopf, 1927), 39-40; Walter Lippmann, **Public Opinion** (NY: Free Press, 1965), chaps. 1-2' David Mason, verdun (Moreton-in-Marsh, UK: Windrush, 2000), 9-12, 23-27, 133-37, 182, 190-91; Gordon Wright, **Raymond Poincare and the French Presidency** (Stanford, CA: Stanford University Press, 1942), 193-98.

(2) Michael Bar-Zohar, **Ben-Gurion: A Biography**, trans. Peretz Kidron (NY: Delacorte, 1978), 203-6; Benny Morris, **Israel's Border Wars, 1949-1956: Arab Infiltration, Israeli Retaliation, and the Countdown to the Suez War**, rev.ed. (Oxford: Clarendon Press, 1997), chap. 8; Benny Morris, **Righteous Victims: A History of the Zionist-Arab Conflict, 1881-1999** (NY: Knopf, 1999), 278-79; Avi Shlaim, **The Iron Wall: Israel and the Arab World** (NY: Norton, 2000), 90-93.

(3) Quoted in Morris, **Israel's Border Wars**, 259.

(4) Shlaim, **Iron Wall**, 91.

(5) Bar-Zohar, **Ben-Gurion**, 205.

(6) Morris, **Righteous Victims**, 278-79.

(7) Graham Allison and Philipn Zelikow, **Essence of Decision: Explaining the Cuban Missile Crisis**, 2nd ed. (NY: Longman 1999), 356-66; McGeorge Bundy, **Danger and Survival** (New York: Random House, 1988), 427-39, 445; Michael Dobbs, **One Minute to Midnight: Kennedy, Khrushchev, and Castro on the Brink of Nuclear War** (NY: Knopf, 2008), 199-201, 231-36, 257, 270-71, 288-93, 305-38 Aleksandr Fursenko and Timothy Naftali, **On Hell of a Gamble: Khrushchev, Castro, and Kennedy, 1958-1964** (NY: Norton, 1997), 249-50, 266-67, 275-89, 293-94, 300,321-24, 352.

(8) E.H. Carr, **German-Soviet Relations between the Two World Wars, 1919-1939** (Baltimore: Johns Hopkins Press, 1951), chaps. 3-4; Hans W. Gatzke, **Stresemann and Rearmament of Germany** (NY: Norton, 1969), chaps. 4-5; George W. F. Hallgarten, "General Hans von Seeckt and Russia, 1920-1922" **Journal of Modern History 21,** no.1 (March 1949): 28-34; Gustav Hilger and Alfred G. Meyer, **The Incompatible Allies: A Memoir-History of German-Soviet Relations, 1918-1941** (NY: Macmillan, 1953); Vasilis Vourkoutiotis, **Making Common Cause: German-Soviet Relations, 1919-22** (NY: Palgrave Macmillan, 2007).

(9) Caroline Elkins, **Imperial Reckoning: The Untold Story of Britain's Gulag in Kenya** (NY: Holt, 2005), chaps. 9-10.

(10) Martin Fackler, "Japanese Split on Exposing Secret Pacts with US," **New York Times**, February 9, 2010; John M. Glionna. Japan's Secret Pact with US Spurs Debate," **Los Angeles Times**, January 17, 2010; Robert A. Wampler, ed., "Nuclear Noh Drama: Tokyo, Washington and the Case of the Missing Nuclear Agreements," **The National Security Archive**, October 13, 2009, http://www.gwu.sed/nsarchiv/nukevault/ebb291/index.htm

(11) مـن الممكـن القول إن إخفـاء العجز هو أكثر احتـمالا في البلد الديموقراطـي، لأن القادة محاسـبون من قبل شـعوبهم، وقد يعاقبون إن اكتشف عجزهم وفشـلهم. وفي حين أنني أقر بصحة هذه المقولة، بيد أن كذبا من هذا النوع يحدث عادة لدوافع أنانية وشـخصية، وليس للمصلحة العامة للبلد. وبعبارة أخرى، فإن ذلك يعتبر من التستر أو التغطية الشنيعة كما أشرت سـابقا، وهي أنواع مـن الكذب التي تقع خارج إطار هـذا الكتاب. وكذلك من الممكن القول أيضا بعكس ذلك: حيث إنه قد تكون هناك حاجة أقل للتسـتر على الأخطاء في الديموقراطيـات، لأن الديموقراطيات يكون أداؤها أفضل في الاختيارات الإسـتراتيجية من الدول غير الديموقراطية، انظر:

David A. Lake, "Powerful Pacifists: Democratic States and War," **American Political Science Review 86,** no.1 (March 1992): 24-37; Dan Reiter and Allan C. Stam, **Democracies at War** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2002).

بيد أن المراجعة الدقيقة للمنطق والأدلة وراء هذا الادعاء لا تدل على وجود فروقات ذات قيمة تذكـر بين قدرة الديموقراطيات أو غير الديموقراطيات على اتخاذ قرارات حصيفة في مضمار السياسة الخارجية، انظر:

Michael C. Desch, **Power and Military Effectiveness: The Fallacy of Democratic Triumphalism** (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 2008): Alexander B. Downes, "How Smart and Tough Are Democracies? Reassessing Theories of Democratic Victory in War," **International Security 33**, no.4 (Spring 2009): 9-51; Sebastian Rosato, "The Flawed Logic of democratic Peace Theory," **American Political Science Review 97**, no.4 (Novemebr 2003): 585-602.

الفصل السادس

(1) ولكـن هذا لا يعني أن المقولات الأساسـية عن ماضي دولة ما هي ليسـت إلا مجموعة من الأساطير، حيث من الممكن أن تتضمن روايات حقيقية.

(2) Stephen van Evera, "Hypotheses on Nationalism and War," International Security 18, no.4 (Spring 1994):27.

(3) Ernest Renan, "What is a Nation?" in Geoff Eley and Ronald Grigor Suny, eds., **Becoming National: A Reader** (NY: Oxford University Press, 1996), 45.

(4) Dominique Moisi, "France Is Haunted by an Inability to Confront its Past," **Financial Times**, December 12, 2005.

(5) يرى فان إيفيرا أن «الأساطير القومية قد تساعد النخب الضعيفة في فرض سيطرتها».

(Hypotheses on Nationalism and War," 30).

ومع صحة ذلك، فإن الأكاذيب الأنانية من هذا النوع هي خارج نطاق هذا الكتاب.

(6) أفضل ما كتب حول هذا الموضوع:

Ronald Smelser and Edward J Davies II, **The Myth of the Eastern Front: The Nazi-Soviet War in American Popular Culture** (NY: Cambridge University Press, 2008). See also Omer Bartov, **Germany's War and the Holocaust: Disputed Histories** (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2003); Paula Bradish, **Crimes of the German Wehrmacht: Dimensions of a War of Annihilation, 1941-1944**. exhibition brochure (Hamburg, Germany: Hamburg Institute for Social Research, 2004); Norbert Frei, **Adenauer's Germany and the Nazi Past: The Politics of Amnesty and Intergration,** trans. Joel Golb (NY: Columbia University Press,

2002); Hannes Heer and Klaus Naumann, eds., **War of Extermination: The German Military in World War II, 1941-1944** (NY:Berghahn Books,2000); John J. Mearsheimer, **Liddell Hart and the Weight of History** (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1988), 178-201; Alaric Searle, **Wehrmacht Generals, West German Society, and the Debate on Rearmament, 1949-1959** (Westport, CT: Praeger, 2003); Wolfram Wette, **The Wehrmacht: History, Myth, Reality**, trans. Deborah Lucas Schneider (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2006), chap.5.

(7) Christopher Simpson, **Blowback: America's Recruitment of Nazis and Its Effects on the Cold War** (NY: Collier Books, 1989), 158.

(8) حول أسطورة لماذا ترك الفلسطينيون ديارهم، انظر:

Erskine Childers, "The Other Exodus," **Spectator**, May 12, 1961; Simha Flapan, **The Birth of Israel: Myths and Reality** (NY: Pantheon Books, 1987), 81-118; Walid Khalidi, "Why Did the Palestinians Leave, Revisited," **Journal of Palestine Studies 34,** no.2 (Winter 2005): 42-54; Walid Khalidi, "The Fall of Haifa," **Middle East Forum 35**, no.10 (December 1959): 22-32; Benny Morris, **The Birth of the Palestinian Refugee Problem Revisited**, 2nd ed. (NY: Cambridge University Press, 2004); Ilan Pappe, **The Ethnic Cleansing of Palestine** (Oxford: Oneworld, 2006), 131.

ولتحليل أساطير أخرى، انظر:

Flapan, **Birth of Israel;** Norman G. Finkelstein, **Image and Reality of the Israel-Palestine Conflict** (London: Verso, 1995); John J. Mearsheimer and Stephen M. Walt, **The Israel Lobby and US Foreign Policy** (NY: Ferrar, Straus, and Giroux, 2007), chap. 3; Benny Morris, **Righteous Victims: A History of the Zionist-Arab Conflict, 1881-1999** (NY: Knopf, 1999); Tom Segev, **One Palestine, Complete: Jews and Arabs under the British Mandate**, trans. Him Watzman (NY: Holt, 2001); Avi Shlaim, **The Iron Wall: Israel and the Arab World** (NY: Norton,2000); Zeev Sternhell, **The Founding Myths of Israel: Nationalism, Socialism, and the Making of the Jewish State**, trans. David Maisel (Princeton, NJ: Princeton University Press,1998).

(9) Van Evera, "Hypotheses on Nationalism and War," ٢٩.

الفصل السابع

(1) Alexander B. Downes, **Targeting Civilians in War** (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2008), 3.

(2) Robert A. Pape, **Bombing to Win: Air Power and Coercion in War** (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1966), chap.4.

(3) Quoted in Tim Weiner, " Robert S. McNamara, Architect of Futile War, Dies at 93," **New York Times**, July 6, 2009.

(4) UNICEF, "Iraq Surveys Show Humanitarian Emergency" **Information Newsline**, August 12, 1999. http://www.unicef.org/newsline/99pr29.htm; Biswajit Sen, Iraq Watching Briefs: Overview Report, UNICEF, July 2003, http://www.unicef.org/evaldatabase/files/Iraq_2003_Watching_Briefs.pdf.

البعض يجادل بأن عدد الوفيات 500 ألف هو رقم عال جدا، انظر على سبيل المثال:

David Cortright, "A Hard Look at Iraq Sanctions," **Nation**, December 3, 2001; Mat Welch, "The Politics of Dead Children," **Reason**, March 2002, http://reason.com/archives/2002/03/01/the_politics_of_dead_children.

أيا كان الرقم الصحيح، فإن ديفيد ريف في الأغلب على حق حين كتب أن «المسـؤولين الأمريكيين قد يختلفون حول الأرقام، غير أن هناك قليلا من الشـك حول أن مئات الآلاف من الأطفال، على الأقل، قد قضوا قبل عيد ميلادهم الخامس».

("Were Sanctions Right?" **New York Times Magazine**, July 27, 2003).

(5) Benjamin A. Valentino, **Final Solutions: Mass Killings and Genocide in the Twentieth Century** (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2004), 73-75, 91-117.

في نقاشـه للدور الإجرامي لهتلر في الهولوكوسـت، يلاحظ فالنتينو أنه «حتى لو جُمع جزء بسيط ممن ماتوا خلال المجاعة تحت حكم سـتالين وماو، فإن كلا منهما سيكون مسؤولا عن عدد أكبر من ضحايا هتلر، وربما أكبر بكثير».

(6) P.M.H. Bell, **John Bull and the Bear: British Public Opinion, Foreign Policy, and the Soviet Union, 1941-1945** (London:Arnold, 1990); Martin H. Folly, **Churchill, Whitehall, and the Soviet Union, 1940-1945** (NY: St.Martin;s,2000); John Lewis Gaddis, **The United States and the Origins of the Cold War, 1941-1947** (NY:Columbia University Press, 1972), chap.2; Ralph B. Levering, **American Opinion and the Russian Alliance, 1939-1945** (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1976), chaps.3-5; Ido Oren, "The Subjectivity of the 'Democratic' Peace: Changing US Perceptions of Imperial Germany", **International Security 20,** no.2 (Fall 1995): 181-182; Ronald Smelser and Edward J. Davies II, **The Myth of the Eastern Front: The Nazi-Soviet War in American Popular Culture** (NY: Cambridge University Press, 2008), chap.1.

(7) قتل الاتحاد السـوفييتي نحو 22 ألف بولندي بين أبريل ومايو 1940، وقد دفن 4400 منهم تقريبا في غابة كاتين، أما بقية الضحايا فقد قُتلوا ودُفنوا في مواقع أخرى.

George Sanford, **Katyn and the Soviet Massacre of 1940: Truth, Justice, and Memory** (NY: Rutledge, 2005), 1.

من بين أفضل المصادر حول كاتين وكيف كانت ردود فعل تشرشل وروزفلت، انظر:

Bell, **John Bull**, chap.4; Allen Paul, **Katyn: The Untold Story of Stalin's Polish Massacre** (NY: Scribner's, 1991), chap.22; Sanford, **Katyn and the Soviet Massacre**, chaps. 6-7; Victor Zaslvsky, **Class Cleansing: The Katyn Massacre, trans. Kisser Walker** (NY: Telos, 2008), chap.5.

(8) Quoted in Paul, **Katyn**, 303.

(9) Bell, **John Bull**, 119.

حول جهود حكومة روزفلت للتغطية على مسؤولية السوفييت عما حدث في غابة كاتين، انظر:

Paul, Katyn, 306-15, Sanford, **Katyn and the Soviet Massacre**, 159-66.

(10) الاقتباسات في هذه الفقرة من:

Allan Bullock, **Hitler, a Study in Tyranny,** rev. ed. (NY: Harper&Row, 1964), 546-47. See also Joachim C. Fest, **Hitler**, trans. Richard and Clara Winston (NY: Harcourt Brace Jovanovich, 1974), 598-600; Bradley Lightbody, **The Second World War: Ambitions and Nemesis** (NY: Rutledge, 2004), 39.

(11) Max Hastings, **Bomber Campaign: Churchill's Epic Campaign** (NY: Simon and Schuster, 1989), 171. See also Stephen A. Garrett, **Ethics and Airpower in World War II: The British Bombing of German Cities** (NY: St. Martin's, ١٩٩٣), ٣٠-٣٧.

(12) David Bamber, "Ben Laden: Yes, I Did It," **Daily Telegraph**, November 11, 2001; Peter L. Bergen, **The Osama bin Laden I know: An Oral History of Al-Qaeda's Leader** (NY: Free Press, 2006), 321-22; Bruce Lawrence, ed., **Messages to the World: The Statements of Osama bin Laden,** trans. James Howarth(London: Verso, 2005), 140-41.

(13) Michael Walzer, **Just and Unjust Wars: A Moral Argument with Historical Illustrations** 3rd ed. (NY: Basic Books, 2000), 19.

الفصل الثامن

(1) للنقاش حول تكاليف الكذب على المجتمع، انظر:

Evelin Sullivan, **The Concise Book of Lying** (NY: Farrar, Straus and Giroux, 2001), 55-147.

(2) Francis Fukuyama, **Trust: The Social Virtues and The Creation of Prosperity** (NY: Free Press, 1995); Luigi Guiso, Paola Sapiens, Luigi Zingales, "The Role of Social Capital in Financial Development" (working paper 7563, National Bureau of Economic Research, February 2000); Marc J. Hetherington, **Why Trust Matters: Declining Political Trust and the Demise of American Liberalism** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2005); Stephen Knack and Philip Keefer, "Does Social Capital Have an Economic Payoff? A Cross-Country Investigation," **Quarterly Journal of Economics** 112, no.4 (November 1997): 1251-88; Rafael La Porta et al,' "Trust in Large Organisations," **American Economic Review** 87, no.2 (May 1997): 333-38; Robert D. Putnam, **Making Democracy Work: Civic Traditions in Modern Italy** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1993); Charles Tilly, **Trust and Rule** (NY: Cambridge University Press, 2005).

(3) "Transcript of Special Counsel Fitzgerald's Press Conference," **Washington Post**, October 28, 2005. The best book about the Libby case is Michael Isikoff and david Corn, **Hubris: The Inside Story of Spin, Scandal, and the Selling of the Iraq War** (NY: Crown, 2006)

(4) Ken Armstrong and Steve Mills, " Death Row Justice Derailed," **Chicago**

Tribune, November 14, 1999; Ken Armstrong and Steve Mills, "Inept Defenses Cloud Verdict," **Chicago Tribune**, November 15, 1999; Ken Armstrong and Steve Mills, "The Jailhouse Informant", Chicago Tribune, Novemebr 16, 1999; Ken Armstrong and Steve Mills, " A Tortured Path to Death Row", **Chicago Tribune**, November 17, 1999; Ken Armstrong and Steve Mills, "Convicted by a Hair," **Chicago Tribune**, November 18, 1999; Martha Irvine, Illinois Governor Orders Death Penalty Moratorium," Associated Press, January 31, 2000; Barry James, : Cleaning of Illinois Death Row Is Greeted With Global Cheers," **New York Times**, January 14, 2003; Paul M. Krawazak, "Ryan Explains Moratorium Call," Copely News Service, January 31, 2000; Robert E. Pierre and Kary Lydersen, "Illinois Death Row Emptied," **Washington Post**, January 12, 2003.

(5) Dwight D. Eisenhower, **Waging Peace, 1956-1961: The White House Years** (Garden City, NY: Doubleday, 1965),chap.23; Peter Lyon, **Eisenhower: Portrait of the Hero** (Boston: Little Brown, 1974), 859-66.

(6) See Andrew T. Guzman, **How International Law Works: A Rational Choice Theory** (NY: Oxford University Press 2008), especially chap.3.

(7) تـرى آن سـارتوري أن «الـدول تميـل إلى المخادعـة، أو التمويه، ولكن الدولـة التي تضبط متلبسـة بالكذب تكتسـب سـمعة بممارسـة الكذب، وبالتالي فإن خصومها يصبحون أقل قابليـة لتصديقهـا في المسـتقبل». وبالتالي فإن الـدول لا تخدع ولا تكذب خشـية التأثير السـلبي في سـمعتها، وأثر ذلك في إمكانات التعاون المسـتقبلي. «احتمال اكتساب سمعة الكذب - والتقليل من مصداقية الدولة الديبلوماسية - قد يؤدي إلى أن يتصرف السياسيون والديبلوماسيون بأمانة وصدق، باستثناء الحالات التي يكون فيها الكذب مغريا جدا»، انظر:

Deterrence by Diplomacy (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2005),5.

اتفق أن لسمعة الدولة أهمية كبيرة في محيط السياسات الدنيا؛ مما يؤدي إلى التقليل من الكذب، ولكـن خلافا لما ذهبت إليه سـارتوري، فإننـي لا أظن وجود أهمية للسـمعة حين يجري التعامل مع قضايا السياسات العليا، انظر:

Daryl G. Press, Calculating Credibility: How Leaders Assess Military Threats (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2005).

(8) ولكن كما أوضح جون شوسـلر، فقد أدى خداع روزفلـت خلال التحضير للحرب ضد اليابان إلى إعاقته بطرق مختلفة.

"The Deception Dividend," **International Security** 34,no.4 (Spring 2010): 162-63. See also Thomas J. Christensen, **Useful Adversaries: Grand Strategy, Domestic Mobilisation, and Sino-American Conflict, 1947-1958** (Princeton, NJ: Princeton University Press 1995).

(9) George Orwell, **Orwell and Politics: Animal Farm in the Context of Essays, Reviews and Letters Selected from the Complete Works of George Orwell,** ed. Peter Davison (London: Penguin, 2001), 357.

كـما كتب أورويل أن «الوطنيين لا يعترضون على انتهـاكات ترتكبها جماعتهم، بل لديهم قدرات فائقة لتجاهل تلك الانتهاكات».

(10) Richard E. Neustadt, **Presidential Power: The Politics of Leadership** (NY: New American Library, 1964), 134.

(11) Kennedy P.M "The Decline of Nationalistic History in the West, 1900-1970," **Journal of Contemporary History** 8, no.1 (January 1973): 77-100; Stephen Van Evera, "Primed for Peace: Europe after the Cold War," **International Security** 15, no.3 (Winter 1990/1991): 23-35; Stephen Van Evera, "Hypotheses on Nationalism and War," **International Security** 18, no.4 (Spring 1994). See also Holger H. Herwig, "Clio Deceived: Patriotic Self-Censorship in Germany after the Great War," **International Security** 12, no.2 (Fall 1987): 5-44.

(12) Dale C. Copeland, **The Origins of major War** (Ithaca,NY: Cornell University Press, 2000), chaps. 3-4; John J. Mearsheimer, The Tragedy of Great Power Politics (NY: Norton 2001), 181-90.

(13) John J. Mearsheimer and Stephen M. Walt, **The Israel Lobby and the US Foreign Policy** (NY: Farrar, Straus, and Giroux, 2007), 92097.

(14) الأدبيات التي تؤكد على البعدين الوطني والواقعي لسياسة بسمارك الخارجية بين 1862 و1870 هي:

Lothar Gall, **Bismarck: The White Revolutionary**, trans. J.A. Underwood (Boston: Allen&Unwin, 1986); Bruce Waller, Bismarck, 2nd ed. (Oxford: Blackwell, 1997), chaps.2-4; Otto Pflanze, **Bismarck and the Development of Germany: The Period of Unification, 1815-1871** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1973).

الفصل التاسع

(1) Minxin Pei, **China's Trapped Tradition: The Limits to Developmental Autocracy** (Cambridge University Press, 2006).

المؤلف في سطور

جون جي. ميرشيمر

■ يُعَد البروفيسور جون ميرشيمر، أستاذ العلوم السياسية في جامعة شيكاغو الأمريكية، أحد أبرز الباحثين الأمريكيين في السياسة الخارجية، وله عدة كتب منها: «مأساة السياسة في الدولة العظمى»، و«اللوبي الإسرائيلي وسياسة أمريكا الخارجية»، والذي ترجم إلى أكثر من 19 لغة، وأثار جدلا واسعا لموضوعيته في بحث مسألة حسّاسة مثل العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية، وربما كان هو الذي دفع اللوبي الإسرائيلي إلى إصدار كتاب مضاد بعنوان «اللوبي العربي».

المترجم في سطور

د. غانم حمد النجار

■ بروفيسور العلوم السياسية في جامعة الكويت.

■ رئيس الصندوق العربي لحقوق الإنسان، ومقره بيروت.

■ مؤسس ورئيس مركز السلام للدراسات التنموية والإستراتيجية ومقره الكويت، كما أسس مركز الدراسات الإستراتيجية والمستقبلية في جامعة الكويت.

■ شغل منصب الخبير المستقل لحقوق الإنسان في الصومال لمدة 8 سنوات ممثلا للأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي أنان، كما انتُخب في هيئة الخبراء الدولية للأمم المتحدة في العام 2005، وهو مستشار للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكسو)، ورئيس اللجنة التنظيمية لعقد مؤتمر المانحين لدعم التعليم في الصومال، وهو مفوض دولي سابق في اللجنة الدولية للحقوقيين ومقرها جنيف، ورئيس مؤسسة الخليج للتنمية ومقرها لاهاي - هولندا.

■ شارك وترأس العديد من لجان التحقيق وتقصي الحقائق الدولية في العديد من الدول كباكستان والعراق والصومال ومصر والبحرين وأفغانستان وغيرها، وحصل على الجائزة الدولية في حقوق الإنسان في نيويورك في ديسمبر

1991، كما حاضر في العديد من الجامعات، وكان أســتاذا زائرا في العديد من الجامعات كجامعة هارفارد في كلية القانون - برنامج حقوق الإنســان، كذلك هو عضو هيئة تحريــر لعدة مجلات علمية عالمية، وله العديد من المؤلفات المنشــورة، كما أن لديه مساهمات إعلامية في أجهزة الإعلام، وهو حاليا كاتب صحافي في جريدة «الجريدة» اليومية في الكويت.

سلسلة عالم المعرفة

«عالم المعرفة» سلسلة كتب ثقافية تصدر في مطلع كل شهر ميلادي عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت - وقد صدر العدد الأول منها في شهر يناير العام 1978.

تهدف هذه السلسلة إلى تزويد القارئ بمادة جيدة من الثقافة تغطي جميع فروع المعرفة ، وكذلك ربطه بأحدث التيارات الفكرية والثقافية المعاصرة . ومن الموضوعات التي تعالجها تأليفا وترجمة :

1 - الدراسات الإنسانية : تاريخ ـ فلسفة - أدب الرحلات - الدراسات الحضارية - تاريخ الأفكار.

2 - العلوم الاجتماعية : اجتماع - اقتصاد - سياسة - علم نفس - جغرافيا - تخطيط - دراسات استراتيجية - مستقبليات.

3 - الدراسات الأدبية واللغوية : الأدب العربي - الآداب العالمية - علم اللغة .

4 - الدراسات الفنية : علم الجمال وفلسفة الفن - المسرح - الموسيقى - الفنون التشكيلية والفنون الشعبية.

5 - الدراسات العلمية : تاريخ العلم وفلسفته ، تبسيط العلوم الطبيعية (فيزياء ، كيمياء ، علم الحياة ، فلك) ـ الرياضيات التطبيقية (مع الاهتمام بالجوانب الإنسانية لهذه العلوم) ، والدراسات التكنولوجية.

أما بالنسبة إلى نشر الأعمال الإبداعية ـ المترجمة أو المؤلفة ـ من شعر وقصة ومسرحية ، وكذلك الأعمال المتعلقة بشخصية واحدة بعينها فهذا أمر غير وارد في الوقت الحالي.

وتحرص سلسلة «عالم المعرفة» على أن تكون الأعمال المترجمة حديثة النشر.

وترحب السلسلة باقتراحات التأليف والترجمة المقدمة من المتخصصين ، على ألا يزيد حجمها على 350 صفحة من القطع المتوسط ، وأن تكون مصحوبة بنبذة وافية عن الكتاب وموضوعاته وأهميته ومدى جدته. وفي حالة الترجمة ترسل نسخة

مصورة من الكتاب بلغته الأصلية، كما ترفق مذكرة بالفكرة العامة للكتاب، وكذلك يجب أن تدوّن أرقام صفحات الكتاب الأصلي المقابلة للنص المترجم على جانب الصفحة المترجمة، والسلسلة لا يمكنها النظر في أي ترجمة ما لم تكن مستوفية لهذا الشرط. والمجلس غير ملزم بإعادة المخطوطات والكتب الأجنبية في حالة الاعتذار عن عدم نشرها. وفي جميع الحالات ينبغي إرفاق سيرة ذاتية لمقترح الكتاب تتضمن البيانات الرئيسية عن نشاطه العلمي السابق.

وفي حال الموافقة والتعاقد على الموضوع ـ المؤلف أو المترجم ـ تصرف مكافأة للمؤلف مقدارها ألفا دينار كويتي، وللمترجم مكافأة بمعدل ثلاثين فلسا عن الكلمة الواحدة في النص الأجنبي، (وبحد أقصى مقداره ألفان وخمسمائة دينار كويتي).

صدر عن هذه السلسلة

١ـ الحضارة	تأليف: د/ حسين مؤنس	ينـاير ١٩٧٨
٢ـ اتجاهات الشعر العربي المعاصر	تأليف: د/ إحسان عباس	فبراير ١٩٧٨
٣ـ التفكير العلمي	تأليف: د/ فؤاد زكريا	مارس ١٩٧٨
٤ـ الولايات المتحدة والمشرق العربي	تأليف: / أحمد عبدالرحيم مصطفى	أبريل ١٩٧٨
٥ـ العلم ومشكلات الإنسان المعاصر	تأليف: د/ زهير الكرمي	مايو ١٩٧٨
٦ـ الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها	تأليف: د/ عزت حجازي	يونيو ١٩٧٨
٧ـ الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية	تأليف: / محمد عزيز شكري	يوليو ١٩٧٨
٨ـ تراث الإسلام (الجزء الأول)	ترجمة: د/ زهير السمهوري تحقيق وتعليق: د/ شاكر مصطفى مراجعة: د/ فؤاد زكريا	أغسطس ١٩٧٨
٩ـ أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة	تأليف: د/ نايف خرما	سبتمبر ١٩٧٨
١٠ـ جحا العربي	تأليف: د/ محمد رجب النجار	أكتوبر ١٩٧٨
١١ـ تراث الإسلام (الجزء الثاني)	ترجمة: { د/ حسين مؤنس د/ إحسان العمد } مراجعة: د/ فؤاد زكريا	نوفمبر ١٩٧٨
١٢ـ تراث الإسلام (الجزء الثالث)	ترجمة: { د. حسين مؤنس د/ إحسان العمد } مراجعة: د/ فؤاد زكريا	ديسمبر ١٩٧٨
١٣ـ الملاحة وعلوم البحار عند العرب	تأليف: د/ أنور عبدالعليم	يناير ١٩٧٩
١٤ـ جمالية الفن العربي	تأليف: د/ عفيف بهنسي	فبراير ١٩٧٩
١٥ـ الإنسان الحائر بين العلم والخرافة	تأليف: د/ عبدالمحسن صالح	مارس ١٩٧٩
١٦ـ النفط والمشكلات المعاصرة للتنمية العربية	تأليف: د/ محمود عبدالفضيل	أبريل ١٩٧٩
١٧ـ الكون والثقوب السوداء	إعداد: رؤوف وصفي مراجعة: د/ زهير الكرمي	مايو ١٩٧٩
١٨ـ الكوميديا والتراجيديا	ترجمة: د/ علي أحمد محمود مراجعة: { د/ شوقي السكري د/ علي الراعي }	يونيو ١٩٧٩
١٩ـ المخرج في المسرح المعاصر	تأليف: سعد أردش	يوليو ١٩٧٩

٢٠ـ التفكير المستقيم والتفكير الأعوج	ترجمة: حسن سعيد الكرمي مراجعة: صدقي حطاب	أغسطس ١٩٧٩
٢١ـ مشكلة إنتاج الغذاء في الوطن العربي	تأليف : د / محمد على الفرا	سبتمبر ١٩٧٩
٢٢ـ البيئة ومشكلاتها	تأليف : { رشيد الحمد د/ محمد سعيد صباريني	أكتوبر ١٩٧٩
٢٣ـ الرق	تأليف: د/ عبدالسلام الترمانيني	نوفمبر ١٩٧٩
٢٤ـ الإبداع في الفن والعلم	تأليف: د / حسن أحمد عيسى	ديسمبر ١٩٧٩
٢٥ـ المسرح في الوطن العربي	تأليف: د / علي الراعي	ينـاير ١٩٨٠
٢٦ـ مصر وفلسطين	تأليف: د / عواطف عبدالرحمن	فبرايـر ١٩٨٠
٢٧ـ العلاج النفسي الحديث	تأليف: د / عبدالستار ابراهيم	مـارس ١٩٨٠
٢٨ـ أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي	ترجمة: شوقي جلال	أبريـل ١٩٨٠
٢٩ـ العرب والتحدي	تأليف: د/ محمد عماره	مـايـو ١٩٨٠
٣٠ـ العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة	تأليف: د / عزت قرني	يونيـو ١٩٨٠
٣١ـ الموشحات الأندلسية	تأليف: د / محمد زكريا عناني	يوليـو ١٩٨٠
٣٢ـ تكنولوجيا السلوك الإنساني	ترجمة: د / عبدالقادر يوسف مراجعة: د / رجا الدريني	أغسطس ١٩٨٠
٣٣ـ الإنسان والثروات المعدنية	تأليف: د/ محمد فتحي عوض الله	سبتمبر ١٩٨٠
٣٤ـ قضايا أفريقية	تأليف: د/ محمد عبدالغني سعودي	أكتوبر ١٩٨٠
٣٥ـ تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي (١٩٣٠ـ ١٩٧٠)	تأليف: د/ محمد جابر الأنصاري	نوفمبر ١٩٨٠
٣٦ـ الحب في التراث العربي	تأليف: د / محمد حسن عبد الله	ديسمبر ١٩٨٠
٣٧ـ المساجد	تأليف: د / حسين مؤنس	ينايـر ١٩٨١
٣٨ـ تكنولوجيا الطاقة البديلة	تأليف: د/ سعود يوسف عياش	فبرايـر ١٩٨١
٣٩ـ ارتقاء الإنسان	ترجمة: د / موفق شخاشيرو مراجعة: د / زهير الكرمي	مـارس ١٩٨١
٤٠ـ الرواية الروسية في القرن التاسع عشر	تأليف: د/ مكارم الغمري	أبـريل ١٩٨١
٤١ـ الشعر في السودان	تأليف: د / عبده بدوي	مـايـو ١٩٨١
٤٢ـ دور المشروعات العامة في التنمية الاقتصادية	تأليف: د / علي خليفة الكواري	يونيـو ١٩٨١
٤٣ ـ الإسلام في الصين	تأليف: فهمي هويدي	يولـيو ١٩٨١
٤٤ ـ اتجاهات نظرية في علم الاجتماع	تأليف: د. عبد الباسط عبد المعطي	أغسطس ١٩٨١

٤٥ـ حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي	تأليف: د/ محمد رجب النجار	سبتمبر ١٩٨١
٤٦ـ دعوة إلى الموسيقا	تأليف: د/ يوسف السيسي	أكتوبر ١٩٨١
٤٧ـ فكرة القانون	ترجمة: سليم الصويص مراجعة: سليم بسيسو	نوفمبر ١٩٨١
٤٨ـ التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان	تأليف: د/ عبدالمحسن صالح	ديسمبر ١٩٨١
٤٩ـ صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي	تأليف: صلاح الدين حافظ	يناير ١٩٨٢
٥٠ـ التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية	تأليف: د/ محمد عبدالسلام	فبراير ١٩٨٢
٥١ـ السينما في الوطن العربي	تأليف: جان ألكسان	مارس ١٩٨٢
٥٢ـ النفط والعلاقات الدولية	تأليف: د/ محمد الرميحي	أبريل ١٩٨٢
٥٣ـ البدائية	ترجمة: د/ محمد عصفور	مايو ١٩٨٢
٥٤ـ الحشرات الناقلة للأمراض	تأليف: د/ جليل أبو الحب	يونيو ١٩٨٢
٥٥ـ العالم بعد مائتي عام	ترجمة: شوقي جلال	يوليو ١٩٨٢
٥٦ـ الإدمان	تأليف: د/ عادل الدمرداش	أغسطس ١٩٨٢
٥٧ـ البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية	تأليف: د/ أسامة عبدالرحمن	سبتمبر ١٩٨٢
٥٨ـ الوجودية	ترجمة: د/ إمام عبدالفتاح	أكتوبر ١٩٨٢
٥٩ـ العرب أمام تحديات التكنولوجيا	تأليف: د/ انطونيوس كرم	نوفمبر ١٩٨٢
٦٠ـ الأيديولوجية الصهيونية (الجزء الأول)	تأليف: د/ عبدالوهاب المسيري	ديسمبر ١٩٨٢
٦١ـ الأيديولوجية الصهيونية (الجزء الثاني)	تأليف: د/ عبدالوهاب المسيري	يناير ١٩٨٣
٦٢ـ حكمة الغرب (الجزء الأول)	ترجمة: د/ فؤاد زكريا	فبراير ١٩٨٣
٦٣ـ الإسلام والاقتصاد	تأليف: د/ عبدالهادي علي النجار	مارس ١٩٨٣
٦٤ـ صناعة الجوع (خرافة الندرة)	ترجمة: أحمد حسان عبدالواحد	إبريل ١٩٨٣
٦٥ـ مدخل إلى تاريخ الموسيقا المغربية	تأليف: عبدالعزيز بن عبد الجليل	مايو ١٩٨٣
٦٦ـ الإسلام والشعر	تأليف: د/ سامي مكي العاني	يونيو ١٩٨٣
٦٧ـ بنو الإنسان	ترجمة: زهير الكرمي	يوليو ١٩٨٣
٦٨ـ الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية	تأليف: د/ محمد موفاكو	أغسطس ١٩٨٣
٦٩ـ ظاهرة العلم الحديث	تأليف: د/ عبدالله العمر	سبتمبر ١٩٨٣
٧٠ـ نظريات التعلم (دراسة مقارنة) (القسم االأول)	ترجمة: د/ علي حسين حجاج مراجعة: د/ عطيه محمود هنا	أكتوبر ١٩٨٣
٧١ـ الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي	تأليف: د/ عبدالمالك خلف التميمي	نوفمبر ١٩٨٣
٧٢ـ حكمة الغرب (الجزء الثاني)	ترجمة: د/ فؤاد زكريا	ديسمبر ١٩٨٣

٧٣ـ التخطيط للتقدم الاقتصادي والاجتماعي	تأليف: د/ مجيد مسعود	يناير ١٩٨٤
٧٤ـ مشاريع الاستيطان اليهودي	تأليف: أمين عبدالله محمود	فبراير ١٩٨٤
٧٥ـ التصوير والحياة	تأليف: د/ محمد نبهان سويلم	مارس ١٩٨٤
٧٦ـ الموت في الفكر الغربي	ترجمة: كامل يوسف حسين مراجعة: د/ إمام عبدالفتاح	أبريل ١٩٨٤
٧٧ـ الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا	تأليف: د/ أحمد عتمان	مايو ١٩٨٤
٧٨ـ قضايا التبعية الإعلامية والثقافية	تأليف: د/ عواطف عبدالرحمن	يونيو ١٩٨٤
٧٩ـ مفاهيم قرآنية	تأليف: د/ محمد أحمد خلف الله	يوليو ١٩٨٤
٨٠ـ الزواج عند العرب (في الجاهلية والإسلام)	تأليف: د/ عبدالسلام الترمانيني	أغسطس ١٩٨٤
٨١ ـ الأدب اليوغسلافي المعاصر	تأليف: د/ جمال الدين سيد محمد	سبتمبر ١٩٨٤
٨٢ ـ تشكيل العقل الحديث	ترجمة: شوقي جلال مراجعة: صدقي حطاب	أكتوبر ١٩٨٤
٨٣ ـ البيولوجيا ومصير الإنسان	تأليف: د/ سعيد الحفار	نوفمبر ١٩٨٤
٨٤ ـ المشكلة السكانية وخرافة المالتوسية	تأليف: د/ رمزي زكي	ديسمبر ١٩٨٤
٨٥ ـ دول مجلس التعاون الخليجي ومستويات العمل الدولية	تأليف: د/ بدرية العوضي	يناير ١٩٨٥
٨٦ ـ الإنسان وعلم النفس	تأليف: د/ عبدالستار إبراهيم	فبراير ١٩٨٥
٨٧ ـ في تراثنا العربي الإسلامي	تأليف: د/ توفيق الطويل	مارس ١٩٨٥
٨٨ ـ الميكروبات والإنسان	ترجمة: د/ عزت شعلان مراجعة: د/ عبدالرزاق العدواني، د/ سمير رضوان	أبريل ١٩٨٥
٨٩ ـ الإسلام وحقوق الإنسان	تأليف: د/ محمد عماره	مايو ١٩٨٥
٩٠ ـ الغرب والعالم (القسم الأول)	تأليف: كافين رايلي ترجمة: د/ عبدالوهاب المسيري، د/ هدى حجازي مراجعة: د/ فؤاد زكريا	يونيو ١٩٨٥
٩١ ـ تربية اليسر وتخلف التنمية	تأليف: د/ عبدالعزيز الجلال	يوليو ١٩٨٥
٩٢ ـ عقول المستقبل	ترجمة: د/ لطفي فطيم	أغسطس ١٩٨٥
٩٣ ـ لغة الكيمياء عند الكائنات الحية	تأليف: د/ أحمد مدحت إسلام	سبتمبر ١٩٨٥
٩٤ ـ النظام الإعلامي الجديد	تأليف: د/ مصطفى المصمودي	أكتوبر ١٩٨٥

٩٥ ـ تغيّر العالم	تأليف: د/ أنور عبدالملك	نوفمبر ١٩٨٥
٩٦ ـ الصهيونية غير اليهودية	تأليف: ريجينا الشريف ترجمة: أحمد عبدالله عبدالعزيز	ديسمبر ١٩٨٥
٩٧ ـ الغرب والعالم (القسم الثاني)	تأليف: كافين رايلي ترجمة: { د/ عبدالوهاب المسيري د/ هدى حجازي مراجعة: د/ فؤاد زكريا	يناير ١٩٨٦
٩٨ ـ قصة الأنثروبولوجيا	تأليف: د/ حسين فهيم	فبراير ١٩٨٦
٩٩ ـ الأطفال مرآة المجتمع	تأليف: د/ محمد عماد الدين إسماعيل	مارس ١٩٨٦
١٠٠ ـ الوراثة والإنسان	تأليف: د/ محمد علي الربيعي	أبريل ١٩٨٦
١٠١ ـ الأدب في البرازيل	تأليف: د/ شاكر مصطفى	مايو ١٩٨٦
١٠٢ ـ الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية	تأليف: د/ رشاد الشامي	يونيو ١٩٨٦
١٠٣ ـ التنمية في دول مجلس التعاون	تأليف: د/ محمد توفيق صادق	يوليو ١٩٨٦
١٠٤ ـ العالم الثالث وتحديات البقاء	تأليف: جاك لوب ترجمة: أحمد فؤاد بلبع	أغسطس ١٩٨٦
١٠٥ ـ المسرح والتغير الاجتماعي في الخليج العربي	تأليف: د/ إبراهيم عبدالله غلوم	سبتمبر ١٩٨٦
١٠٦ ـ «المتلاعبون بالعقول»	تأليف: هربرت . أ . شيللر ترجمة: عبدالسلام رضوان	أكتوبر ١٩٨٦
١٠٧ ـ الشركات عابرة القومية	تأليف: د/ محمد السيد سعيد	نوفمبر ١٩٨٦
١٠٨ ـ نظريات التعلم (دراسة مقارنة) (الجزء الثاني)	ترجمة: د/ علي حسين حجاج مراجعة: د/ عطية محمود هنا	ديسمبر ١٩٨٦
١٠٩ ـ العملية الإبداعية في فن التصوير	تأليف: د/ شاكر عبدالحميد	يناير ١٩٨٧
١١٠ ـ مفاهيم نقدية	ترجمة: د/ محمد عصفور	فبراير ١٩٨٧
١١١ ـ قلق الموت	تأليف: د/ أحمد محمد عبدالخالق	مارس ١٩٨٧
١١٢ ـ العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث	تأليف: د/ جون . ب . ديكنسون ترجمة: شعبة الترجمة باليونسكو	أبريل ١٩٨٧
١١٣ ـ الفكر التربوي العربي الحديث	تأليف: د/ سعيد إسماعيل علي	مايو ١٩٨٧
١١٤ ـ الرياضيات في حياتنا	ترجمة: د/ فاطمة عبدالقادر الما	يونيو ١٩٨٧

١١٥ ـ معالم على طريق تحديث الفكر العربي	تأليف: د/ معن زيادة	يوليـو ١٩٨٧
١١٦ ـ أدب أميركا اللاتينية قضايا ومشكلات (القسم الأول)	تنسيق وتقديم: سيزار فرناندث مورينو ترجمة: أحمد حسان عبدالواحد مراجعة: د/ شاكر مصطفى	أغسطس ١٩٨٧
١١٧ ـ الأحزاب السياسية في العالم الثالث	تأليف: د/ أسامة الغزالي حرب	سبتمبر ١٩٨٧
١١٨ ـ التاريخ النقدي للتخلف	تأليف: د/ رمزي زكي	أكتوبر ١٩٨٧
١١٩ ـ قصيدة وصورة	تأليف: د/ عبدالغفار مكاوي	نوفمبر ١٩٨٧
١٢٠ ـ سيكولوجية اللعب	تأليف: د/ سوزانا ميلر ترجمة: د/ حسن عيسى مراجعة: د/ محمد عماد الدين إسماعيل	ديسمبر ١٩٨٧
١٢١ ـ الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم	تأليف: د/ رياض رمضان العلمي	ينـاير ١٩٨٨
١٢٢ ـ أدب أميركا اللاتينية (القسم الثاني)	تنسيق وتقديم: سيزار فرناندث مورينو ترجمة: أحمد حسان عبدالواحد مراجعة: د/ شاكر مصطفى	فبراير ١٩٨٨
١٢٣ ـ ثقافة الأطفال	تأليف: د/ هادي نعمان الهيتي	مارس ١٩٨٨
١٢٤ ـ مرض القلق	تأليف: د/ دافيد . ف . شيهان ترجمة: د/ عزت شعلان مراجعة: د/ أحمد عبدالعزيز سلامة	أبريـل ١٩٨٨
١٢٥ ـ طبيعة الحياة	تأليف: فرانسيس كريك ترجمة: د/ أحمد مستجير مراجعة: د/ عبد الحافظ حلمي	مـايو ١٩٨٨
١٢٦ ـ اللغات الأجنبية (تعليمها وتعلمها)	تأليف: { د/ نايف خرما د/ علي حجاج	يونيـو ١٩٨٨
١٢٧ ـ اقتصاديات الإسكان	تأليف: د/ إسماعيل إبراهيم درة	يوليـو ١٩٨٨
١٢٨ ـ المدينة الإسلامية	تأليف: د/ محمد عبدالستار عثمان	أغسطس ١٩٨٨
١٢٩ ـ الموسيقا الأندلسية المغربية	تأليف: عبدالعزيز بن عبدالجليل	سبتمبر ١٩٨٨
١٣٠ ـ التنبؤ الوراثي	تأليف: { د/ زولت هارسيناي ريتشارد هتون ترجمة: د/ مصطفى إبراهيم فهمي مراجعة: د/ مختار الظواهري	أكتوبر ١٩٨٨

١٣١ ـ مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام	تأليف: د/ أحمد سليم سعيدان	نوفمبر ١٩٨٨
١٣٢ ـ أوروبا والتخلف في أفريقيا	تأليف: د/ والتر رودني ترجمة: د/ أحمد القصير مراجعة: د/ إبراهيم عثمان	ديسمبر ١٩٨٨
١٣٣ ـ العالم المعاصر والصراعات الدولية	تأليف: د/ عبدالخالق عبد الله	يناير ١٩٨٩
١٣٤ ـ العلم في منظوره الجديد	تأليف: روبرت م . اغروس، جورج ن. ستانسيو ترجمة: د/ كمال خلايلي	فبراير ١٩٨٩
١٣٥ ـ العرب واليونسكو	تأليف: د/ حسن نافعة	مارس ١٩٨٩
١٣٦ ـ اليابانيون	تأليف: إدوين رايشاور ترجمة: ليلى الجبالي مراجعة: شوقي جلال	أبريل ١٩٨٩
١٣٧ ـ الاتجاهات التعصبية	تأليف: د/ معتز سيد عبد الله	مايو ١٩٨٩
١٣٨ ـ أدب الرحلات	تأليف: د/ حسين فهيم	يونيو ١٩٨٩
١٣٩ ـ المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا	تأليف: عبدالله عبدالرزاق ابراهيم	يوليو ١٩٨٩
١٤٠ ـ الإنسان بين الجوهر والمظهر (نتملك أو نكون)	تأليف: إريك فروم ترجمة: سعد زهران مراجعة: د/ لطفي فطيم	أغسطس ١٩٨٩
١٤١ ـ الأدب اللاتيني (ودوره الحضاري)	تأليف: د/ أحمد عتمان	سبتمبر ١٩٨٩
١٤٢ ـ مستقبلنا المشترك	إعداد: اللجنة العالمية للبيئة والتنمية ترجمة: محمد كامل عارف مراجعة: علي حسين حجاج	أكتوبر ١٩٨٩
١٤٣ ـ الريف في الرواية العربية	تأليف: د/ محمد حسن عبدالله	نوفمبر ١٩٨٩
١٤٤ ـ الإبداع العام والخاص	تأليف: الكسندرو روشكا ترجمة: د/ غسان عبدالحي أبو فخر	ديسمبر ١٩٨٩
١٤٥ ـ سيكولوجية اللغة والمرض العقلي	تأليف: د/ جمعة سيد يوسف	يناير ١٩٩٠
١٤٦ ـ حياة الوعي الفني (دراسات في تاريخ الصورة الفنية)	تأليف: غيورغي غانشف ترجمة: د/ نوفل نيوف مراجعة: د/ سعد مصلوح	فبراير ١٩٩٠
١٤٧ ـ الرأسمالية تجدد نفسها	تأليف: د/ فؤاد مُرسي	مارس ١٩٩٠

١٤٨ ـ علم الأحياء والأيديولوجيا والطبيعة البشرية	تأليف: ستيفن روز وآخرين	أبريل	١٩٩٠
	ترجمة: د/ مصطفى إبراهيم فهمي		
	مراجعة: د/ محمد عصفور		
١٤٩ ـ ماهية الحروب الصليبية	تأليف: د/ قاسم عبده قاسم	مايو	١٩٩٠
١٥٠ ـ حاجات الإنسان الأساسية في الوطن العربي	(برنامج الأمم المتحدة للبيئة)	يونيو	١٩٩٠
«الجوانب البيئية والتكنولوجية والسياسية»	ترجمة: عبد السلام رضوان		
١٥١ ـ تجارة المحيط الهندي	تأليف: د/ شوقي عبد القوي عثمان	يوليو	١٩٨٩
في عصر السيادة الإسلامية			
١٥٢ ـ التلوث مشكلة العصر	تأليف: د/ أحمد مدحت إسلام	أغسطس	١٩٩٠

(ظهر هذا العدد في أغسطس ١٩٩٠، وانقطعت السلسلة بسبب العدوان العراقي الغاشم على دولة الكويت، ثم استؤنفت في شهر سبتمبر ١٩٩١ بالعدد ١٥٣)

١٥٣ ـ الكويت والتنمية الثقافية العربية	تأليف: د/ محمد حسن عبد الله	سبتمبر	١٩٩١
١٥٤ ـ النقطة المتحولة: أربعون عاما في	تأليف: بيتر بروك	أكتوبر	١٩٩١
استكشاف المسرح	ترجمة: فاروق عبدالقادر		
١٥٥ ـ مؤثرات عربية وإسلامية في الادب الروسي	تأليف: د/ مكارم الغمري	نوفمبر	١٩٩١
١٥٦ ـ الفصامي: كيف نفهمه ونساعده؟	تأليف: سيلفانو آرتي	ديسمبر	١٩٩١
(دليل للأسرة والأصدقاء)	ترجمة: د/ عاطف أحمد		
١٥٧ ـ الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي	تأليف: د/ زينات البيطار	يناير	١٩٩٢
١٥٨ ـ مستقبل النظام العربي بعد أزمة الخليج	تأليف: د/ محمد السيد سعيد	فبراير	١٩٩٢
١٥٩ ـ فكرة الزمان عبر التاريخ	ترجمة: فؤاد كامل عبدالعزيز	مارس	١٩٩٢
	مراجعة: شوقي جلال		
١٦٠ ـ ارتقاء القيم (دراسة نفسية)	تأليف: د/ عبداللطيف محمد خليفة	أبريل	١٩٩٢
١٦١ ـ أمراض الفقر	تأليف: د/ فيليب عطية	مايو	١٩٩٢
(المشكلات الصحية في العالم الثالث)			
١٦٢ ـ القومية في موسيقا القرن العشرين	تأليف: د/ سمحة الخولي	يونيو	١٩٩٢
١٦٣ ـ أسرار النوم	تأليف: الكسندر بوربلي	يوليو	١٩٩٢
	ترجمة: د/ أحمد عبدالعزيز سلامة		
١٦٤ ـ بلاغة الخطاب وعلم النص	تأليف: د/ صلاح فضل	أغسطس	١٩٩٢
١٦٥ ـ الفلسفة المعاصرة في أوروبا	تأليف: إ.م. بوشنسكي	سبتمبر	١٩٩٢
	ترجمة: د/ عزت قرني		

١٦٦ـ الأمومة: نمو العلاقة بين الطفل والأم	تأليف: د/ فايز قنطار	أكتوبر ١٩٩٢
١٦٧ـ تاريخ الدراسات العربية في فرنسا	تأليف: د/ محمود المقداد	نوفمبر ١٩٩٢
١٦٨ ـ بنية الثورات العلمية	تأليف: توماس كون ترجمة: شوقي جلال	ديسمبر ١٩٩٢
١٦٩ ـ تاريخ الكتاب (القسم الاول)	تأليف: د/ الكسندر ستيبشفيتش ترجمة: د/ محمد م. الأرناؤوط	يناير ١٩٩٣
١٧٠ ـ تاريخ الكتاب (القسم الثاني)	تأليف: د/ الكسندر ستيبشفيتش ترجمة: د/ محمد م. الأرناؤوط	فبراير ١٩٩٣
١٧١ ـ الأدب الأفريقي	تأليف: د/ علي شلش	مارس ١٩٩٣
١٧٢ ـ الذكاء الاصطناعي واقعه ومستقبله	تأليف: آلان بونيه ترجمة: د/ علي صبري فرغلي	أبريل ١٩٩٣
١٧٣ ـ المعتقدات الدينية لدى الشعوب	أشرف على التحرير جفري بارندر ترجمة: د/ إمام عبدالفتاح إمام مراجعة: د/ عبدالغفار مكاوي	مايو ١٩٩٣
١٧٤ ـ الهندسة الوراثية والأخلاق	تأليف: ناهدة البقصمي	يونيو ١٩٩٣
١٧٥ ـ سيكولوجية السعادة	تأليف: مايكل أرجايل ترجمة: د/ فيصل عبدالقادر يونس مراجعة: شوقي جلال	يوليو ١٩٩٣
١٧٦ ـ العبقرية والإبداع والقيادة	تأليف: دين كيث سايمنتن ترجمة: د/ شاكر عبدالحميد مراجعة: د/ محمد عصفور	أغسطس ١٩٩٣
١٧٧ ـ المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين	تأليف: د/ شكري محمد عياد	سبتمبر ١٩٩٣
١٧٨ ـ الكون	تأليف: د/ كارل ساغان ترجمة: نافع أيوب لبّس مراجعة: محمد كامل عارف	أكتوبر ١٩٩٣
١٧٩ ـ الصداقة (من منظور علم النفس)	تأليف: د/ أسامة سعد أبو سريع	نوفمبر ١٩٩٣
١٨٠ ـ العلاج السلوكي للطفل: أساليبه ونماذج من حالاته	تأليف: د/ عبد الستار إبراهيم د/ عبدالعزيز الدخيل د/ رضوى إبراهيم	ديسمبر ١٩٩٣

١٨١- الأدب الألماني في نصف قرن	تأليف: د/ عبدالرحمن بدوي	يناير ١٩٩٤
١٨٢- الشفاهية والكتابية	تأليف: والتر ج. أونج ترجمة: د/ حسن البنا عزالدين مراجعة: د/ محمد عصفور	فبراير ١٩٩٤
١٨٣ ـ الطاغية	تأليف: د/ إمام عبدالفتاح إمام	مارس ١٩٩٤
١٨٤ ـ العرب وعصر المعلومات	تأليف: د/ نبيل علي	أبريل ١٩٩٤
١٨٥ ـ عندما تغير العالم	تأليف: جيمس بيرك ترجمة: ليلى الجبالي مراجعة: شوقي جلال	مايو ١٩٩٤
١٨٦ ـ القوى الدينية في إسرائيل	تأليف: د/ رشاد عبدالله الشامي	يونيو ١٩٩٤
١٨٧ ـ آلاف السنين من الطاقة	تأليف: فلاديمير كارتسيف بيوتر كازانوفسكي ترجمة: محمد غياث الزيات	يوليو ١٩٩٤
١٨٨ ـ الاتجاه القومي في الرواية	تأليف: د/ مصطفى عبد الغني	أغسطس ١٩٩٤
١٨٩ ـ عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة	تأليف: جان ـ ماري بيلت ترجمة: السيد محمد عثمان	سبتمبر ١٩٩٤
١٩٠ ـ مقدمة في علم التفاوض السياسي والاجتماعي	تأليف: د. حسن محمد وجيه	أكتوبر ١٩٩٤
١٩١ ـ النهاية الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون	تأليف: فرانك كلوز ترجمة: د/ مصطفى إبراهيم فهمي مراجعة: عبدالسلام رضوان	نوفمبر ١٩٩٤
١٩٢ ـ جذور الاستبداد (قراءة في أدب قديم)	تأليف: د/ عبدالغفار مكاوي	ديسمبر ١٩٩٤
١٩٣ ـ اللغة والتفسير والتواصل	تأليف: د/ مصطفى ناصف	يناير ١٩٩٥
١٩٤ ـ جوته والعالم العربي	تأليف: كاتارينا مومزن ترجمة: د/ عدنان عباس علي مراجعة: د/ عبدالغفار مكاوي	فبراير ١٩٩٥
١٩٥ ـ الغزو العراقي للكويت	ندوة بحثية	مارس ١٩٩٥
١٩٦- المدينة في الشعر العربي المعاصر	تأليف: د/ مختار أبوغالي	أبريل ١٩٩٥
١٩٧- اليهود في البلدان الإسلامية	تحرير: صموئيل أتينجر ترجمة: د/ جمال الرفاعي مراجعة: د/ رشاد الشامي	مايو ١٩٩٥

١٩٨ـ فلسفات تربوية معاصرة	تأليف: د/ سعيد إسماعيل علي	يونيو ١٩٩٥
١٩٩ ـ الفكر الشرقي القديم	تأليف: جون كولر ترجمة: كامل يوسف حسين مراجعة: د/ إمام عبدالفتاح إمام	يوليو ١٩٩٥
٢٠٠ ـ الزلازل: حقيقتها وآثارها	تأليف: د/ شاهر جمال أغا	أغسطس ١٩٩٥
٢٠١ـ جيران في عالم واحد	مراجعة: عبدالسلام رضوان	سبتمبر ١٩٩٥
٢٠٢ ـ الأمم المتحدة في نصف قرن	تأليف: د/ حسن نافعة	أكتوبر ١٩٩٥
٢٠٣ ـ التصوير الشعبي العربي	تأليف: د/ أكرم قانصو	نوفمبر ١٩٩٥
٢٠٤ ـ الصراع على القمة	تأليف: لستر ثارو ترجمة: أحمد فؤاد بلبع	ديسمبر ١٩٩٥
٢٠٥ ـ المخدرات والمجتمع	تأليف: د/ مصطفى سويف	يناير ١٩٩٦
٢٠٦ ـ البنيوية وما بعدها	تأليف: جون ستروك ترجمة: د/ محمد حسن عصفور	فبراير ١٩٩٦
٢٠٧ ـ شعرنا القديم والنقد الجديد	تأليف: د/ وهب أحمد روميه	مارس ١٩٩٦
٢٠٨ ـ العبقرية (تاريخ الفكرة)	تحرير: بنيلوبي مري ترجمة: محمد عبدالواحد محمد مراجعة: د/ عبدالغفار مكاوي	أبريل ١٩٩٦
٢٠٩ ـ أزمة المياه في المنطقة العربية	تأليف: د/ سامر صلاح الدين مخيمر خالد جمال الدين حجازي	مايو ١٩٩٦
٢١٠ ـ الصينيون المعاصرون(ج١)	تأليف: وو بن ترجمة: د/ عبدالعزيز حمدي مراجعة: لي تشين تشونغ	يونيو ١٩٩٦
٢١١ ـ الصينيون المعاصرون(ج٢)	تأليف: وو بن ترجمة: د/ عبدالعزيز حمدي مراجعة: لي تشين تشونغ	يوليو ١٩٩٦
٢١٢ـ الحصيلة اللغوية	تأليف: د/ أحمد محمد المعتوق	أغسطس ١٩٩٦
٢١٣ـ عالم يفيض بسكانه	تأليف: سير روي كالن ترجمة: ليلى الجبالي	سبتمبر ١٩٩٦
٢١٤ـ الفضاء الخارجي واستخداماته السلمية	تأليف: د/ محمد بهي الدين عرجون	أكتوبر ١٩٩٦

٢١٥ ـ الإسلام والمسيحية	تأليف: أليكسي ف. جورافسكي	نوفمبر ١٩٩٦
	ترجمة: د/ خلف محمد الجراد	
	مراجعة: د/ حمدي زقزوق	
٢١٦ ـ الرياضة والمجتمع	تأليف: د/ أمين أنور الخولي	ديسمبر ١٩٩٦
٢١٧ ـ الشفرة الوراثية للإنسان	تحرير: دانييل كيفلس	يناير ١٩٩٧
	و ليروي هود	
	ترجمة: د/ أحمد مستجير	
٢١٨ ـ محاورات مع النثر العربي	تأليف: د/ مصطفى عبده ناصف	فبراير ١٩٩٧
٢١٩ ـ فجر العلم الحديث	تأليف: توبي أ. هاف	مارس ١٩٩٧
(الإسلام ـ الصين ـ الغرب) ج١	ترجمة: د/ أحمد محمود صبحي	
٢٢٠ ـ فجر العلم الحديث	تأليف: توبي أ. هاف	ابريل ١٩٩٧
(الإسلام ـ الصين ـ الغرب) ج٢	ترجمة: د/ أحمد محمود صبحي	
٢٢١ ـ مدخل إلى مناهج النقد الأدبي	تأليف: مجموعة من الكتاب	مايو ١٩٩٧
	ترجمة: د/ رضوان ظاظا	
	مراجعة: د/ المنصف الشنوفي	
٢٢٢ ـ البيئة والإنسان عبر العصور	تأليف: إيان ج. سيمونز	يونيو ١٩٩٧
	ترجمة: السيد محمد عثمان	
٢٢٣ ـ نظرية الثقافة	تأليف: مجموعة من الكتّاب	يوليو ١٩٩٧
	ترجمة: د/ علي سيد الصاوي	
	مراجعة وتقديم: أ. د. الفاروق زكي يونس	
٢٢٤ ـ إشكالية الهوية في إسرائيل	تأليف: د/ رشاد عبدالله الشامي	أغسطس ١٩٩٧
٢٢٥ ـ المدينة الفاضلة عبر التاريخ	تأليف: ماريا لويزا برنيري	سبتمبر ١٩٩٧
	ترجمة: د/ عطيات أبو السعود	
	مراجعة: د/ عبد الغفار مكاوي	
٢٢٦ ـ الاقتصاد السياسي للبطالة	تأليف: د/ رمزي زكي	اكتوبر ١٩٩٧
٢٢٧ ـ موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)	تأليف: ر. هـ. روبنز	نوفمبر ١٩٩٧
	ترجمة: د/ أحمد عوض	
٢٢٨ ـ الطريق إلى المريخ	تأليف: م. سعد شعبان	ديسمبر ١٩٩٧
٢٢٩ ـ لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟	تأليف: د. مايكل كاريذرس	يناير ١٩٩٨
	ترجمة: شوقي جلال	

٢٣٠ ـ الأمن الغذائي للوطن العربي	تأليف: د. محمد السيد عبد السلام	فبراير ١٩٩٨
٢٣١ ـ المعلوماتية بعد الإنترنت	تأليف: بيل جيتس	مارس ١٩٩٨
	ترجمة: عبد السلام رضوان	
٢٣٢ ـ المرايا المحدبة (من البنيوية إلى التفكيك)	تأليف: د. عبد العزيز حموده	أبريل ١٩٩٨
٢٣٣ ـ تراث الإسلام (الجزء الأول) ط٢	تأليف: جوزيف شاخت	مايو ١٩٩٨
	كليفورد بوزورث	
	ترجمة: د. محمد زهير السمهوري	
	د. حسين مؤنس	
	د. إحسان صدقي العمد	
	مراجعة: د. شاكر مصطفى	
	د. فؤاد زكريا	
٢٣٤ ـ تراث الإسلام (الجزء الثاني) ط٢	تأليف: جوزيف شاخت	يونيو ١٩٩٨
	كليفورد بوزورث	
	ترجمة: د. حسين مؤنس	
	د. إحسان صدقي العمد	
	مراجعة: د. فؤاد زكريا	
٢٣٥ ـ الإنسان الحائر بين العلم والخرافة ط٢	تأليف: د. عبد المحسن صالح	يوليو ١٩٩٨
٢٣٦ ـ الطب الإمبريالي والمجتمعات المحلية	تحرير: دافيد أرنولد	أغسطس ١٩٩٨
	ترجمة: د. مصطفى إبراهيم فهمي	
٢٣٧ ـ الحضارة (الطبعة الثانية)	تأليف: د. حسين مؤنس	سبتمبر ١٩٩٨
٢٣٨ ـ فخ العولمة	تأليف: هانس ـ بيتر مارتين	اكتوبر ١٩٩٨
	هارالد شومان	
	ترجمة: د. عدنان عباس علي	
	مراجعة وتقديم: أ. د. رمزي زكي	
٢٣٩ ـ الاكتئاب (اضطراب العصر الحديث)	تأليف: د. عبد الستار ابراهيم	نوفمبر ١٩٩٨
٢٤٠ ـ في نظرية الرواية	تأليف: د. عبد الملك مرتاض	ديسمبر ١٩٩٨
٢٤١ ـ الماضي المشترك بين العرب والغرب	تأليف: أ. ل. رانيلا	يناير ١٩٩٩
	ترجمة: د. نبيلة ابراهيم	
	مراجعة: د. فاطمة موسى	

٢٤٢ ـ التصحر تدهور الأراضي في المناطق الجافة	تأليف: د. محمد عبدالفتاح القصاص	فبراير ١٩٩٩
٢٤٣ ـ المتلاعبون بالعقول (الطبعة الثانية)	تأليف: هربرت شيلر ترجمة: عبدالسلام رضوان	مارس ١٩٩٩
٢٤٤ ـ النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس	تأليف: إيان كريب ترجمة: د. محمد حسين غلوم مراجعة: د. محمد عصفور	أبريل ١٩٩٩
٢٤٥ ـ ضرورة العلم دراسات في العلم والعلماء	تأليف: ماكس بيروتز ترجمة: وائل أتاسي د. بسام معصراني مراجعة: د. عدنان الحموي	مايو ١٩٩٩
٢٤٦ ـ طرائق الحداثة ضد المتوائمين الجدد	تأليف: رايموند ويليامز ترجمة: فاروق عبدالقادر	يونيو ١٩٩٩
٢٤٧ ـ الأطفال والإدمان التليفزيوني	تأليف: ماري وين ترجمة: عبدالفتاح الصبحي	يوليو ١٩٩٩
٢٤٨ ـ المسرح في الوطن العربي (الطبعة الثانية)	تأليف: د. علي الراعي	أغسطس ١٩٩٩
٢٤٩ ـ اختلاق إسرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني	تأليف: كيث وايتلام ترجمة: د. سحر الهنيدي مراجعة: د. فؤاد زكريا	سبتمبر ١٩٩٩
٢٥٠ ـ تاريخ إيران السياسي بين ثورتين (١٩٠٦ ـ ١٩٧٩)	تأليف: د. آمال السُبكي	أكتوبر ١٩٩٩
٢٥١ ـ العدد من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر	تأليف: جون ماكليش ترجمة: د. خضر الأحمد د. موفق عبول مراجعة: د. عطية عاشور	نوفمبر ١٩٩٩
٢٥٢ ـ النهضة العربية والنهضة اليابانية تشابه المقدمات واختلاف النتائج	تأليف: د. مسعود ضاهر	ديسمبر ١٩٩٩

٢٥٣- ثورة الإنفوميديا الوسائط المعلوماتية وكيف تغير عالمنا وحياتك؟	تأليف : فرانك كيلش ترجمة : حسام الدين زكريا مراجعة : عبد السلام رضوان	يناير ٢٠٠٠
٢٥٤- كوكب الأرض: نقطة زرقاء باهتة رؤية لمستقبل الإنسان في الفضاء	تأليف : كارل ساجان ترجمة : د. شهرت العالم مراجعة : حسين بيومي	فبراير ٢٠٠٠
٢٥٥ - النقد العربي نحو نظرية ثانية	تأليف : د. مصطفى ناصف	مارس ٢٠٠٠
٢٥٦ - قصف العقول الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي	تأليف : فيليب تايلور ترجمة : سامي خشبة	أبريل ٢٠٠٠
٢٥٧ - النظام الاقتصادي الدولي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة	تأليف : د. حازم الببلاوي	مايو ٢٠٠٠
٢٥٨ - سيكولوجية فنون الأداء	تأليف : جلين ويلسون ترجمة : د. شاكر عبد الحميد مراجعة : د. محمد عناني	يونيو ٢٠٠٠
٢٥٩ - الآلة قوة وسلطة التكنولوجيا والإنسان منذ القرن ١٧حتى الوقت الحاضر	تأليف : آر . إيه. بوكانان ترجمة : شوقي جلال	يوليو ٢٠٠٠
٢٦٠ - فجر العلم الحديث	تأليف : توبي هف ترجمة : د. محمد عصفور	أغسطس ٢٠٠٠
٢٦١ - تاريخ الفكر الاقتصادي الماضي صورة الحاضر	تأليف : جون كينيث جالبريث ترجمة : أحمد فؤاد بلبع تقديم : إسماعيل صبري عبد الله	سبتمبر ٢٠٠٠
٢٦٢ - الذكاء العاطفي	تأليف : دانييل جولمان ترجمة : ليلى الجبالي مراجعة : محمد يونس	أكتوبر ٢٠٠٠
٢٦٣ - اللغة والاقتصاد	تأليف : فلوريان كولماس ترجمة : د. أحمد عوض مراجعة : عبد السلام رضوان	نوفمبر ٢٠٠٠
٢٦٤ - فلسفة العلم في القرن العشرين الأصول ـ الحصاد ـ الآفاق المستقبلية	تأليف : د. يُمنى طريف الخولي	ديسمبر ٢٠٠٠
٢٦٥ - الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي	تأليف : د. نبيل علي	يناير ٢٠٠١
٢٦٦ ـ إبداعات النار تاريخ الكيمياء المثير من السيمياء إلى العصر الذري	تأليف : كاتي كوب هارولد جولد وايت ترجمة : د. فتح الله الشيخ مراجعة : شوقي جلال	فبراير ٢٠٠١

٢٦٧ - التفضيل الجمالي دراسة في سيكولوجية التذوق الفني	تـأليف : د. شاكر عبد الحميد	مارس ٢٠٠١
٢٦٨ - اليـابـان رؤيـة جـديـدة	تأليف : باتريك سميث ترجمة : سعد زهران	أبريل ٢٠٠١
٢٦٩ - نهاية اليوتوبيا السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة	تأليف: راسل جاكوبي ترجمة : فاروق عبدالقادر	مايو ٢٠٠١
٢٧٠ - رؤى مستقبلية كيف سيغير العلم حياتنا في القرن الواحد والعشرين	تأليف : ميتشيو كاكو ترجمة : د. سعد الدين خرفان مراجعة : محمد يونس	يونيو ٢٠٠١
٢٧١ - التنين الأكبر الصين في القرن الواحد والعشرين	تأليف : دانييل بورشتاين أرنيه دي كيزا ترجمة : شوقي جلال	يوليو ٢٠٠١
٢٧٢ - المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية	تأليف : د. عبد العزيز حمودة	أغسطس٢٠٠١
٢٧٣ - ما العولمة الاقتصاد العالمي وإمكانات التحكم	تأليف : بول هيرست جراهام طومبسون ترجمة : د. فالح عبد الجبار	سبتمبر ٢٠٠١
٢٧٤ - الأنـا ـ الآخـر ازدواجية الفن التمثيلي	تأليف : د. صالح سعد تقديم : د. شاكر عبد الحميد	أكتوبر ٢٠٠١
٢٧٥ - الجينوم السيرة الذاتية للنوع البشري	تأليف : مات ريدلي ترجمة : د. مصطفى إبراهيم فهمي	نوفمبر ٢٠٠١
٢٧٦ - الثقافة العربية وعصر المعلومات (رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي)	تأليف: د. نبيل علي	ديسمبر ٢٠٠١
٢٧٧ ـ هذا هو علم البيولوجيا (دراسة في ماهية الحياة والأحياء)	تأليف: إرنست ماير ترجمة: د. عفيفي محمود عفيفي	يناير ٢٠٠٢
٢٧٨ ـ عصور الأدب الألماني (تحولات الواقع ومسارات التجديد)	تأليف: باربارا باومان بريجيت أوبرله ترجمة: د. هدى شريف مراجعة: د. عبدالغفار مكاوي	فبراير ٢٠٠٢
٢٧٩ - الإبهام في شعر الحداثة (العوامل والمظاهر وآليات التأويل)	تأليف: د. عبدالرحمن محمد القعود	مارس ٢٠٠٢
٢٨٠- الحكمة الضائعة الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع	تأليف: د. عبدالستار إبراهيم	أبريل ٢٠٠٢
٢٨١- تاريخ الطب من فن المداواة إلى علم التشخيص	تأليف: جان شارل سورنيا ترجمة: د. إبراهيم البجلاتي	مايو ٢٠٠٢
٢٨٢- الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر(ج ١) الاقـتـصـاد العـالـمي، الدولة القـومـيـة، المحليات	تأليف: بيتر تيلور كولن فلنت ترجمة: عبد السلام رضوان د. إسحق عبيد	يونيو ٢٠٠٢

٢٨٣- الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر(ج ٢) الاقتصاد العالمي، الدولة القومية، المحليات	تأليف: بيتر تيلور كولن فلنت ترجمة: عبد السلام رضوان د. إسحق عبيد	يوليو ٢٠٠٢
٢٨٤- أديب الأسطورة عند العرب جذور التفكير وأصالة الإبداع	تأليف: فاروق خورشيد	أغسطس ٢٠٠٢
٢٨٥- البيئة وقضايا التنمية والتصنيع دراسات حول الواقع البيئي في الوطن العربي	تأليف: د. أسامة الخولي	سبتمبر ٢٠٠٢
٢٨٦- بعيدا عن اليسار واليمين مستقبل السياسات الراديكالية	تأليف: أنطوني جيدنز ترجمة: شوقي جلال	أكتوبر ٢٠٠٢
٢٨٧- المخ البشري مدخل إلى دراسة السيكولوجيا والسلوك	تأليف: كرستين تمبل ترجمة: د. عاطف أحمد	نوفمبر ٢٠٠٢
٢٨٨ـ البحث عن حياة على المريخ الصخرة المريخية ولغز الحياة	تأليف: دونالد جولدسميث ترجمة: د. إيهاب عبدالرحيم محمد	ديسمبر ٢٠٠٢
٢٨٩ـ الفكاهة والضحك رؤية جديدة	تأليف: د. شاكر عبدالحميد	يناير ٢٠٠٣
٢٩٠- سيكولوجية الذاكرة قضايا واتجاهات حديثة	تأليف: د. محمد قاسم عبدالله	فبراير ٢٠٠٣
٢٩١- الكون في قشرة جوز شكل جديد للكون	تأليف: ستيفن هوكنج ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي	مارس ٢٠٠٣
٢٩٢- أسطورة الإطار في دفاع عن العلم والعقلانية	تأليف: كارل بوبر تحرير: مارك أ. نوترنو ترجمة: د. يمنى طريف الخولي	إبريل ـ مايو ٢٠٠٣
٢٩٣- الوسواس القهري من منظور عربي إسلامي	تأليف: د. وائل أبو هندي	يونيو ٢٠٠٣
٢٩٤- العصر الجينومي استراتيجيات المستقبل البشري	تأليف: د. موسى الخلف	يوليو ٢٠٠٣
٢٩٥- فخ العولمة الاعتداء على الديموقراطية والرفاهية (طبعة ثانية)	تأليف: هانس بيتر مارتين وهارالد شومان ترجمة وتقديم: د. عدنان عباس علي مراجعة وتقديم: د رمزي زكي	أغسطس ٢٠٠٣
٢٩٦- المقدمات التاريخية للعلم الحديث من الإغريق القدماء إلى عصر النهضة	تأليف: توماس جولد شتاين تصدير: إيزاك أسيموف ترجمة: أحمد حسان عبدالواحد	سبتمبر ٢٠٠٣
٢٩٧- الكتاب في العالم الإسلامي الكلمة المكتوبة كوسيلة للاتصال في منطقة الشرق الأوسط	تحرير: جورج عطية ترجمة: عبدالستار الحلوجي	أكتوبر ٢٠٠٣
٢٩٨- الخروج من التيه دراسة في سلطة النص	تأليف: د. عبدالعزيز حمودة	نوفمبر ٢٠٠٣

٢٩٩- جامعة الدول العربية مدخل إلى المستقبل	تاليف: د. مجدي حماد	ديسمبر ـ يناير ٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٤
٣٠٠- قضايا أدبية عامة آفاق جديدة في نظرية الأدب	تأليف: إيمانويل فريس وبرنار موراليس ترجمة: د. لطيف زيتوني	فبراير ٢٠٠٤
٣٠١- مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرين آفاق جديدة للفكر الإنساني	تحرير: أوليفر ليمان ترجمة: مصطفى محمود محمد مراجعة: د. رمضان بسطاويسي	مارس ٢٠٠٤
٣٠٢-الإسلام شريكا دراسات عن الإسلام والمسلمين	تأليف: فريتس شتيبات ترجمة: د. عبد الغفار مكاوي	أبريل ٢٠٠٤
٣٠٣- التنمية حرية مؤسسات حرة وإنسان متحرر من الجهل والمرض والفقر	تأليف: أمارتيا صن ترجمة: شوقي جلال	مايو ٢٠٠٤
٣٠٤- العمارة الإسلامية والبيئة الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي	تأليف: د. م. يحيى وزيري	يونيو ٢٠٠٤
٣٠٥- العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية لبنات أساسية في صرح الحضارة الإنسانية	تأليف: دونالد ر. هيل ترجمة: د. أحمد فؤاد باشا	يوليو ٢٠٠٤
٣٠٦- أنثوية العلم العلم من منظور الفلسفة النسوية	تأليف: د. ليندا جين شيفرد ترجمة: د. يمنى طريف الخولي	أغسطس ٢٠٠٤
٣٠٧- نهاية عصر البترول التدابير الضرورية لمواجهة المستقبل	تأليف: كولن كامبيل (وآخرين) ترجمة: د. عدنان عباس علي	سبتمبر ٢٠٠٤
٣٠٨- الثقافة الحضرية في مدن الشرق استكشاف المحيط الداخلي للمنزل	تأليف: جينيفر سكيرس ترجمة: ليلى الموسوي	أكتوبر ٢٠٠٤
٣٠٩- من الحداثة إلى العولمة (ج١) رؤى ووجهات نظر في قضية التطور والتغيير الاجتماعي	تأليف: ج. تيمونز روبيرتس إيمي هايت ترجمة: سمر الشيشكلي	نوفمبر ٢٠٠٤
٣١٠ ـ من الحداثة إلى العولمة (ج٢) رؤى ووجهات نظر في قضية التطور والتغيير الاجتماعي	تأليف: ج. تيمونز روبيرتس إيمي هايت ترجمة: سمر الشيشكلي مراجعة: محمود ماجد عمر	ديسمبر ٢٠٠٤
٣١١ ـ عصر الصورة السلبيات والإيجابيات	تأليف: د. شاكر عبدالحميد	يناير ٢٠٠٥
٣١٢ ـ جغرافية الفكر كيف يفكر الغربيون والآسيويون على نحو مختلف.. ولماذا؟	تأليف: ريتشارد إي نيسبت ترجمة: شوقي جلال	فبراير ٢٠٠٥
٣١٢ ـ سيكولوجية المقامر التشخيص والتنبؤ والعلاج	تأليف: د. أكرم زيدان	مارس ٢٠٠٥
٣١٤ ـ البحر والتاريخ تحديات الطبيعة واستجابات البشر	تأليف: إ. إ. رايس ترجمة: د. عاطف أحمد	أبريل ٢٠٠٥

٣١٥ ـ التاريخ الاجتماعي للوسائط من غتنبرغ إلى الإنترنت	تأليف: بيتر بورك ـ آسا بريغز ترجمة: مصطفى محمد قاسم	مايو ٢٠٠٥
٣١٦ ـ أخلاقيات العلم مدخل	تأليف: ديفيد ب. رزنيك ترجمة: د. عبدالنور عبدالمنعم مراجعة: أ. د يمنى طريف الخولي	يونيو ٢٠٠٥
٣١٧ ـ الجغرافيا الثقافية أهمية الجغرافيا في تفسير الظواهر الإنسانية	تأليف: مايك كرانغ ترجمة: د. سعيد منتاق	يوليو ٢٠٠٥
٣١٨ ـ الفجوة الرقمية رؤية عربية لمجتمع المعرفة	تأليف: د. نبيل علي د. نادية حجازي	أغسطس ٢٠٠٥
٣١٩ ـ المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية	تأليف: د. الحبيب الجنحاني	سبتمبر ٢٠٠٥
٣٢٠ ـ تاريخ الملح في العالم الإمبراطوريات، المعتقدات، ثورات الشعوب، والاقتصاد العالمي	تأليف: مارك كيرلانسكي ترجمة: أحمد حسن مغربي	أكتوبر ٢٠٠٥
٣٢١ ـ الطاقة للجميع كيف ستغير ثورة الطاقة أسلوبنا في الحياة	تأليف: فيجاي ف. فيتيسواران ترجمة: د. إيهاب عبدالرحيم مراجعة: د. عاطف أحمد	نوفمبر ٢٠٠٥
٣٢٢ ـ الحفاظ على التراث الثقافي نحو مدرسة عربية للحفاظ على التراث الثقافي وإدارته	تأليف: د. م. جمال عليان	ديسمبر ٢٠٠٥
٣٢٣ ـ هل نحن بلا نظير؟ عالم يستكشف الذكاء الفريد للعقل البشري	تأليف: جيمس تريفل ترجمة: ليلى الموسوي	يناير ٢٠٠٦
٣٢٤ ـ الآداب السلطانية دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي	تأليف: د. عز الدين العلام	فبراير ٢٠٠٦
٣٢٥ ـ في نشأة اللغة من إشارة اليد إلى نطق الفم	تأليف: مايكل كورباليس ترجمة: محمود ماجد عمر	مارس ٢٠٠٦
٣٢٦ ـ سيكولوجية العلاقات بين الجماعات قضايا في الهوية الاجتماعية وتصنيف الذات	تأليف: د. أحمد زايد	أبريل ٢٠٠٦
٣٢٧ ـ من الذرة إلى الكوارك نحو ثقافة علمية متقدمة لمواكبة علوم العصر وفلسفاتها	تأليف: سام تريمان ترجمة: د. أحمد فؤاد باشا	مايو ٢٠٠٦
٣٢٨ ـ الثقافة والمعرفة البشرية دراسة مقارنة بين أطفال البشر والرئيسات	تأليف: ميشيل توماسيللو ترجمة: شوقي جلال	يونيو ٢٠٠٦
٣٢٩ ـ نحو شركات خضراء مسؤولية مؤسسات الأعمال نحو الطبيعة	تأليف: د. ليزا هـ. نيوتن ترجمة: د. إيهاب عبدالرحيم	يوليو ٢٠٠٦

٣٣٠ ـ الذكاء الإنساني اتجاهات معاصرة وقضايا نقدية	تأليف: د. محمد طه	أغسطس ٢٠٠٦
٣٣١ ـ الشعر والناقد من التشكيل إلى الرؤيا	تأليف: د. وهب رومية	سبتمبر ٢٠٠٦
٣٣٢ ـ الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية (١)	تأليف: مايكل زيمرمان ترجمة: معين رومية	أكتوبر ٢٠٠٦
٣٣٣ ـ الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية (٢)	تأليف: مايكل زيمرمان ترجمة: معين رومية	نوفمبر ٢٠٠٦
٣٣٤ - كامي وسارتر	تأليف: رونالد أرونسون ترجمة: شوقي جلال	ديسمبر ٢٠٠٦
٣٣٥ - اقتصاد يغدق فقرا التحول من دولة التكافل الاجتماعي إلى المجتمع المنقسم على نفسه	تأليف: هورست أفهيلد ترجمة: د.عدنان عباس علي	يناير ٢٠٠٧
٣٣٦ - السيطرة الصامتة الرأسمالية العالمية وموت الديموقراطية	تأليف: نورينا هيرتس ترجمة: صدقي حطاب	فبراير ٢٠٠٧
٣٣٧ - الأنماط الثقافية للعنف	تأليف: باربرا ويتمر ترجمة: د. ممدوح يوسف عمران	مارس ٢٠٠٧
٣٣٨ - الصناعات الإبداعية كيف تنتج الثقافة في عالم التكنولوجيا والعولمة؟ (١)	تحرير: جون هارتلي ترجمة: بدر السيد سليمان الرفاعي	أبريل ٢٠٠٧
٣٣٩ - الصناعات الإبداعية كيف تنتج الثقافة في عالم التكنولوجيا والعولمة؟ (٢)	تحرير: جون هارتلي ترجمة: بدر السيد سليمان الرفاعي	مايو ٢٠٠٧
٣٤٠ - الصيف الطويل دور المناخ في تغيير الحضارة	تأليف: براين فاغان ترجمة: د. مصطفى فهمي	يونيو ٢٠٠٧
٣٤١ - سوسيولوجيا الفن طرق للرؤية	تحرير: ديفيد إنغليز - جون هغسون ترجمة: د.ليلى الموسوي مراجعة: د.محمد الجوهري	يوليو ٢٠٠٧
٣٤٢ - اللغة والهوية قومية - إثنية - دينية	تأليف: جون جوزيف ترجمة: د.عبدالنور خراقي	أغسطس ٢٠٠٧
٣٤٣ - العقل مدخل موجز	تأليف: جون ر. سيرل ترجمة: أ.د.ميشيل حنا متياس	سبتمبر ٢٠٠٧
٣٤٤ - الاستبعاد الاجتماعي محاولة للفهم	تحرير: جون هيلز - جوليان لوغران - دافيد بياشو ترجمة وتقديم: أ.د. محمد الجوهري	أكتوبر ٢٠٠٧
٣٤٥ - جامعة الدول العربية مدخل إلى المستقبل (طبعة ثانية)	تأليف: مجدي حماد	نوفمبر ٢٠٠٧

٣٤٦ - التنوير الآتي من الشرق (اللقاء بين الفكر الآسيوي والفكر الغربي)	تأليف: جي. جي. كلارك ترجمة: شوقي جلال	ديسمبر ٢٠٠٧
٣٤٧ - علم الاجتماع الآلي (مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب)	تأليف: د. علي محمد رحومة	يناير ٢٠٠٨
٣٤٧ - الخلية الجذعية	تأليف: خالد أحمد الزعيري	فبراير ٢٠٠٨
٣٤٨ - الثقافة (التفسير الأنثروبولوجي)	تأليف: آدم كوبر ترجمة: تراجي فتحي مراجعة: د. ليلى الموسوي	مارس ٢٠٠٨
٣٥٠ - فلسفة الكوانتم (فهم العلم المعاصر وتأويله)	تأليف: رولان أومنيس ترجمة: أ.د. أحمد فؤاد باشا أ.د. يمنى طريف الخولي	أبريل ٢٠٠٨
٣٥١ - سيكولوجية المال (هوس الثراء وأمراض الثروة)	تأليف: د. أكرم زيدان	مايو ٢٠٠٨
٣٥٢ - الهوية والعنف (وهم المصير الحتمي)	تأليف: أمارتيا صن ترجمة: سحر توفيق	يونيو ٢٠٠٨
٣٥٣ - جنوسة الدماغ	تأليف: ميليسا هاينز ترجمة: د. ليلى الموسوي	يوليو ٢٠٠٨
٣٥٤ - العولمة والثقافة (تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان)	تأليف: د. جون توماينسون ترجمة: د. إيهاب عبدالرحيم محمد	أغسطس ٢٠٠٨
٣٥٥ - أنماط الرواية العربية الجديدة	تأليف: د. شكري عزيز الماضي	سبتمبر ٢٠٠٨
٣٥٦ - أخلاق العناية	تأليف: فيرجينيا هيلد ترجمة: ميشيل حنا متياس	أكتوبر ٢٠٠٨
٣٥٧ - إمبراطورية الثروة التاريخ الملحمي للقوة الاقتصادية الأمريكية (الجزء الأول)	تأليف: جون ستيل جوردون ترجمة: محمد مجدالدين باكير	نوفمبر ٢٠٠٨
٣٥٨ - إمبراطورية الثروة التاريخ الملحمي للقوة الاقتصادية الأمريكية (الجزء الثاني)	تأليف: جون ستيل جوردون ترجمة: محمد مجدالدين باكير	ديسمبر ٢٠٠٨
٣٥٩ - الفيل والتنين صعود الهند والصين ودلالة ذلك لنا جميعا	تأليف: روبين ميريديث ترجمة: شوقي جلال	يناير ٢٠٠٩
٣٦٠ - الخيال من الكهف إلى الواقع الافتراضي	تأليف: د. شاكر عبدالحميد	فبراير ٢٠٠٩
٣٦١ - الخجل	تأليف: راي كروزير ترجمة: أ. د. معتز سيد عبدالله	مارس ٢٠٠٩
٣٦٢ - السلطوية في التربية العربية	تأليف: د. يزيد السورطي	أبريل ٢٠٠٩
٣٦٣ - منظور جديد للفقر والتفاوت	تحرير: ستيفن بي جنكينز جون مايكلرايت ترجمة: بدر الرفاعي	مايو ٢٠٠٩

٣٦٤ - حكمة الغرب - الجزء الأول (ط٢) عرض تاريخي للفلسفة الغربية في إطارها الاجتماعي والسياسي	تأليف: برتراند رسل ترجمة: د. فؤاد زكريا	يونيو ٢٠٠٩
٣٦٥ - حكمة الغرب - الجزء الثاني (ط ٢) الفلسفة الحديثة والمعاصرة	تأليف: برتراند رسل ترجمة: د. فؤاد زكريا	يوليو ٢٠٠٩
٣٦٦ - التلامس الحضاري الإسلامي - الأوروبي	تأليف: د. إيناس حسني	أغسطس ٢٠٠٩
٣٦٧ - الطرق إلى الحداثة التنوير البريطاني والتنوير الفرنسي والتنوير الأمريكي	تأليف: غيرترود هيملفارب ترجمة: د. محمود سيد أحمد	سبتمبر ٢٠٠٩
٣٦٨ - الأدب الفارسي منذ عصر الجامي وحتى أيامنا	تأليف: د. محمد رضا شفيعي كدكني ترجمة: د. بسام ربابعة	أكتوبر ٢٠٠٩
٣٦٩ - العقل العربي ومجتمع المعرفة (ج١) مظاهر الأزمة ومقترحات بالحلول	تأليف: د. نبيل علي	نوفمبر ٢٠٠٩
٣٧٠ - العقل العربي ومجتمع المعرفة (ج٢) مظاهر الأزمة واقتراحات بالحلول	تأليف: د. نبيل علي	ديسمبر ٢٠٠٩
٣٧١ - انهيار الرأسمالية أسباب إخفاق اقتصاد السوق المحررة من القيود	تأليف: أولريش شيفر ترجمة: د. عدنان عباس علي	يناير ٢٠١٠
٣٧٢ - لماذا العلم؟	تأليف: جيمس تريفيل ترجمة: شوقي جلال	فبراير ٢٠١٠
٣٧٣ - النموذج النرويجي إدارة المصادر البترولية	تأليف: فاروق القاسم	مارس ٢٠١٠
٣٧٤ - تكنولوجيا النانو من أجل غد أفضل	تأليف: أ. د. محمد شريف الإسكندراني	أبريل ٢٠١٠
٣٧٥ - يقظة الذات براغماتية بلا قيود	تأليف: روبرتو مانغابيرا أونغر ترجمة: د. إيهاب عبدالرحيم محمد	مايو ٢٠١٠
٣٧٦ - التوحد بين العلم والخيال	تأليف: لور اشريبمان ترجمة: د. فاطمة عياد	يونيو ٢٠١٠
٣٧٧ - أوديسا التعددية الثقافية (ج١) سبر السياسات الدولية الجديدة في التنوع	تأليف: ويل كيمليكا ترجمة: د. إمام عبدالفتاح	يونيو ٢٠١١

٣٧٨	ـ أوديسا التعددية الثقافية (ج ٢) سير السياسات الدولية الجديدة في التنوع	تأليف: ويل كيمليكا ترجمة: د. إمام عبدالفتاح	يوليو	٢٠١١
٣٧٩	ـ الإشعاع الذري واستخداماته السلمية	تأليف: د. عبدالحميد الجزار محمد عبدالمنعم صقر	أغسطس	٢٠١١
٣٨٠	ـ المعلقات وعيون العصور	تأليف: د. سليمان الشطي	سبتمبر	٢٠١١
٣٨١	ـ مدن المعرفة المداخل والخبرات والرؤى	تحرير: فرانشيسكو خافيير كاريللو ترجمة: د. خالد علي يوسف مراجعة: د.عمرو عبدالرحمن طيبة م. محمد سيد محمد مرسي	أكتوبر	٢٠١١
٣٨٢	ـ الثقافة والمساواة (ج ١) نقد مساواتي للتعدية الثقافية	تأليف بريان باري ترجمة: كمال المصري	نوفمبر	٢٠١١
٣٨٣	ـ الثقافة والمساواة (ج ٢) نقد مساواتي للتعدية الثقافية	تأليف بريان باري ترجمة: كمال المصري	ديسمبر	٢٠١١
٣٨٤	ـ الغرابة المفهوم وتجلياته في الأدب	تأليف: د. شاكر عبدالحميد	يناير	٢٠١٢
٣٨٥	ـ الحضارات في السياسة العالمية وجهات نظر جمعية وتعددية	تأليف: بيتر جي كاتزنشتاين ترجمة: فاضل جتكر	فبراير	٢٠١٢
٣٨٦	ـ وسائل الإعلام والمجتمع وجهة نظر نقدية	تأليف: آرثر آسا بيرغر ترجمة: د. صالح خليل أبوإصبع	مارس	٢٠١٢
٣٨٧	ـ مختصر تاريخ العدالة	تأليف: ديفد جونستون ترجمة: مصطفى ناصر	أبريل	٢٠١٢
٣٨٨	ـ وجه غايا المتلاشي	تأليف: جيمس لفلوك ترجمة: د. سعد الدين خرفان	مايو	٢٠١٢
٣٨٩	ـ تاريخ العلم ١٥٤٣ – ٢٠٠١ (ج١)	تأليف: جون غريبين ترجمة: شوقي جلال	يونيو	٢٠١٢
٣٩٠	ـ تاريخ العلم ١٥٤٣ – ٢٠٠١ (ج٢)	تأليف: جون غريبين ترجمة: شوقي جلال	يوليو	٢٠١٢
٣٩١	الانفجار السكاني والاحتباس الحراري	تأليف: أ. د. عبدالمنعم مصطفى المقمر	أغسطس	٢٠١٢
٣٩٢	ـ البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث	تأليف: د. موفق رياض مقدادي	سبتمبر	٢٠١٢
٣٩٣	ـ العرقية والقومية وجهات نظر أنثروبولوجية	تأليف: توماس هايلاند إريكسن ترجمة: د. لاهاي عبدالحسين	أكتوبر	٢٠١٢
٣٩٤	ـ الغرب والإسلام الدين والفكر السياسي في التاريخ العالمي	تأليف: أنتوني بلاك ترجمة: د. فؤاد عبدالمطلب	نوفمبر	٢٠١٢
٣٩٥	ـ نقض مركزية المركز الفلسفة من أجل عالم متعدد الثقافات بعد – استعماري ونسوي	تحرير: أوما ناريان ساندرا هاردنغ ترجمة: د. يمنى طريف الخولي	ديسمبر	٢٠١٢

٣٩٦	ـ نقض مركزية المركز (ج٢) الفلسفة من أجل عالم متعدد الثقافات بعد - استعماري ونسوي	تحرير: أوما ناريان ساندرا هاردنغ ترجمة: د.يمنى طريف الخولي	يناير ٢٠١٣
٣٩٧	ـ جغرافيات العولمة قراءة في تحديات العولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية	تأليف: د.وورويك موراي ترجمة: د. سعيد منتاق	فبراير ٢٠١٣
٣٩٨	ـ إشكالية الأنا والآخر في الرواية العربية	تأليف: د. ماجدة حمود	مارس ٢٠١٣
٣٩٩	ـ فيزياء المستحيل	تأليف: ميشيو كاكو ترجمة: سعد الدين خرفان	أبريل ٢٠١٣
٤٠٠	ـ مختصر تاريخ العالم	تأليف: إي أتش عومبريتش ترجمة: د. ابتهال الخطيب مراجعة: د. عبدالله هدية	مايو ٢٠١٣
٤٠١	ـ الثقافة في عصر العوالم الثلاثة	تأليف: مايكل دينينغ ترجمة: أسامة الغزولي	يونيو ٢٠١٣
٤٠٢	ـ المسرح الشعري العربي الأزمة والمستقبل	تأليف: د. مصطفى عبدالغني	يوليو ٢٠١٣
٤٠٣	ـ لماذا تتحارب الأمم؟ دواقع الحرب في الماضي والمستقبل	تأليف: ريتشارد نيد ليبو ترجمة: د. ايهاب عبدالرحيم علي	اغسطس٢٠١٣
٤٠٤	ـ ما المعرفة؟	تأليف: دنكان بريتشارد ترجمة: مصطفى ناصر	سبتمبر ٢٠١٣
٤٠٥	ـ السعادة	تأليف: نيكولاس وايت ترجمة: سعيد توفيق	أكتوبر ٢٠١٣
٤٠٦	ـ مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين (ج١)	تأليف: بيني موريس ترجمة: أ. د. عماد عواد	نوفمبر ٢٠١٣
٤٠٧	ـ مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين (ج٢)	تأليف: بيني موريس ترجمة: أ. د. عماد عواد	ديسمبر ٢٠١٣
٤٠٨	ـ الثقافات الثلاث العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانيات	تأليف: جيروم كيغان ترجمة: د. صديق محمد جوهر	يناير ٢٠١٤
٤٠٩	ـ تاريخ إيران الحديثة	تأليف: أروند أبراهيميان ترجمة: مجدي صبحي	فبراير ٢٠١٤

٤١٠ ـ أفريقيا والتحدي	تأليف: وانغاري ماثاي ترجمة: أشرف محمد كيلاني	مارس	٢٠١٤
٤١١ ـ مدار الفوضى تغيير المناخ والجغرافيا الجديدة للعنف	تأليف: كريستيان بارينتي ترجمة: د. سعد الدين خرفان	أبريل	٢٠١٤
٤١٢ ـ الحضارة ومضامينها	تأليف: بروس مازليش ترجمة: د. عبدالنور خراقي	مايو	٢٠١٤
٤١٣ ـ السياسة الدينية والدول العلمانية مصر والهند والولايات المتحدة الأمريكية	تأليف: سكوت هيبارد ترجمة: الأمير سامح كريم	يونيو	٢٠١٤
٤١٤ ـ الأخلاقيات والحرب هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن الحادي والعشرين؟	تأليف: ديفيد فيشر ترجمة: أ. د. عماد عواد	يوليو	٢٠١٤
٤١٥ ـ الفيض (ج١) أمراض الحيوانات المعدية وجائحة الوباء التالية بين البشر	تأليف: ديفيد كوامن ترجمة: د. مصطفى إبراهيم فهمي	اغسطس	٢٠١٤
٤١٦ ـ الفيض (ج٢) أمراض الحيوانات المعدية وجائحة الوباء التالية بين البشر	تأليف: ديفيد كوامن ترجمة: د. مصطفى إبراهيم فهمي	سبتمبر	٢٠١٤
٤١٧ ـ عصور نهضة أخرى مدخل جديد إلى الأدب العالمي	تحرير: شيلدجن، تشو، غيلمان ترجمة: د. علاء الدين محمود	أكتوبر	٢٠١٤
٤١٨ ـ مشروع الديموقراطية التاريخ، الأزمة، الحركة	تأليف: ديفيد غريبر ترجمة: أسامة الغزولي	نوفمبر	٢٠١٤
٤١٩ ـ هل يحتاج العلم إلى لغة عالمية؟ اللغة الإنجليزية ومستقبل البحث العلمي	تأليف: سكوت ل. مونتغمري ترجمة: د. فؤاد عبدالمطلب	ديسمبر	٢٠١٥
٤٢٠ ـ انتقام الجغرافيا ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة والحرب ضد المصير	تأليف: روبرت د.كابلان ترجمة: د. إيهاب عبدالرحيم	يناير	٢٠١٥
٤٢١ ـ فكرة حقوق الإنسان	تأليف: تشارلز أر. بيتز ترجمة: شوقي جلال	فبراير	٢٠١٥
٤٢٢ ـ أمة من العباقرة كيف تفرض العلوم الهندية هيمنتها على العالم	تأليف: أنجيلا سايني ترجمة: طارق راشد عليان	مارس	٢٠١٥
٤٢٣ ـ المستقبل (الجزء الأول) ستة محركات للتغيير العالمي	تأليف: آل غور ترجمة: د. عدنان جرجس	أبريل	٢٠١٥

٤٢٤	ـ المستقبل (الجزء الثاني) ستة محركات للتغيير العالمي	تأليف: آل غور ترجمة: د. عدنان جرجس	مايو	٢٠١٥
٤٢٥	ـ الدراسات الثقافية مقدمة نقدية	تأليف: سايمون ديورنغ ترجمة: د. ممدوح يوسف عمران	يونيو	٢٠١٥
٤٢٦	ـ القسطنطينية (الجزء الأول) المدينة التي اشتهاها العالم ١٤٥٣ - ١٩٢٤	تأليف: فيليب متنسيل ترجمة: د. مصطفى محمد قاسم	يوليو	٢٠١٥
٤٢٧	ـ القسطنطينية (الجزء الثاني) المدينة التي اشتهاها العالم ١٤٥٣ - ١٩٢٤	تأليف: فيليب متنسيل ترجمة: د. مصطفى محمد قاسم	اغسطس	٢٠١٥
٤٢٨	ـ الطفولة في التاريخ العالمي	تأليف: بيتر ن. ستيرنز ترجمة: وفيق فائق كريشات	سبتمبر	٢٠١٥
٤٢٩	ـ عبر منظار اللغة لم يبدو العالم مختلفا بلغات أخرى	تأليف: غاي دويتشر ترجمة: حنان عبدالمحسن مظفر	أكتوبر	٢٠١٥
٤٣٠	ـ الساحل البشري	تأليف: جون آر. غيليس ترجمة: د. ابتهال الخطيب	نوفمبر	٢٠١٥
٤٣١	ـ يوميات السرطان حل أعمق أسرار الطب	تأليف: جورج جونسون ترجمة: د. إيهاب عبد الرحيم	ديسمبر	٢٠١٥
٤٣٢	ـ تفسيرات وراثية المعقول واللامعقول	تحرير: شيلدون كريمسكي وجيرمي غروبر ترجمة: د. ليلى الموسوي	يناير	٢٠١٦
٤٣٣	ـ في ظل العنف السياسة والاقتصاد ومشكلات التنمية	تحرير: دوغلاس سي. نورث وآخرون ترجمة: كمال المصري	فبراير	٢٠١٦
٤٣٤	ـ التقشف تاريخ فكرة خطرة	تأليف: مارك بليث ترجمة: عبد الرحمن أياس	مارس	٢٠١٦
٤٣٥	ـ صندوق النقد الدولي قوة عظمى في الساحة العالمية	تأليف: أرنست فولف ترجمة: د. عدنان عباس علي	أبريل	٢٠١٦
٤٣٦	ـ علم النفس السياسي رؤى نقدية	تأليف: كريستيان تيليغا ترجمة: أسامة الغزولي	مايو	٢٠١٦
٤٣٧	ـ القلق	تأليف: موشي زيدنر + جيرالد ماثيوس ترجمة: أ.د.معتز سيد عبد الله + أ.د.الحسين محمد عبد المنعم	يونيو	٢٠١٦
٤٣٨	ـ حياتنا وإن طالت علم دراسة طول العمر والشيخوخة	تأليف: جوناثان سيلفرتاون ترجمة: سحر توفيق	يوليو	٢٠١٦

٤٣٩	ـ الهجرة كيف تؤثر في عالمنا؟	تأليف: بول كولير ترجمة: مصطفى ناصر	أغسطس	٢٠١٦
٤٤٠	ـ الفن الضائع (الجزء الأول) ثقافات الملاحة ومهارات اهتداء السبيل	تأليف: جون إدوارد هوث ترجمة: د. سعد الدين خرفان	سبتمبر	٢٠١٦
٤٤١	ـ الفن الضائع (الجزء الثاني) ثقافات الملاحة ومهارات اهتداء السبيل	تأليف: جون إدوارد هوث ترجمة: د. سعد الدين خرفان	أكتوبر	٢٠١٦
٤٤٢	ـ عود على العود الموسيقى العربية وموقع العود فيها	تأليف: د. نبيل اللو	نوفمبر	٢٠١٦

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	دينار كويتي
الدول العربية	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	أربعة دولارات أمريكية

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد	15 د . ك
للمؤسسات	25 د . ك

دول الخليج

للأفراد	17 د . ك
للمؤسسات	30 د . ك

الدول العربية

للأفراد	25 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	50 دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد	50 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	100 دولار أمريكي

تسدد الاشتراكات والمبيعات مقدما نقدا أو بشيك باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت، ويرسل إلينا بالبريد المسجل على العنوان التالي:

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب 23996 الصفاة - الرمزي البريدي 13100

دولة الكويت

بدالة: 22416006 (00965)

داخلي: 1196/ 1195/ 1194/ 1153/1193/ 1152

كشف بأسماء وأرقام وكلاء التوزيع - أولاً: التوزيع المحلي - دولة الكويت

م	الدولة	وكيل التوزيع	رقم الهاتف	رقم الفاكس	الإيميل
1	الكويت	المجموعة الإعلامية العالمية	00965 24826820/1/2	00965 24826823	im_grp50@yahoo.com
		ثانياً: التوزيع الخارجي			
2	السعودية	الشركة السعودية للتوزيع	00966 /14419933 - 14418972	009661 12121766 - 1212774	bander.shareef@saudidistribution.com babiker.khalil@saudidistribution.com
3	البحرين	مؤسسة الأيام للنشر	00973 /17617733 - 36616168	00973 17617744	cir@alayam.com rudainaa.ahmed@alayam.com
4	الإمارات	شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع	00971 43916501/2/3	00971 43918354 - 43918019	eppdc@emirates.net.ae info@eppdco.com essam.ali@eppdco.com
5	سلطنة عُمان	مؤسسة العطاء للتوزيع	00968 24492936 - 24496748 - 24491399	00968 24493200	alattadist@yahoo.com
6	قطر	شركة دار الثقافة	00974 44621942 / 44622182	00974 44621800	thaqafadist@qatar.net.qa
7	مصر	مؤسسة أخبار اليوم	00202 25782700/1/2/3/4/5 00202 25806400	00202 25782540	ahmed_isaac2008@hotmail.com
8	لبنان	مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع	00961 1666314/5	00961 1653259 00961 1653260	topspeed1@hotmail.com
9	تونس	الشركة التونسية	00216 71322499	00216 71323004	sotupress@sotup.com.nt
10	المغرب	الشركة العربية الأفريقية	00212 522249200	00212 522249214	s.wardi@sapress.ma
11	الأردن	وكالة التوزيع الأردنية	00962 6535885 - 797204095	00962 65337733	alshafiei.ankousha@aramex.com basem.abuhameds@aramex.com
12	فلسطين	شركة رام الله للتوزيع والنشر	00970 22980800	00970 22964133	wael.kassess@rdp.ps
13	اليمن	القائد للنشر والتوزيع	00967 1240883	00967 1240883	alkaidpd@yahoo.com
14	السودان	دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع	002491 83242702	002491 83242703	daralryan_cup22@hotmail.com daralryan_12@hotmail.com

تنويـــه

للاطـلاع علـى قائمـة كتـب السلسـلة انظـر عدد ديسـمبر (كانـون الأول) مـن كل سـنة، حيـث توجد قائمة كاملة بأسماء الكتب المنشورة في السلسلة منذ يناير 1978.

قسيمة اشتراك في إصدارات
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

البيان	سلسلة عالم المعرفة		الثقافة العالمية		عالم الفكر		إبداعات عالمية		جريدة الفنون	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار
مؤسسات داخل الكويت	25		12		12		20		12	
أفراد داخل الكويت	15		6		6		10		8	
مؤسسات دول الخليج العربي	30		16		16		24			36
أفراد دول الخليج العربي	17		8		8		12			24
مؤسسات خارج الوطن العربي		100		50		40		100		48
أفراد خارج الوطن العربي		50		25		20		50		36
مؤسسات في الوطن العربي		50		30		20		50		36
أفراد في الوطن العربي		25		15		10		25		24

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الاسم:

العنوان:

اسم المطبوعة: مدة الاشتراك:

المبلغ المرسل: نقدا / شيك رقم:

التوقيع: التاريخ: / / 20م

هذا الكتاب...

يُقال إن السياسي لا يكذب، ولكنه «يقتصد في قول الحقيقة». ولأن السياسة هي «فن الممكن»، فإنها أكثر عُرضة للكذب كسلوك إنساني موجود بكثرة في الممارسة السياسية العادية. وفي حين أن الكذب يصبح جزءا من أدوات الفعل السياسي على المستوى الداخلي، وربما يُكشَف ويُكتشَف في سياق الأحداث الجارية، وما ينتج عن ذلك من تسجيل نقاط على «الكاذبين» باعتبارهم قد جاءوا بأفعال منافية للقيم العامة والأخلاق، وربما القانون، فقد بقي دور الكذب في السياسة الدولية بعيدا عن الفحص المنهجي، وقلما تُعُومِل معه كمبحث قائم بذاته.

يحاول كتاب «لماذا يكذب القادة؟: حقيقة الكذب في العلاقات الدولية» للبروفسور جون ميرشيمر الإجابة عن جملة تساؤلات تتعلق بدور وفاعلية الكذب في العلاقات الدولية، مع التركيز على الولايات المتحدة الأمريكية، وما قام به عدد من رؤسائها حيال الأزمات التي واجهتهم في الإطار الدولي.

يسعى الكتاب إلى الإجابة عن أسئلة تتعلق بأنماط الكذب في السياسة الدولية، وأسبابه ومبرراته لدى القائد الكاذب، ووظيفة الكذب في تعزيز وتقوية المعيار التفاوضي في السياق الدولي، وهل الكذب مقبول ومبرر كفعل، أم أنه مرفوض ومستنكر؟ وهل يكذب القائد على شعبه أم على الدول الأخرى؟ وهل ينجح الكذب في تحقيق أهدافه؟ وماذا يحدث عادةً حين تُكتشَف الكذبة؟ وهل يدفع من صاغ الكذبة ثمن ذلك الفعل؟ وما طريقة تحمل المسؤولية؟ وما مدى فداحتها؟ وهل يظهر الكذب أكثر في الدول الديموقراطية أو في الدول ذات الحكم المركزي؟

يجيب جون ميرشيمر عن كل تلك الأسئلة من خلال استحداثه تصنيفا جديدا لأنواع الكذب، وكيفية تداخل الظروف الداخلية والخارجية لإبراز نوع على حساب نوع آخر.

ويفتح الكتاب آفاقا واسعة لمزيد من الدراسات في دور الكذب في السياسة، وهي الظاهرة المسكوت عنها في مجمل الدراسات السياسية.

ISBN 978 - 99906 - 0 - 531- 0